

المِكرَاة في مِصْر في العِصْر الفاطمي

تأليف

د. نوريان عبد الكريم أحمد

مدرس التاريخ الإسلامي بآداب المنوفية





رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

الاخراج الفنى : مراد نسيم

٨٥١٢

962.020

82

أ ح م

م

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل 362.0208
العدد ٣٦٥٢٢
رقم التسجيل ٣٦٥٢٢

المرأة في مصر في العصر الفاطمي

تأليف

د. نوريان عبد الكريم أحمد

مدرس التاريخ الإسلامي بآداب المنوفية



الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

١٩٩٢

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب عن المرأة في العصر الفاطمي ، للدكتورة نريمان عبد الكريم ، مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب - جامعة المنوفية .

والكتاب في الأصل هو رسالة علمية حصلت بها صاحبتها على درجة الماجستير في الآداب من جامعة عين شمس ، وبالتالي فتنطبق عليه مقاييس الدراسة التاريخية العلمية الراسخة ، من ناحية المنهج ، والمصادر ، والتمحيص العلمي الدقيق ، والمنظور الجديد ، والمادة العلمية الجديدة . وهو على هذا النحو جدير بأن يقرأ ، وأن يجد مكانه في المكتبة العربية بصفة عامة ، وفي سلسلة تاريخ المصدرين الراسخة القدم بصفة خاصة .

ويتناول الكتاب الأحوال الاجتماعية للمرأة في العصر الفاطمي ، وتعرض فيه المؤلفة لحقوق المرأة وحريتها في التعليم والمهن والتجارة وقضاياها ، وتحدث عن الجوارى ومكانتهن في المجتمع ، والزواج والأسرة ، وملابس المرأة ، وحليها وحمائماتها ، ثم تتناول زوجات الخلفاء وأحوالهن وألقابهن وثرواتهم .

كذلك تناولت الباحثة الأحوال الدينية للمرأة في العصر الفاطمي ، من خلال المذهب الشيعي ، ومن ناحية المواريث واشتراك المرأة في الدعوة الشيعية . وتعرضت لأحوال المرأة الذمية ، سواء أكانت مسيحية أم يهودية .

وأولت الباحثة عناية خاصة للدور السياسي للمرأة في العصر

الفاطمي فيما يتصل بتدبير شئون البلاد ، وتعرضت لدور ست الملك ،
والملكة أم المستنصر ، وأخت المستنصر ، وأم المستعلى ، وأخت نزار ،
وأخت الظافر ، وعمة العاضد - وهي أدوار أثرت تأثيرا سلبيا أو
ايجابيا في حياة مصر الفاطمية .

وقد رجعت الباحثة الى أوثق المصادر التاريخية ، من مكاتبات
ومراسلات وخطب وتوقيعات ووثائق البيع والشراء ، وأهمها رسائل
الحاكم بأمر الله ، والسجلات المستنصرية ، وأوراق البردي العربية ،
ووثائق الجنيزة ، فضلا عن الآثار من نقوش وغيرها ، وكتب التاريخ
الاسلامى الأصلية ، والمراجع الحديثة فى التاريخ الاسلامى .

وكما يعرف قراء هذه السلسلة التاريخية ، فقد أولينا عناية
كبيرة بالتاريخ الاجتماعى لمصر على مدى العصور ، ونشرنا عددا
من الدراسات التاريخية التى تناولت : القضاء الشرعى فى العصر
العثمانى ، والجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ، والتصوف فى
العصر العثمانى ، والمجتمع الاسلامى والغرب ، والأوقاف والحياة
الاقتصادية فى العصر العثمانى ، والقضاء المصرى الحديث ، والفلاح
المصرى بين العصر القبطى والعصر العثمانى ، وتاريخ المدارس فى
مصر الاسلامية ، والمجتمع الريفى فى عصر محمد على ، والرأسمالية
الصناعية فى مصر .

ومن هنا يأتى هذا الكتاب عن المرأة فى مصر الفاطمية ، جزءا
فى هذه المنظومة العلمية التى ترسم لقارئ هذه السلسلة صورة
متكاملة عن تاريخ مصر الاجتماعى عبر العصور التاريخية المختلفة .

والله الموفق

رئيس التحرير

أ . د . عبد العظيم رمضان

مقدمة

تبدو أهمية هذا الموضوع فى الدور الذى قامت به المرأة فى الفترة التى حكم فيها الفاطميون مصر ، والتى امتدت من عام ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م .

ولذلك فهو بقصد القاء الضوء ، على أحوال المرأة ، التى عاشت فى تلك الفترة سواء أكانت شريفة عاشت فى القصر الفاطمى أم مصرية من تراب مصر ، بما فى ذلك المرأة المسلمة والذمية أو من الجوارى ، هذا لأن مجتمعات العصور الوسطى الإسلامية تتميز بوجود هذه الفئات الثلاث ، والتى تختلف فيها كل فئة عن الأخرى، من حيث الحياة التى عاشتها ، مما يجعلها تكون قطاعا مستقلا فى المجتمع .

ومما لا شك فيه أن أحوال المرأة المسلمة وقتذاك ترتبط بأحوال الخلافة الفاطمية بصفة عامة ، من حيث مذهبها الشيعى وراثتها ، وكذلك من حيث ظروفها السياسية ، التى مهدت لبعض الشخصيات

النسائية الظهور على مسرح الأحداث ، والتي تميز بعضها بالقدرة على تسيير شؤون الحكم بمقدرة فائقة .

لذا فان دراسة هذا الموضوع تتيح الفرصة للدارس أن يتعرض لأحوال مختلفة ، سواء أكانت اجتماعية وهي فى المقام الأول ، أم دينية ثم أخيرا السياسية ، حتى يتسنى له أن يعطى صورة شاملة عن تلك الحياة التى عاشتها المرأة وأحوالها المختلفة فى هذه الفترة .

ويشتمل البحث على ثلاثة أبواب ، نتناول فيها الأحوال الاجتماعية والدينية ثم السياسية للمرأة فى مصر فى العصر الفاطمى .

الأول : يتضمن خمسة فصول ، لدراسة الأحوال الاجتماعية للمرأة ، وفى الفصل الأول نتناول أحوال نساء القصر الفاطمى ، اذ كان لابد من تناول أحوالهن على حدة ، لأن ساكنات القصور كن يتميزن فى الغالب عن عامة المصريات بأهن فاطميات . اذ توفرت لهن حياة ناعمة ، فشاركن واشتركن فى الاحتفالات ، والمناسبات، التى كانت تقام بالقصر الفاطمى ، فضلا عن ذلك ظهور بعض الشخصيات النسائية التى لعبت دورا هاما بالقصر من زوجات وأخوات الخلفاء ، نتيجة لما حظين من مكانة عالية لدى الخلفاء ، وكذلك تميزهن عن المصريات باتخاذ الألقاب والعلامات ، كما أن ثراء الخلفاء الفاطميين قد أتاح لهن الفرصة فى أن ينفقن الكثير فى تشييد بعض المنشآت ، لاسيما الدينية منها .

أما الفصل الثانى ، فيتناول أحوال المرأة المصرية من حيث حصولها على حقوقها وحريتها ، والتى تمثلت فى مشاركتها فى

الحياة العامة من خلال المهن التي مارستها والتي تناسب قدراتها
كامرأة ، ومشاركتها في الحياة الاقتصادية . ثم موقفها من أوامر
ال خليفة الحاكم بأمر الله ، والتي صدرت ردا على تصرفات بعض
النساء العابثات ، وشملت جميع المصريات حتى حبسن في بيوتهن
سبع سنوات .

كما أن دور المرأة أيام المجاعات يعد مثالا رائعا لموقفها من
سياسة الدولة ، وانتقادها بشجاعة وسخرية ، ثم تميزت المرأة
بالجرأة ، عندما رفعت شكواها الى الوزير متظلمة من القاضي
وكذلك تقديم قضاياها لساحة القضاء للفصل فيها ، يعد مظهرا
آخر للحفاظ على حقوقها وحريتها .

والفصل الثالث يتناول أحوال الجوارى بصفة عامة ومكانتهن
في المجتمع وكيفية عتقهن ثم الأسعار الشائعة للجوارى في تلك
الفترة . وكذلك أحوال الجوارى اللاتي يعملن في القصر الفاطمي
ويطلق عليهن المستخدمات ويقمن بعدة أعمال منها الوظائف
والأعمال العادية ، أو الجوارى اللاتي يقمن بالخدمة في المنازل
لدى طبقات المجتمع .

أما الفصل الرابع فيتناول الزواج بالنسبة للمرأة بصفة عامة
سواء أكانت فاطمية أو مصرية بما في ذلك المسلمة والذمية . ومن
خلال هذا الفصل نتعرف على الأمور المتعلقة به من خطوبة والصداق
المقدم للعروس ، المعجل منه والمؤجل بالنسبة لطبقات المجتمع
المختلفة ، ثم عقود الزواج والشروط التي تحتويها ، والتي تدل
على مكانة المرأة في الأسرة ومحاولة الحفاظ على حقوقها خلال
فترة الزواج وبعده . وكذلك أنواع الجهاز الذي كانت تحمله العروس
الى منزل الزوجية ، وأهم المقتنيات الشائعة في العصر الفاطمي ،
ثم إقامة الإنراح في الدور التي خصصت لها في تلك الفترة

واستعداد العروس ، وننتقل بعد ذلك الى حياة الأسرة المصرية من حيث دور الأم فى الأسرة ومكانتها بين أفرادها ، والعلاقة بين الزوج والزوجة وأخيرا نتناول الأعمال المنزلية التى كانت تقوم بها ربة البيت والأطعمة الشائعة فى تلك الفترة .

والفصل الخامس ، يتناول أدوات الزينة ، التى استعملتها المرأة فى العصر الفاطمى ، والتى تعبر عن المستوى الحضارى ، الذى وصلت اليه البلاد ، فكانت الأقمشة التى تصنع منها الملابس فى الغالب مصرية ذات جودة عالية سواء أكانت حريرية أم كتانية(*) . وكانت الملابس تحلى بخيوط ذهبية دليلا على الترف الذى عم البلاد . ومع الأجزاء الكثيرة التى تشملها ملابس المرأة ، تناولنا كلا منها على حدة من أغطية الرأس المختلفة والملابس سواء الداخلية أو الخارجية والحجب وملابس المنزل ثم الملابس الأنيقة ، التى استعملت فيها الأقمشة الفاخرة .

ثم يأتى بعد ذلك الحلى بأنواعه المختلفة من خواتم وأقراط وأساور والمعادن المصنوعة منها سواء الذهب أو الفضة والأحجار الكريمة ، وكذلك أسعارها . هذا الى جانب المكاحل والعطور والمرايا ثم الحمامات العامة وأفردنا لها جزءا خاصا تناولنا فيه هيئتها الداخلية والخارجية وزيارة النساء اليها . ثم تسريحات الشعر ، التى شاعت فى تلك الفترة ، والتى يغلب عليها الفستونات ، وأخيرا السمات العامة التى كانت تميز جمال المرأة فى ذلك الوقت .

(★) كانت مدينة دبيق أو دابق تشتهر بصناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب ، الى جانب الأقمشة الكتانية ، كما تفوقت مدينة تيس فى عمل القصب الملون والبوقلمون أنظر سفر نامه ، ص ٢٨ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٦٥ .

أما الباب الثانى ، فيتناول الأحوال الدينية للمرأة بصفة عامة ،
أولا بالنسبة للمرأة المسلمة من خلال المذهب الشيعى الذى تدين به
الخلافة الفاطمية ، والذى يختلف فى بعض أوجهه عن المذهب السنى ،
ولاسيما من حيث توريث البنت مال أبيها ان لم يكن لها أخ ولا
أخت . ثم يتناول الدعوة الفاطمية وتطسورها ومراتبها ، ومدى
اشتراك المرأة من خلال مجالس الدعوة الشيعية التى كانت تقام فى
القصر وفى الجامع الأزهر .

كما يتضمن أحوال المرأة الذمية ، سواء المسيحية أو اليهودية ،
وكيفية حضور النساء الى الكنيسة أو المعبد ، والوصية التى كانت
تتركها المرأة ، ومشاركتها فى الأعمال الخيرية من خلال وقف بعض
الهبات على بعض المؤسسات الدينية أو على الفقراء .

والباب الثالث يتناول الدور السياسى للمرأة . وهو يعتبر
غاية فى الأهمية ، وان اقتصر على المرأة الفاطمية ، فلم تذكر
المصادر أن المرأة المصرية قد ساهمت فى هذا المجال ، ومن أهم
الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى سياسة البلاد ست الملك ،
والملكة أم المستنصر وابنة الظاهر ، هذا فضلا عن نساء العصر
الفاطمى الثانى من عمات الخلفاء ، أمثال عمه الفائز والعاقد ،
لذا قسمنا الباب الثالث الى ثلاثة فصول :

والفصل الأول ، يتناول دور السيدة ست الملك ، التى اتصفت
بقوة الشخصية والقدرة على تسيير الأمور بحزم ورصانة ، فقد
كانت تسعى للحفاظ على الخلافة الفاطمية فى مصر وخارجها .

وعلى الرغم من أن ست الملك كانت تسدى النصيح لأخيها الحاكم
بأمر الله ، الا أن بعض المؤرخين اتهموها بقتل أخيها ، وذكروا فى
ذلك أسباب مختلفة يؤيدون بها هذا الاتهام ، ولكن التضارب بين

أقوالهم حتى بالنسبة للمؤرخ الواحد يجعلنا نعتقد أنها بريئة من هذا الاتهام ، هذا فضلا عن أسباب أخرى تؤيد ذلك ، إذ أن سياستها الحكيمة بعد مقتل الحاكم بأمر الله سواء في الداخل أو في الخارج ، لأنها كانت الحاكمة الفعلية للبلاد والملكة غير المتوجة نيابة عن الخليفة الظاهر ، الذي تولى الخلافة صغيرا . تدل على حرصها على سلامة البلاد .

والفصل الثاني ، يتناول دور الملكة أم المستنصر ، التي لعبت دورا سلبيا في سياسة البلاد ، من خلال تدخلها في شئون البلاد الداخلية وتمثل ذلك في تعيين وصرف الوزراء والقضاة وكذلك الدعاة ، كما كانت تجمع هذه الوظائف الثلاث الكبرى في يد شخص واحد . وكان لوجود بعض الشخصيات الانتهازية أمثال التستري واليازوري اللذين سيطرا عليها ، أثر هام في سيطرتها على الخليفة . ولقد امتدت سيطرتها من عام ٤٣٦ إلى ٤٦٢ هـ ، ١٠٤٥ / ١٠٧٠ م وهي فترة طويلة تجاوزت العشرين عاما .

ولقد أدت سيطرتها إلى اضطراب أحوال البلاد من مجاعات وأوبئة ثم الفتنة التي وقعت بين طوائف الجيش وكان لمساندتها للعبيد أثر بالغ في ازدياد هذه الفتنة ولم ينقذ نشاط أم المستنصر ، إلا عندما قبض عليها ناصر الدولة بن حمدان ، واستصفى أموالها عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .

والفصل الثالث . يتناول الدور السياسي لنساء العصر الفاطمي الثاني ، الذي ظهرت فيه عدة شخصيات أمثال أخت المستنصر وأم المستعلي وأخت نزار ، إلى جانب عمة الفائز ، وكذلك أخت الظافر ، وعمة العاضد أيضا .

ولقد تميز دور هؤلاء النساء أن بعضهن قمن بالدفاع عن
أحقية الخليفة المستعلى في الخلافة . والبعض الآخر قام بتدبير
المؤامرات ضد استبداد الوزراء ، ولعل ذلك راجع الى تلك الظروف
التي أحاطت بالبلاد من أزمات اقتصادية متلاحقة ، الى جانب
الاضطرابات السياسية في الداخل ووجود الفرنجة على حدود البلاد ،
كل ذلك جعل نساء ذلك العصر يعتمدن على رجال اقوياء للقضاء
على وضع قائم لا يرضين عنه ، وذلك بعكس العصر الفاطمي الأول ،
حيث كانت الدولة مستقرة سياسيا واقتصاديا ، وكانت المرأة تعتمد
على نفسها في تصريف شؤون الدولة مثل ست الملك بصفة خاصة .

ولقد استلزم موضوع البحث الرجوع الى مصادر عديدة ،
منها ما هو أصلي وما هو فرعي والمصادر الأصلية تتمثل في الوثائق
والآثار ثم النقوش وكذلك المصادر الكتابية الأصلية ، أما الفرعية
فهى الكتب الحديثة ، التى ألفها المؤرخون الحديثون فى الشرق
والغرب .

وتعتبر الوثائق من أوثق مصادر التاريخ ، ويقصد بها
المكاتبات الرسمية والمراسلات والخطب والتوقيعات (١) . وكذلك
الوثائق غير الرسمية ، التى تتمثل فى وثائق البيع والزواج وغير
ذلك .

أولا : رسائل الحاكم بأمر الله :

وهى من المصادر الهامة لدراسة الأحوال الدينية للمرأة فى
العصر الفاطمي . ولقد القيت هذه الرسائل على يد الداعية حمزة

(١) انظر . ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، ص ١٧ .

ابن على بن أحمد ، وهو من أصل فارسي (٢) . ولقد فوضه الخليفة الحاكم بأمر الله بالقيام باصلاح عقائد المذهب ، مما أدى الى ظهور مذهب جديد عرف « بالتوحيد » . ولقد القى في مجالس النساء بعض الرسائل منها « رسالة النساء الكبيرة » (٣) التى تشير الى أن المستجيبات لهذه الدعوة من النساء يطلق عليهن الموحديات ، أما الرسالة التالية وهى « ميثاق النساء » (٤) يذكر فيها واجبات النساء فى الطاعة والتوحيد والبعد عن الفساد والدنس ، هذا فضلا عن شروط دخول النساء فى المذهب الجديد .

ثانيا : السجلات المستنصرية (٥) :

وهى تشتمل على ستة وستين سجلا ، ترجع الى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، مرسله الى دعاة اليمن ، والمرأة الفاطمية بها عدة سجلات أرسلتها للسيدة أروى ملكة اليمن ، وتحتوى هذه السجلات على الألقاب وعلامات لبعض الملكات الفاطميات أمثال الملكة أم المستنصر ، وابنة الخليفة الظاهر - أخت الخليفة المستنصر وأم الخليفة المستعلى ، كما تشير الى مشاركة المرأة فى السياسة الخارجية للبلاد (٦) ، فضلا عن ذلك فهى تشير أيضا الى مكانة المرأة فى الأقاليم التابعة للخلافة الفاطمية ، لاسيما فى اليمن إذ يبرز دور - السيدة أروى التى أصبحت ملكة اليمن بعد أن زهد زوجها أحمد المكرم فى الحكم ، وكيف أن الخلافة الفاطمية كانت تبعث اليها بالرسائل ، هذا فضلا عن الألقاب الكثيرة التى حازتها

(٢) يحيى بن سعيد ، ص ٢٢٣ ، انظر . ماجد ، الحاكم ص ١١٧ .

(٣) رسائل الحاكم بأمر الله ، مخطوط رقم ٥٤ .

(٤) نفسه ، مخطوط رقم ١٣٣ .

(٥) تقديم وتحقيق عبد النعم ماجد ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٦) هذه السجلات تحت أرقام ٢٨ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٥٢ .

من قبل الخليفة المستنصر ، منها الحرة ، السيدة ، السيدة ، المكيبة ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، صنعة أمير المؤمنين (٧) ، وكانت هذه الألقاب تسجل في المراسلات بين الخلافة الفاطمية وملكة اليمن ، التي استقلت بأمور الحكم ابتداء من عام ٤٧١ / ١٠٧٨ ، إذ أن الخليفة المستنصر يوجه إليها الرسائل باسمها وهو يعتبرها مثالا رائعا للمرأة في تقلد شئون الحكم وكفاحتها ويقظتها في أمور الدعوة (٨) . وهذا يعكس بلا شك تقدير الخلفاء الفاطميين للمرأة بصفة عامة ، ليس فقط في خارج مصر ولكن أيضا في مقر الخلافة الفاطمية في مصر .

ثالثا : أوراق البردي العربية (٩) :

وهذه الوثائق الموجودة بها والخاصة بالفترة الفاطمية ليست مدونة على ورق بردي ، وإنما غالبيتها مكتوبة على ورق أبيض ، وتعتبر هذه الوثائق غاية في الأهمية من حيث احتوائها على بعض عقود الزواج ، التي ترجع إلى العصر الفاطمي (١٠) ، مبينا فيها قيمة الصداق بما فيه من مقدم ومؤخر ، كذلك وصايا بحسن العشرة بين الزوجين .

هذا فضلا عن بعض عقود البيع والشراء ، التي قامت بها المرأة

(٧) سجل رقم ٤١ ص ١٤٢ .

(٨) نفسه ، انظر . ماجد ، المستنصر بالله ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٩) جمع بعضها وعلق عليها أدولف جروهمان ، وترجمها إلى العربية حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٦ .

(١٠) عقد يرجع إلى ١٠٢٨/٤١٩ تحت رقم ٤٤ ، وآخر يرجع إلى عام ١٠٦٨/٤٦١ تحت رقم ١٤٥ .

فى تلك الفترة ، لاسيما العقود الخاصة ببيع وشراء العقارات (١١) .

رابعاً : وثائق الجنيزة (١٢) :

وهى وثائق خطية ، وجدت فى منطقة مصر القديمة ، وعرفت لعلماء الغرب فى القرن التاسع عشر الميلادى . وكانت هذه الأوراق قبل اكتشافها محفوظة فى حجرة خصصت للأوراق المهمة فى معبد يهودى بالفسطاط ، كما وجد عدد آخر من هذه الأوراق فى جبانة البساتين القريبة من المعبد . أطلق على هاتين المجموعتين وثائق جنيزة القاهرة ، ويقدر عددها بما يزيد عن ربع مليون ورقة كتبت أغلبها باللغة العربية بحروف عبرية . ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق الى الفترة ما بين القرن الرابع والسادس الهجريين ، العاشر والثالث عشر الميلاديين . ولقد وزعت بين مكتبات أوروبا وأمريكا . وهى تتكون فى معظمها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم ، هذا فضلاً عن عقود الزواج التى تشتمل على خمسة وعشرين قائمة لم ينشر منها حتى الآن أربعة وعشرون قائمة ، يوجد منها اثنتان وعشرون قائمة فى مجموعة بودلين Bodléienne ومجموعة جاستر Gaster بالمتحف البريطانى ، ومجموعة أليانس Alliance الاسرائيلية بباريس ، ومعظم هذه الوثائق بها حروق ، ومعظمها مفقود وتواريخها غير واضحة ، وأقدم تلك القوائم ، القائمة الخاصة بعقد زواج يوسف بن سليمان بن ملاح ويرجع تاريخها ٤٥١ / ١٠٥٩ ، وعقد زواج لأبى منصور سماح بن يفت من ست الخشا ابنة أبى البركات

(١١) أرقام ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٠٣ ، ٢٠٨ ، ١٣٦٤ .

(١٢) انظر . The Cairo Geniza, 2ed, P 187; Kahle, The .

Cairo Geniza, 2ed. 1959.

الليبيدي يرجع الى ١١٤٦/٥٤١ ، وآخر لايو الماجد بن الحسين
يرجع الى ٥٧٧ / ١١٨١ (١٣) .

ويعتبر كل من أشستور Ashtor (١٤) وجواتين
Goitein (١٥) والقوصي (١٦) من أكثر المهتمين بدراسة
هذه الوثائق ، ونشرها والتعليق عليها ، وذلك من خلال المقالات
الدورية في المجلات العلمية والكتب التي تلقى الضوء على مجتمع
الفسطاط في العصر الفاطمي ، ولذلك فقد أفادت البحث الى حد
كبير بالنسبة للمرأة الذمية وخاصة اليهودية ، وذلك بما يتعلق
بالزواج ، كما نستطيع أن نتعرف من خلال وثائق الجنيزة أيضا
على أنواع الملابس والحلى التي شاعت بالنسبة للمرأة المصرية
بصفة عامة في تلك الفترة .

أما الآثار ، التي تأتي في المرتبة الثانية بعد الوثائق ، فعلى
الرغم من أن المرأة في العصر الفاطمي قد تركت عدة منشآت هامة ،
مثل المساجد والأربطة والمصليات وكذلك القصور ، إلا أن هذه
المنشآت اندثرت ولكن من خلال المصادر التاريخية والمراجع الخاصة
بالآثار نستطيع أن نتعرف على تلك المنشآت وما بقي من ذكرها .

(١٣) انظر Ashtor, Matériaux pour l'Histoire des Prix, JESHO, VI, PP. 164 — 165.

(١٤) انظر Le Coût de la vie dans l'Egypte Médiévale. JESHO, III, 1960, Histoire des prix, Paris, 1969.

(١٥) انظر The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization in studi Islamica. III, IV, 1955; Slave and slavegirls in the geniza records, Arabica, IX, 1962.
A Mediterranean society, Los Anglos, 1967.

(١٦) انظر . أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة ،
مقالة من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٥ ، تجارة البحر
الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ .

هذا فضلا عن المقتنيات والتحف التى تتضمنها المتاحف منها ما هو موجود بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، والتى عثر عليها فى الفسطاط فى عمليات التنقيب التى كانت عام ١٩١٢ - ١٩٢٠ (١٧) ، وبعضها أيضا. مشتراه أو مهداه للمتحف (١٨) ، وهذه القطع التى ترجع الى تلك الفترة ، والتى تخص المرأة عبارة عن قطع حلى مختلفة من خواتم وأقراط وأساور ودلايات ومشابك للصدر ، هذا فضلا عن المكاحل وقنينات العطر المصنوعة من البللور الصخرى ، وكذلك الأطباق الخزفية ذات البريق المعدنى والتى تحمل صوراً لبعض النساء ، نستطيع من خلالها هى وغيرهالقاء الضوء على أدوات الزينة فى تلك الفترة من ملابس وحلى .

كما يوجد ببعض المتاحف فى أوروبا وأمريكا ، بعض هذه المقتنيات التى ترجع الى العصر الفاطمى مثل متحف المتروبوليتان Metropolitan فى نيويورك (١٩) ، ومتحف قصر بوجلو Boglou فى مدينة فلورنسا (٢٠) وغيرها .

كما تعتبر النقوش من مصادر الدرجة الأولى ، ويعتمد عليها فى البحث التاريخى الاسلامى ، اذ انها تقدم مادة موثوقا بها من خلال الكتابة على الآثار من مساجد وعمائر ، وعلى التحف بمختلف أنواعها وعلى قطع النسيج (٢١) . ولقد وصلتنا بعض النقوش على

(١٧) انظر ، على بهجت ، حفريات الفسطاط ، ص ٣ .

(١٨) انظر . معرض الفن الاسلامى فى مصر من ٩٦٩ الى ١٥١٧ ، القاهرة ابريل ١٩٦٦ .

(١٩) انظر . Islamic Jewelry in the Metropolitan Museum of Art, New York, 1982.

(٢٠) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٨ .

(٢١) انظر . ماجد ، مقدمة لداسة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٣ ،

ظهور خلافة الفاطميين ، ص ١٧ .

المشاهد والقبور لبعض النساء التي وجدت في القسطنطينية وأسوان ،
والتي تبين وجود بعض العلويات حتى قبل العصر الفاطمي ، وكذلك
ما هو منقوش على المحراب وكذلك التابوت بمسجد السيدة رقية ،
يجعلنا نتعرف على بعض الألقاب الخاصة بالسيدة علم الأميرة التي
أمرت بإنشائها (٢٢) .

خامسا : المصادر الكتابية الأصلية :

وعلى الرغم من أن خزانة الكتب بالقصر الفاطمي كانت تحتوى
على أربعين خزانة (٢٣) ، فإنه لم يصلنا من هذا التراث الضخم
إلا شذرات من الإنتاج الأصلي للفاطميين ، ولعل أسباب ذلك ، أن
الدولة الأيوبية التي أتت بعد الخلافة الفاطمية ، قد بددت هذه الكتب
بسبب الخلاف المذهبي بين الدولتين ، ولذا حددت لبيع الكتب
الفاطمية في القصر كل أسبوع يومين (٢٤) .

ومن الكتب التي وصلتنا كتاب « فضائل مصر وأخبارها » (٢٥)
لابن زولاقي ، وهو الحسن بن إبراهيم (ت ٩٩٧ / ٣٥٧) وهو مخطوط
يحتوى على عدة ورقات ، وهناك كتاب آخر للقضاة أبو عبد الله

(٢٢) انظر Berchem, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, I, Egypte, Le Caire, 1894 — 1903 Wiet Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, II, 1930.; Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, Le Caire 1931.

سماد ماجر ، مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي .

(٢٣) الخطط ، ١ ص ٤٠٨ .

(٢٤) أبو شامة ، الرونتين ، ١ ص ٢٦٧ ، انظر المرجع السابق ،

ص ٤٠ .

(٢٥) مخطوط بدار الكتب بالقاهرة ، تحت رقم ، ٣٥٩١ تاريخ ،

انظر . المرجع السابق ، ص ٢١ .

ت ١٠٦٢/٤٥٤) بعنوان «عيون المعارف وفتون أخبار الخلايف» (٢٦) ومن الكتب المعاصرة أيضا للفاطميين كتاب «سفر نامه» (٢٧) لناصر خسرو ، والمؤلف يصف فيه البلاد التي زارها خلال رحلته ومنها مصر التي زارها في عهد الخليفة المستنصر بالله .

هذا الى جانب كتب النعمان بن حيون (ت ٩٧٤/٣٦٣) وهو قاضى قضاء الخليفة المعز ، ولقد ترك عدة مؤلفات نذكر منها كتاب «دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام» (٢٨) . وتناول فيه المذهب الاسماعيلى الذى تدين به الخلافة الفاطمية الشيعية ، وهو كذلك يعرض لقانون الوراثة لدى الفاطميين الذى يتعلق بالمرأة بصفة خاصة .

وكتاب المؤيد فى الدين الشيرازى (ت ١٠٧٨/٤٧٠) « السيرة المؤيدية » (٢٩) . وهذا الكتاب يشير الى فترة هامة من تاريخ الفاطميين وخاصة الى دور أم المستنصر وتحكمها فى البلاد ، ولكن اشارة غير مباشرة .

« كتاب المجالس المستنصرية » (٣٠) والتي القى بعضها فى مجالس النساء ولو أن محقق هذا الكتاب يشك فى ذلك ، فضلا عن ذلك فان بعض المجالس التى القيت على الرجال تحت على البر بالوالدين ومعاملة الزوجين ، وكلاهما يخص المرأة كزوجة وكأم .

« كتاب صلة تاريخ اوتيا » الجزء الخاص بيحيى بن سعيد الانطاكى (ت ١٠٦٦/٤٥٨) فهو يشير الى دور ست الملك بعد فقد

(٢٦) مخطوط بدار الكتب القاهرة ، برقم ١٧٧٩ .

(٢٧) قام بترجمته من الفارسية الى العربية يحيى الخشاب ،

القاهرة ١٩٥٤ .

(٢٨) تحقيق آصف بن على فيظى ، القاهرة ١٩٥١ - ١٩٦٠ .

(٢٩) تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٣٠) محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ .

الحاكم وتولية الظاهر ، وهذا الكتاب مع صمته عن اتهام ست الملك ، فهو يستعرض روايات أخرى تدين آخرين بقتل الحاكم ، وبذلك يبرئ ست الملك ضمناً عن ارتكاب هذه الجريمة أو على الأقل المشاركة فيها .

ثم كتاب ابن القلانسي (ت ٥٥٥ / ١١٦٠) « ذيل تاريخ دمشق » الذي يتناول فيه سياسة ست الملك في الشام ، وعلاقتها بالامراء التابعين للخلافة الفاطمية في عهدى الخليفة الحاكم بأمر الله ومن بعده الظاهر لأعزاز دين الله ، وكيف كانت ست الملك تدير السياسة الخارجية بحزم .

أما الكتب التى ألفت بعد الخلافة الفاطمية ، وفى أيام الدولة الأيوبية فهى تتعرض للفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ، ولأسيما دور بعض نساء الطبقة الحاكمة فى تدبير المؤامرات ضد الوزراء ، هذا فضلا عن أنها تشير الى حالة الفاطميين قبل سقوط دولتهم . ومنها :

كتاب « الروضتين فى اخبار الدولتين » ، لأبى شامة (ت ٦٦٥ / ١٢٦٧) وكتاب ابن ميسر (ت ٦٧٧ / ١٢٧٨) وهو يشتمل على معلومات خاصة بالأحوال الاجتماعية بصفة عامة ، هذا الى جانب كتاب ابن واصل (ت ٦٩٧ / ١٢٩٧) « مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب » وهو يتناول أحوال الدولة الفاطمية فى أخريات أيامها أيضا ودور المرأة الفاطمية فى ذلك الوقت .

ثم ننتقل بعد ذلك الى المؤلفات ، التى كتبت فى العصر المملوكى وهى تعد من أهم المؤلفات عن العصر الفاطمى (٣١) ، وهذا

(٣١) انظر . ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ،

راجع الى أن هؤلاء المؤرخين قد استطاعوا أن يحصلوا على المصادر النصائية ، وينقلوا منها ، لذا كانت مؤلفاتهم ذات أهمية كبيرة .

ونأتى كتب المقرئزى (ت ٨٤٥ / ١٤٤٢) ، فى مقدمة هذه المؤلفات ، أن أنه ينقل من مصادر معاصرة مثل ابن زولاق والمسبحى والقضائى وابن المؤمن . ولقد تعددت كتب المقرئزى ، واشتملت على مادة غزيرة قد أفادت البحث ، ومنها كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . وهو يتناول فى هذا الكتاب سيرة كل خليفة على حدة ، كما يتضمن الدور السياسى للمرأة الفاطمية ، ومشاركتها فى الحكم أمثال بنت الملك والملكة أم المستنصر ونساء العصر الفاطمى الثانى .

وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، يتناول فيه تاريخ القاهرة وآثارها ، لاسيما منشآت المرأة وثرواتها وأحوال نساء القصر الفاطمى والرواتب المقررة لهن وخاصة العينية منها ، والعمل فى القصر والملابس والأحوال الدينية ، فهذا الكتاب من أهم الكتب وأساس لدراسة الفترة الفاطمية ، إذ لم يترك أى جانب إلا طريقه .

وكتاب انغاثة الأمة بكشف الغمة . والذى يعرض للمجاعات، التى توالى على مصر الاسلامية ، وخاصة فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله والخليفة المستنصر وكذلك فى عهد الخليفة الحافظ والفائز ، والذى يهمنى منها تلك الشدة ، التى وقعت فى عهد الخليفة المستنصر ، وأبرزت دور المرأة المصرية خلالها . فضلا عن ذلك فهذا الكتاب يحتوى على معلومات اقتصادية هامة ، إذ يتقصى أسباب تلك المجاعات بصفة عامة .

وهناك مؤرخ آخر ، هو إدريس عماد الدين (ت ٧٧٢/١٤٦٨) ، وكتابه **عيون الأخبار** ، وهو مخطوط يتناول أخبار كبار الدعاة الفاطميين ، وكذلك أخبار الخلفاء وأحوالهم ، ولكننا لم نستطع الحصول عليه ، لأن النسخة الوحيدة موجودة بمكتبة عباس الهمداني الخاصة وهو غير موجود بمصر الآن . ولكن من خلال بعض المراجع الحديثة ، التي تناولت الفترة الفاطمية لاسيما مؤلفات عبد المنعم ماجد ، نستطيع أن نتعرف على بعض محتويات هذا الكتاب .

ثم هناك مؤرخ آخر هو أبو المحاسن بن تغري بردي (ت ٨٧٤/١٤٦٩) في كتابه **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، يتعرض فيه للمؤامرة التي دبرت لقتل الخليفة الحاكم بأمر الله بواسطة ست الملك وابن دواس ، والتدابير التي اتخذت لتنفيذها وبذلك فهو يقدم اتهاما صريحا لست الملك بقتل الخليفة الحاكم .

وكذلك كتاب السيوطي (ت ٩١١/١٥٠٥) **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** يذكر فيه أيضا أحوال المرأة السياسية ، أما كتاب ابن خلكان (ت ٦٨١/١٢٨١) **وفيات الأعيان** ، فيتناول حياة كثير من الخلفاء والوزراء . ثم كتاب **رفع الأصر عن قضاة مصر** ، لمؤلفه ابن حجر العسقلاني ، (ت ٩٥٣ / ١٤٤٩) وهو يعرض لتراجم قضاة العصر الفاطمي ، ويذكر من خلالها قضايا المرأة المصرية وموقف القضاء منها .

بجانب هذه المصادر القديمة ، توجد كتب حديثة لمؤلفين حديثين وهي تشير في معظمها الى اشارات غير مباشرة لأحوال المرأة في العصر الفاطمي بصفة عامة ، ومنها ما ألف في الشرق والغرب ، ونتناول أولا المراجع العربية ومن أهم هذه الكتب ، التي اهتمت بالفترة الفاطمية ، مؤلفات عبد المنعم ماجد ، مثل **كتاب الحاكم بأمر**

بالله (٣٢) ، الذى يشير الى دور ست الملك السياسى ويقدم الروايات الدالة على تبرئة ست الملك من مقتل الحاكم ، هذا الى جانب الاشارة الى المراسيم الاجتماعية ، التى فرضها الخليفة الحاكم بأمر الله على المرأة . وكتاب المستنصر بالله (٣٣) ، الذى يعرض لسيطرة أم المستنصر على الحكم دون الخليفة ، اذ انه يعرض باسهاب لهذا الدور ، الذى ادى الى تدهور احوال البلاد . وكتاب نظم الفاطميين ورسرهم فى مصر (٣٤) ، لاسيما الجزء الثانى الخاص بأحوال القصر الفاطمى ، الذى يذكر فيه نساء القصر والذى الشائع لهن . وكذلك كتاب ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر (٣٥) ، الذى يتناول احوال الدولة الفاطمية بصفة عامة من سياسية واقتصادية ودينية . ثم كتاب تاريخ الحضارة الاسلامية (٣٦) ، الذى يحتوى على معلومات اجتماعية خاصة بالمزى والزواج وحياة القصور بصفة عامة فى الدول الاسلامية .

هذا فضلا عن كتاب حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية (٣٧) ، وهو يعرض للأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية لذلك العصر . وكتاب مشرفة ، نظام الحكم فى عهد الفاطميين (٣٨) ، يتناول فيه دور الحسبة فى مراعاة الآداب العامة . ومنها ما هو متعلق بالمرأة ايضا .

-
- (٣٢) القاهرة ، ١٩٥٦ .
 - (٣٣) القاهرة ، ١٩٦١ .
 - (٣٤) القاهرة ، الجزء الثانى ١٩٧٨ .
 - (٣٥) القاهرة ، ١٩٦٨ .
 - (٣٦) القاهرة ، ١٩٧٨ .
 - (٣٧) القاهرة ، ١٩٥٨ .
 - (٣٨) القاهرة ، ١٩٤٨ .

وكتاب زكى حسن « كتوز الفاطميين » (٣٩) ، الذى يتناول بالدراسة خزائن الفاطميين ، التى كانت توجد بالقصر الفاطمى ، خاصة التحف والى والى والجواهر والفرش وغيره ، هذا فضلا عن الإشارة الى بعض المتحف الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

وكذلك كتاب أحمد مدوح حمدى ، معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى (٤٠) ، ويذكر فيه ما يخص الفترة الفاطمية من حلى ومكاحل وقنينات عطور وأطباق خزفية تحمل موضوعات فاطمية .

كما يعتبر كتاب أحمد عبد الرازق ، المرأة فى مصر المملوكية (٤١) ، من أهم الكتب الحديثة ، التى أفادت البحث ، فعلى الرغم من أنه يستعرض أحوال المرأة فى العصر المملوكى ، إلا أنه يشير الى بعض الجوانب ، التى تخص المرأة بصفة عامة ، كما يعتبر أساسا فى دراستنا لبعض الموضوعات .

أما الدوريات العربية ، فهناك بعض المقالات ، منها مقالة عبد المنعم ماجد ، امرأة مصرية تزعم مظاهرات (٤٢) ، إذ أنها تبرق دور هذه المرأة خلال المجاعات .

ومقالة حسن عبد الوهاب ، أثر المرأة فى الفن الاسلامى (٤٣) ،

(٣٩) القاهرة ، ١٩٤٠ .

(٤٠) القاهرة ، ١٩٥٩ .

(٤١) القاهرة ، ١٩٧٥ .

(٤٢) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٧ .

(٤٣) مجلة الهندسة ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ .

وهى تشير الى تأثير المرأة على الحلى بأنواعه ، وكذلك مقالة حسن الباشا ، اثر المرأة فى فنون القاهرة (٤٤) .

أما فيما يخص الكتب ، التى ألفها المستشرقون فى الغرب ،
منها كتاب

Dictionnaire détaillé des noms des Vêtements. Dozy
chez les Arabes.

ويعرض فيه لأنواع المختلفة للملابس ، وبصفة خاصة ملابس
المرأة فى العصور الاسلامية ، ثم كتاب Supplément ، الذى ينسرح
فيه بعض الألفاظ لاسيما الخاصة بالملابس .

وكتاب The Mediterranean Society; Goitein بأجزائه
الثلاثة ، اذ أنه يعتمد على أوراق الجنيزة ، ويعرض بأسهاب من
خلال هذه الوثائق أحوال المرأة اليهودية من عقود زواج والشروط
المتعلقة بها ، ثم جهاز العروس ومكوناته وقوائم الجهاز ، كما يشير
الى الأفراح وحياة الأسرة ، اذ أنه يتناول الأحوال الاجتماعية بصفة
عامة فى تلك الفترة .

وكذلك كتاب Gotthiel and Worrell

Fragments from the Cairo geniza,

وهو يحتوى أيضا على عقد زواج به قائمة جهاز ، وكتاب
Ashtor Histoire des prix, الذى يعرض لأسعار الملابس
الخاصة بالمرأة من خلال قوائم الجهاز .

أما الدوريات الأجنبية ، فلقد ذكرنا بعضها فى معرض الحديث
عن وثائق الجنيزة .

(٤٤) فمالة من كتاب القاهرة فنونها ، تاريخها ، آثارها ،

القاهرة ، ١٩٧٠ .

كما أن الرسائل العربية غير المنشورة قد أفادت البحث في
نواح عديدة ومنها التصوير الاسلامي على العاج والورق والخزف
والجدران (٤٥) ، اعداد محمود ابراهيم حسين ، فهي تشتمل على
بعض التصوير التي تخص المرأة ، والتي تبرز ملابسها وحليها
وكذلك تسريحات الشعر ، التي كانت سائدة ، هذا فضلا عن الملامح
العامة للمرأة المصرية في العصر الفاطمي .

(٤٥) رسالة ماجستير في الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ .

الباب الأول

- الفصل الأول : أحوال المرأة الفاطمية
- الفصل الثاني : أحوال المرأة المصرية
- الفصل الثالث : الجوارى
- الفصل الرابع : الزواج
- الفصل الخامس : أدوات الزينة

الفصل الأول

أحوال المرأة الفاطمية

- (أ) زوجات الخلفاء
- (ب) أحوال نساء القصر
- (ج) الألقاب
- (د) العلامات
- (هـ) الثروات
- (و) المنشآت

كانت مصر فى عهد الفاطميين تتمتع بحياة اجتماعية زاهرة ،
فلقد عمل الفاطميون بعد انتقالهم من المغرب الى مصر وتأسيس خلافة
فاطمية بها على الاهتمام برفاهية الشعب المصرى ، ويتجلى ذلك فى
الاهتمام بالمظاهر الاجتماعية المختلفة مثل الاحتفال بالأعياد الدينية،
الاسلامية والمسيحية(١) . واقامة الاسمطة والولاتم(٢) وتوزيع
الكسوات على العاملين بالدولة(٣) ، وساعدهم فى ذلك ثروات مصر
الكثيرة .

كما تمثلت مظاهر الترف بالنسبة لطبقة الخلفاء فى
الجلوسات(٤) ، التى كانت تقام بالقصر الفاطمى للاستقبالات

(١) ومن هذه الأعياد : الموالد السنّة ومنها مولد النبى ، ومولد
على بن أبى طالب ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء ومولد
الخليفة الحاضر ، هذا الى جانب أعياد المسيحيين مثل يوم النيروز ، يوم
الغطاس ويوم الميلاد ، خميس العهد (انظر الخطط ، ١ ص ٤٩٠) .

(٢) وكانت هذه الاسمطة تعمل فى قاعة الذهب بالقصر ، ومنها سماء
شهر رمضان وسماء العيدين . نفسه ، ١ ، ص ٣٨٥ .

(٣) نفسه ، ١ ، ص ٤٠٩ .

(٤) ومنها الجلوس الأسبوعى وجلوس عرض الخيل وجلوس ليلالى
الوقود وجلوس مولد النبى وجلوس مولد الأجداد ومولد الخليفة الحاضر
وجلوس رسل الملوك وجلوس المظالم ، انظر الخطط ، ١ ، ص ٣٨٦ ، صبح
الأمشئ ، ٣ ، ص ٤٩٨ ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١٠ وما بعدها ،

والاحتفالات الرسمية . وكذلك الركوبات التى اتسمت بالمبالغة وكان يخرج فيها الخليفة وموظفوه وجيشه ورجال دولته الى الشارع امام الشعب المصرى فى عدة مناسبات منها ركوب أول العام وأول شهر رمضان وركوب أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان وركوب كل من عيد الفطر وعيد الأضحى وركوب تخليق المقياس وركوب فتح الخليج (٥) ، وكانت كل المظاهر التى تحيط بهذه الركوبات رغبة من الدولة فى اظهار قوتها ولاسيما الحربية (٦) .

فضلا عن ذلك ما ذكرته المصادر عن كنوز الفاطميين المختلفة ، التى تدل على أن الفترة التى عاشت فيها الخلافة الفاطمية ، والتى تزيد على القرنين ، كانت تتميز بالبذخ والرفاهية ، وذلك فيما عدا بعض الأوقات التى عانت فيها البلاد من جراء بعض الأزمات الاقتصادية التى تمثلت فى المجاعات والأوبئة .

وكذلك بناء القصور الفخمة والمناظر الكثيرة فى أنحاء البلاد ، ولاسيما القصر الفاطمى الذى بناه جوهر لاستقبال الخليفة المعز ٣٦٠ / ٩٧٠ ، والذى كان يطلق عليه القصر الكبير الشرقى ، وكان فى المنطقة التى يقع فيها الآن مسجد الحسين وخان الخليلي (٧) ، وهو يضم بداخله عدة قصور منها القصر الصغير الغربى والقصر النافعى ، وقصر الذهب وقصر الشجرة وقصر الحريم وقصر الشوك

(٥) صبح الأمشى ، ٣ ، ص ٥٠٣ ، انظر ، نفس المرجع ، ٢ ، ص ٩٣ وما بعدها .

(٦) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٩ .

(٧) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٢ ، انظر . حسن ابراهيم ، الدولة الفاطمية ص ٥٣١ . وكان ملحقا بهذا القصر عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة الكسوات وخزانة الجواهر والطيب والطرائف وخزانة الفرش والأمتعة وخزانة السلاح والسروج وخزانة البنود (انظر نفسه ، ص ٤٠٨ - ٤٢٢) .

وقصر النسيم وقصر البحر ، وهذه القصور كلها قاعات ومناظر يقال لها القصور الزاهرة (٨) . أو القصر المعمور (٩) ، ولعل هذه التسمية ترجع الى الأعداد الكبيرة ، التي كانت بداخل القصر .

ولما كان هذا القصر مخصصا لسكنى الخليفة وحرمة وأهله من النساء ، فلا بد من القاء الضوء على أحوالهن ويبدو أن أحوال النساء فى القصور الاسلامية ، تكاد تتشابه (١٠) وذلك ، لأن هذه الفئة تتميز عن بقية النساء فى المجتمع بالتمتع بالحياة المترفة الناعمة ، بما يتوفر لهن فى قصور الخلافة ، هذا الى جانب ما يتاح لهن من المشاركة فى سياسة الدولة ، والتدخل فى شئون الحكم ، وذلك راجع لقربهن من الخلفاء .

(١) زوجات الخلفاء :

ونساء القصر كن زوجات الخليفة وأخواته وكرائمه وعماته وحظاياهم ، وكان يطلق على نساء القصر بصفة عامة كلمة « حريم » ، وهذا يتضح من اسم القصر الذى كان مخصصا لسكنائهن وهو قصر الحريم ، الذى كان يتصل بغرف الخليفة الفاطمى عن طريق سرداب ، وكان ذلك متبعا فى أغلب القصور الاسلامية .

كما أن تسمية نساء القصر بالحريم ، كانت شائعة فى كافة القصور الاسلامية الأخرى (١١) ، حتى فى مصر قبل العصر

(٨) سفر نامه ، ص ٤٨ ، السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣٥

ص ١١٦ ، المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٨١ .

(٩) سجل رقم ٢٠ ، ص ٧٧ .

(١٠) انظر ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٣٧ .

(١١) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢١ .

الفاطمي(١٢) . ولم يعرف عدد النساء بالقصر الفاطمي ، ولكن يبدو أن عددهن كان كبيرا(١٣) ، إذ أنه عندما أخرج الخليفة المعاضد من القصر على يد صلاح الدين الأيوبي ٥٦٧/١١٧١ . كان يوجد بالقصر اثنتا عشر الفا ليس فيهن فحل الا الخليفة(١٤) .

ومن نساء القصر اللاتي أحرزن مكانة هامة ، هن زوجات الخليفة وحظاياها ، ولقد كان تعدد الزوجات سائدا بالنسبة لمعظم الخلفاء الفاطميين لاسيما في العصر الفاطمي الثاني ، على الرغم من أن الخليفة المعز اكتفى بزوجة واحدة ، وكان يحدث رعاياه على ذلك(١٥) . كما انتشر التسري واتخاذ الجوارى في القصر الفاطمي وأهم ما يميز زوجات الخلفاء أنه كان بينهن الأجنيبات والعربيات ، كما أن غالبيتهن من الجوارى أو الحظايا . لذلك نجد معظم أمهات الخلفاء أمهات أولاد(١٦) .

فضلا عن ذلك ، فإنه كان يطلق على زوجة الخليفة كلمة « جهة »(١٧) وهناك من يطلق عليها عبارة « الجهة العالية » وهي بلا شك تدل على امرأة حازت مكانة هامة ، وكانت هذه العبارة تطلق

(١٢) الخطط ، ١ ، ص ٢١٧ .

(١٣) سفرنامه ، ص ٤٨ .

(١٤) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٩٧ .

(١٥) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٢ .

(١٦) كانت الجارية عندما تنجب تسمى بأم ولد . انظر . ماجد ،

تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٩٠ .

(١٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

٢ ، ص ٣٧ . وكلمة جهة في اللغة اسم للناحية ، كما كان يكنى عن المرأة

الجليلة ، زوجة الخليفة أو حظيته ، وتستعمل مع أداة التعريف كلقب مؤنث

حقيقي . انظر . حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

على أكثر من امرأة ، مما يدل على وجود أكثر من امرأة هامة لدى الخليفة . لذا ترد عبارة « الجهات العالية » (١٨) في بعض الأحيان .

ولعل النساء الأقل حظوة قد أطلق عليهن لفظ « جهة » فقط ، هذا فضلا عما ذكره المقرئ (١٩) من عبارة « الجهات المحترمات » ، وربما هذا اللقب كان يطلق على زوجات الخلفاء بصفة عامة ، كما يورد أيضا عبارة « كباراء الجهات » (٢٠) ولعله يقصد به أيضا أما من حيث منزلة هؤلاء النساء ، أو من حيث أعمارهن أو على الأقل أولى زوجات الخلفاء . كذلك نجد عبارة « الجهة المعظمة » (٢١) وكان يقصد بها زوجة الخليفة المستنصر أم ابنه عبد الله .

كما يورد أحيانا عبارة « الدار الجلية » وهي تعنى أيضا امرأة حازت مكانة عالية من بين زوجات الخليفة ، وكذلك عبارة « الدار الجديدة » (٢٢) ، وربما يقصد بها أحدث زوجات الخليفة . ومن هذا يتضح أن كلا من كلمة جهة ودار استعملت في القصر الفاطمي لثقل على زوجة الخليفة .

وتجدر الإشارة انه كان لكل زوجة من زوجات الخليفة موظف خاص يطلق عليه لقب « أستاذ » وكانت الإشارة للزوجة معينة تكون مقترنة باسم الأستاذ الذي يقوم بخدمتها مثل جهة مكنون وجهة جوهر وجهة ظل (٢٣) ، وغير ذلك هذا الى جانب عدد من الموظفين

(١٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ .

(١٩) نفسه ، ١ ، ص ٣٩٨ .

(٢٠) نفسه ، ١ ، ص ٤٢١ .

(٢١) العاظم ، ٣ ، ص ٨٦ .

(٢٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١١ .

(٢٣) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ .

الأقل رتبة من الأستاذ توكلهم المرأة فى الاشراف على بعض أعمالها وكان يطلق عليه كلمة « وكيل » (٢٤) ، هذا فضلا عن عدد من المستخدمات (٢٥) . اللاتى يقمن بالأعمال العادية عند كل جهة ، ومن المؤكد أن عدد هؤلاء الموظفين ، كان يختلف من امرأة الى أخرى من زوجات الخليفة ، حسب المكانة التى شغلتها فى القصر الفاطمى .

ومن بين زوجات الخلفاء الفاطميين ، اللاتى ذكرن فى المصادر

السيدة المعزية (٢٦) :

ويبدو أن هذا الاسم كان من ألقابها ، الى جانب لقب « أم الأمراء » (٢٧) وهى زوجة الخليفة المعز وأم الخليفة العزيز ، وتدعى تغريد ويذكرها المقرئى باسم درزان أو درزارة (٢٨) . وهى أم ولد من أصل عربى (٢٩) ، تزوجها الخليفة المعز بالمغرب ، أى قبل الانتقال الى مصر . وكان للسيدة المعزية نشاط تجارى فى مصر ، إذ أنها كانت تبعت بالجوارى والعبيد من المغرب وتعرضهم للبيع فى مصر على يد وكيلها (٣٠) . كما تتميز بأنها تركت بعض الآثار العمرانية ، التى تنسب اليها مثل جامع القرافة وقصر القرافة وغيره مما سنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن منشآت المرأة ، وعلى الرغم أن دور هذه المرأة كان حضاريا ، ولم تقم بدور

(٢٤) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٢٥) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ .

(٢٦) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٨ .

(٢٧) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ .

(٢٨) نفسه ، ٢ ، ص ٢٨٥ ، اتعاض ، ١ ، ص ٢٣٦ .

(٢٩) نفسه ، ١ ، ص ٣١٨ .

(٣٠) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ .

سياسى ، فكان الخليفة المعز يتشاور معها أحيانا فى بعض أمور السياسة (٣١) .

السيدة العزيزية (٣٢) :

ويختلف المؤرخون فى أصل هذه المرأة وديانتها ، فيذكر البعض أنها سرية رومية أى يونانية (٣٣) ، كما يذكر ابن العميد (٣٤) ، أن الخليفة العزيز تزوج من امرأة نصرانية ورزق منها بنتا ، ولعل زواج الخلفاء بالنصرانيات ، راجع الى زواج الرسول (ص) من مارية القبطية أم إهراهم ، والتي كانت من بين الهدايا ، التي أرسلها المقوقس عظيم مصر الى الرسول (٣٥) .

ويكاد يخلط المؤرخون بين أم ست الملك النصرانية ، التي لا نعرف اسمها وأم الخليفة الحاكم ، ولكن مما يدل على أن النصرانية ليست أم الخليفة الحاكم ، أن ست الملك كانت تكبر الحاكم بستة عشر عاما ، ولم يرزق الخليفة العزيز خلال هذه الفترة الا بابن واحد ، وهو محمد الذى توفى طفلا الى جانب ما تشير اليه المصادر (٣٦) ، أن أم العزيز توفيت عام ٩٩٥/٣٨٥ ، ولما كانت الجارية عندما تنجب تصبح أم ولد فلعل محمد هذا كان ابن النصرانية ، أم ست الملك ، فضلا عن

(٣١) نفسه ، ١ ، ص ٢٥٢ .

(٣٢) نفسه ، ١ ، ص ٣٧٩ .

(٣٣) سير الابداء ، ٣ ، ورقة ٥٠ .

(٣٤) تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ ، انظر . ماجد ، الحاكم بأمر الله ،

ص ٢٤ .

(٣٥) انظر . بنت الشاطئ ، نساء النبى ، ص ٣٨٥ - ٣٩٧ .

(٣٦) اعلاظ ، ١ ، ص ٢٨٨ .

ذلك أن الخليفة العزيز قد تزوج من ابنة عمه ٣٦٩/٩٨٠ (٣٧) ، ولقد ولد الخليفة الحاكم بعد هذا الزواج فى عام ٣٧٥/٩٨٥ ، كما يذكر المقرئى (٣٨) أن أم الخليفة الحاكم تدعى رقية واسمها آمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز ، وأن ست الملك كانت تعادىها ، كما أنها عاشت بعد الخليفة العزيز ، وأن أرسانيوس البطريرك القبطى ، هو خال ست الملك وليس الحاكم (٣٩) ، ولذلك فمن المستبعد أن تكون السيدة العزيزية هى أم الخليفة الحاكم ، كما أن أمه تعتبر الزوجة الشرعية للخليفة العزيز ، ويذهب البعض أن السيدة العزيزية ، التى تشير إليها المصادر يقصد بها السيدة زوجة العزيز المسلمة وأم الحاكم (٤٠) .

ولما كانت هذه المرأة نصرانية على المذهب المكاانى - مذهب كنيسة القسطنطينية ، الى جانب ما حازته من مكانة لدى الخليفة العزيز ، فلقد كان لهذين العاملين أثر كبير فى سياسة العزيز نحو النصارى ، والتى تميزت بالتسامح الدينى والعطف عليهم ، مما أتاح لهم الفرصة فى الوصول الى الوظائف العليا ، كما استطاعت أن ترفع أخويها وتقربهما من الخليفة ، الذى أصدر قراراً بتعيين أخيه أريستس مطراناً على بيت المقدس ٣٧٥/٩٨٥ وأخيه الثانى أرسانى (أرسانيوس) مطراناً على القاهرة ثم بطريركاً على القاهرة ٣٩٠/١٠٠٠ (٤١) ، هذا فضلاً عن تقوية

(٣٧) نهاية الأرب ، ٢٦ ، ورقة ٤٧ . وقد أمهرها مائتى ألف دينار .

(٣٨) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٢٤ .

(٣٩) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٧ ، انظر . ماجد ، الحاكم ، ص ٢٥ .

(٤٠) انظر . عنان ، الحاكم ، ص ٤٤ .

(٤١) المصدر السابق ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٧ .

الطائفة المكانية في مصر ، ووضع يدها على بعض كنائس
اليعاقبة (٤٢) .

وكانت السيدة العزيزية تشارك في المناسبات الاجتماعية
المختلفة للمحيطين بها .

عام الأمرية (٤٣) :

وهي زوجة الخليفة الأمر بأحكام الله ، والتي يقال لها مكنون
الأمرية وقد أنجبت له ابنته ست القصور ، ولم تذكر المصادر أصل
هذه الزوجة ، ولكن من المرجح أنها كانت من البيت الفاطمي ، وربما
تذكر إحدى بنات أعمام الخليفة ، لأن مقدم صداقها كان كبيرا (٤٤) ،
ويدل على أنها من الطبقة الحاكمة ، هذا إلى جانب اهتمامها
بالإشراف وإرسال الأموال إليهم ، كما يبدو من ألقابها أنها كانت
أولى زوجات الخليفة الأمر ، إذ ورد من ألقابها في نقش على
محراب من الخشب من مصلى السيدة رقية لقب «الكبرى» (٤٥) .

كما يتضح من أعمالها أنها كانت امرأة خيرة ، تبعت
بالصدقات إلى البيوت الفقيرة ، وكذلك اهتمامها بالعجائز والأرامل
وببناء رباط لهن ، ولقد اهتمت أيضا ببناء بعض المساجد مثل مسجد
السيدة رقية ومسجد الأندلس وغيره ، وكان يقوم بأمر خدمتها
الأستاذ مكنون القاضي ، ثم الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن
يمن الفائزي (٤٦) .

ولما كانت هذه المرأة تنفق الكثير على منشأتها وأعمالها

(٤٢) انظر . المرجع السابق .

(٤٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٤٤) اتعاظ ، ٣ ، ص ١٢٣ . وكان مقدم صداقها أربعة عشر ألف دينار .
Berchem, Corpus, Egypte, n 457.

(٤٥) انظر .

Ibid.

(٤٦) انظر .

الخيرية ، لذلك كانت تتحين الفرصة للحصول على الأموال من الخليفة الأمر الذي كان لا يرد لها طلبا (٤٧) .

زوجة الأمر البدوية (٤٨) :

وهي جارية عربية عاشت في صعيد مصر ، ولقد سمع الخليفة عنها وكان معروفا عنه أنه يهوى العربيات ويبحث عنهن ، وبعد أن رآها بعث يخطبها من أهلها ، وتذكر المصادر أنها كانت جميلة وشاعرة . ويبدو أنها عندما جاءت إلى المدينة حيث قصر الخلافة سئمت أسوارها وحثت إلى حياتها في البادية ، فبنى لها الخليفة الأمر على شاطئ النيل بجزيرة الفسطاط التي تعرف بالروضة ، متنزها أطلق عليه « الودج » .

وكانت البدوية متعلقة بابن عمها ، الذي يدعى ابن مياح . حتى بعد زواجها ، وكانت ترسل إليه شعرا من نظمها تصف فيه أحوالها ، فتذكر أيامهما الأولى في البادية (٤٩) . وكانت هذه المرأة

(٤٧) المصدر السابق ، لما وهب الخليفة الأمر لفلانين له كل يوم مائتي ألف دينار عينا لكل واحد منهما مائة ألف دينار ، حضر إليها عشاء على عادته فأغلقت مقصورتها قبل دخوله وقالت له ، والله ما ندخل إلا أن تهب لي مثل ما وهبت لواحد من غلاميك فقال : الساعة ، ثم استلمى الفرائسين فحضرُوا ، فقال : هاتوا مائة ألف دينار الساعة ولم يزل واقفا على الباب إلى أن حضر الفرائسون له فدخل .

(٤٨) الخطط ، ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤٩) ومن شعرها :

مالك من بعدكم قد ملكا
نائلا ماشيت منكم دركا
لا أرى إلا خبشا مسسا
حيث لا نخشى علينا دركا
حينما شفاء ظليق سلكا

يا ابن مياح اليك المشتكى
كنت في حبي حبرا مطلقا
فانا الآن بقصر مؤسس
كم تشيننا بافصان اللوا
وتلاعينا برمسلات الحمى

تستغل منزلتها لدى الخليفة الأمر ، الذى يبدو أنه كان ضعيفا أمام نسائه ولا يستطيع أن يرد لاحدا من طلبا ، كما كن يكثرن من طلباتهن ربما محاولة من كل واحدة منهن لإثبات مكانتها عند الخليفة . كما كانت هذه المرأة تميل الى اقتناء الأشياء الثمينة حتى ولو كانت ملكا لغيرها (٥٠) .

جهة الدار الجديدة (٥١) :

وهى إحدى زوجات الخليفة الأمر ، وتدل هذه التسمية على أنها ربما كانت أحدث زوجات الخليفة الأمر ، أو لأنها كانت تسكن إحدى دور القصر ، التى أطلق عليها « الدار الجديدة » ، التى ذكرت فى موضع آخر أنه لا يحضر الى هذه الدار الا من كبرت منزلته (٥٢) . وكانت هذه الزوجة أيضا من النساء اللاتى تمتعن بمكانة هامة لدى الخليفة ، ان يطلق عليها « الجهة العالية بالدار الجديدة » (٥٣) كما كانت تسمى بجهة جوهر الذى كان يطلق عليه زمام الدار الجديدة ، وهو الأستاذ الذى كان يقوم بخدمتها الى جانب عشرين من جوارى القصر من المستخدمات (٥٤) .

الجهة الحافظية :

وهى زوجة الخليفة الحافظ المعروفة بجهة بيان الحسامى ، الذى كان يقوم بخدمتها ، وهذه الزوجة كانت جارية مغنية تعزف على

(٥٠) نفسه .

(٥١) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٥٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٢١ .

(٥٣) نفسه ، ١ ، ص ٤١٠ .

(٥٤) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ .

عود من جملة الجوارى اللاتى خصصن لمجالس الغناء والطرب فى
القصر الفاطمى ، ولقد تزوجها الخليفة الحافظ بعد ما تحققت
رؤيته ، وهو معتقل (٥٥) . ولا نكاد نعرف عن هذه الجهة شيئا سوى
أنها أمرت ببناء مسجد على يد أبى الفضل الصعدي .

(ب) أحوال نساء القصر :

أما عن أحوال نساء القصر بصفة عامة ، فلقد كان يشملهن
رعاية خاصة ، فهناك من كان يشرف على شئونهن ، ومن يقوم
بهذا العمل يعرف باسم زمام القصر ، الذى كان يشرف على
القصر وخاصة نسائه (٥٦) . ومما يدل على أهمية هذه الوظيفة ،
أنه كان لزمام القصر أربعة نواب ، يبدو أنهم ينوبون عنه فى
الشئون المختلفة للنساء وللقرى بصفة عامة . وكان هذا الموظف
يعتبر من بين الشخصيات المقربة لدى الخليفة والمطلعة على أسرارها ،
فكان يقف بجانب الوزير وزمام بيت المال انتظارا لجلوس الخليفة (٥٧)
وكان يخرج له من خزانة الكسوات بدلة مذهبة ولنوابه كل منهم

(٥٥) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٨ . وكان سبب اعتقال الحافظ ، أن ابن
الوزير الأفضل الذى يعرف باسم كتيفات سجن الخليفة رغبة منه فى الانتقام
من الفاطميين لقتل أبيه ، وقد رأى الخليفة وهو معتقل أنه قد جلس فى مجلس
من مجالس القصر وكان الخلافة أعيدت إليه ، والمغنيات قد
دخلن يغنين بين يديه ومنهن جارية معها عود فأنشأت تغنى قول أبى العتاهية :
اتته الخلافة منكادة إليه تجسر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو نالها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
فلما استيقظ كسر عليه الحبس بعد قتل ابن الأفضل وتحققت رؤيته
ورأى نفس الجارية تغنى ، فأعطاهما جوهرًا كثيرًا ، وقال لها : أن لك علينا
كل سنة مثل ذلك .

(٥٦) الخطط ، ١ ، ص ٣٨٦ .

(٥٧) نفسه .

بدلة حريري (٥٨) . وكان من بين اختصاصاته أنه كان يبلغ عن
تموت من أهل القصر ويشرف على ذلك حتى يتم دفنها في تربة
الزعفران المخصصة لدفن الخلفاء وذويهم (٥٩) . ولعل وظيفة زمام
القصر تشبه وظيفة « الزمام دار » في العصر المملوكي (٦٠) .

فضلا عن ذلك ، فكان لنساء القصر أطباء يطلق عليهم أطباء
الخاص للجهات ولحواشي القصر ، وكان يخرج لنساء القصر
من خزانة الشراب الادوية ، ويكون ذلك تحت اشراف هؤلاء
الأطباء (٦١) . ويبدو أن بعض النساء ممن كان لهن درجة مميزة
كان لكل واحدة منهن طبيب خاص (٦٢) .

وفيما يتعلق بأحوال نساء القصر المعيشية ، فكان يخرج لهن
مقررات مالية (٦٣) . هذا فضلا عما كان يوزع عليهن في بعض
المناسبات مثل موسم أول العام ، فكان يوزع من ضرب السنة
الجديدة على كل نساء القصر حتى العاملات فيه (٦٤) . هذا الى
جانب بعض المقررات العينية التي كانت تخرج لهن من بعض خزائن
القصر ، مثل ما يخرج من خزانة التوابل (٦٥) ، التي تصرف لهن
أنواعا مختلفة مثل الكافور والمسك والزعفران وعاء الورد ، وما يوزع

(٥٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ .

(٥٩) نفسه ، ١ ، ص . ص ٣٦٢ ، ٤٥٩ .

(٦٠) صبح الأمشي ، ٤ ، ص ٢١ ، ٥ ، ص ٥٩ ، انظر . ماجد ،

نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٣٢ .

(٦١) سطرنامة ، ص ٦٤ . المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ ،

(٦٢) انظر . Goltehn, Med. Soc. 11, P. 352.

(٦٣) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ .

(٦٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٤٦ .

(٦٥) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٠ .

عليهن من البساتين من النرجس والنخل الذى كان موقوفا برسيم
القصر (٦٦) ، فضلا عن ذلك كان يوزع عليهن الحلوى والأطعمة
فى بعض المناسبات مثل عيد الفطر ، وليلة رأس السنة الهجرية ،
ويبدو أن الأسمطة التى كانت تخص أهل القصر كانت تعمل بالايوان
بالقصر الفاطمى (٦٧) . كما كان يخرج لأهل القصر أيضا الدقيق
من الأهرام السلطانية (٦٨) ، وكذلك راتب من الثلج يخرج لهن
يوميا (٦٩) .

أما ما يخرج لنساء القصر من الكسوة (٧٠) ، فكان فى
مناسبات مختلفة الى جانب فصلى الصيف والشتاء ، وكانت كسوة
عيد الفطر كثيرة بصفة عامة حتى أطلق عليه « عيد الحل » وهذه
الكسوات كانت تخرج لكل امرأة حسب درجتها ، فمثلا زوجات
ال خليفة كن فى أعلى القائمة ، يليهن العمات وبنات الأعمام . كذلك
كان يخرج لهن من الأكفان لمن تموت . وتجدر الإشارة الى أن ما كان
يخرج لنساء القصر وغيرهم من الأنعام والعطايا والضحايا والرتب
من الكسوات كان يدون بدفتر خاص له مكان فى ديوان القصر (٧١) .

أما عن دور النساء الفاطميات فى القصر ، فكان يتمثل فى
المشاركة فى الاحتفالات ، التى كانت تقام بالقصر ، مثل الاحتفال
بالعيدين وليلة النصف من شعبان وآخر رمضان . ولما كانت هذه

(٦٦) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٢ .

(٦٧) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٦ .

(٦٨) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٦٥ .

(٦٩) سفر نامه ، ص ٦٤ .

(٧٠) ومنها العيدان ، وعيد الغدير وفتح الخليج وغرة شهر رمضان .

انظر المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١١ .

(٧١) نفسه ، ١ ، ص ٣٩٧ .

المناسبات دينية فكانت النساء يأتين بالمياه وتوضع أمام المقرئين لتشملها بركة القرآن كما كانت النساء يقمن أيضا بتوزيع الأموال وخلع الخلع على الخطيب والمقرئين والمؤذنين (٧٢) كذلك كانت نساء القصر يحضرن مجالس الشعر التي كانت تقام بالقصر ويغدون الأموال على الشعراء ، كلما سمعن شعرا يقال في مدح الخلفاء (٧٣) .

أما عن دورهن خارج القصر ، فكان مقصورا على اصطحاب الخلفاء لهن في نزوماتهم الى مناظرهم الكثيرة للتفرج (٧٤) . وكذلك في أعياد النصرى ، ولأسيما عيد الغطاس ، كما كان الخليفة المستنصر يخرج بنسائه الى جب عميرة كل عام في موسم الحج . ومن ذلك يتضح أن خروجهن رغم أنه اقتصر على ذلك ، إلا أنه كان كثيرا وذلك راجع الى حب الخلفاء الفاطميين للتنزه والتفرج .

(د) الألقاب :

أما عن الألقاب التي تميزت بها النساء الفاطميات ، فنجد أن الفاطميين بصفة عامة قد اهتموا باتخاذ الألقاب ، إذ أنها كانت من مراسيم الخلافة ، وإن كانت القاب الفاطميين امتدادا للألقاب ، التي شاع استعمالها في الدولة العباسية (٧٥) . كلقب « أمير المؤمنين » و « الامام » فضلا عن القاب الكناية المكانية مثل لقب « الحاضرة

(٧٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٩٢ .

(٧٣) النكت العصرية ، ص ٣٥ ، ٣٧ .

(٧٤) ومن مناظر الفاطميين ، منظره اللؤلؤة على الخليج ، ومنظره الدكة ومنظره المقس ، ومنظره البعل ، ومنظره التاج ومنازل العز والهودج بالرونة ومنظره السكره والاندلس بالقرافة والصناعة بمصر ومنظره باب الفتوح ، انظر . المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٦٥ .

(٧٥) انظر . حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٦٧ .

الشريفة ، (٧٦) وكذلك الألقاب ، التي استعملت للوزراء الفاطميين .
مثل لقب ، الوزير الأجل ، وكان يلاحظ على القاب الفاطميين أنها
كثيرة ومرتببة (٧٧) .

والألقاب الخاصة بالمرأة قد اقتصرت على المرأة الفاطمية مثل
زوجات الخلفاء وأخواتهم وبناتهم وعماتهم ولقد تنوعت هذه الألقاب ،
لأنها تدل على المكانة ، التي حازتها المرأة ، وكانت أحيانا المرأة
الواحدة تتلقب بعدة القاب ، ومن هذه الألقاب :

الجليلة :

وهذا اللقب قد أطلق على أم الخليفة المستنصر (٧٨) ، وكذلك.
زوجة الخليفة الأمر التي كانت تدعى علم (٧٩) .

السيدة (٨٠) :

وهي مؤنث السيد ، وهو لقب عام أطلق على النساء من
أميرات قصر الخلافة من زوجات وأخوات وكرائم وعمات الخلفاء
وكذلك بنات الأعمام (٨١) . ومن بين هؤلاء ست الملك وأم المستنصر
وأم المستعلي وغيرهن . وكان أحيانا يقترن هذا اللقب أى لقب

٧٦: السحوم ، ٢ ، ص ١٤ ، انظر . نفسه ، ماجد . نظم الفاطميين ،

١ ، ص ٧٧ .

(٧٧) الإشارة الى من نال الوزارة ابن المصيرفى ، ص ٥٦ ، انظر .

المرجع السابق ، ص ٧٠ .

٧٨: السيرة الأيدية ، ص ٨٤ .

٧٩: انظر . Berchem, Corpus, Egypte, 1, n. 457.

(٨٠) انظر . نفس المرجع ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٨١) الخط ، ١ ، ص ٤١١ .

السيدة بالانتساب الى الخليفة الزوج فمثلا نجد « السيدة المعزية » (٨٢) و « السيدة العزيزية » (٨٣) وكان هذا اللقب يعتبر نوعا من الاعزاز أو الافخار بالانتساب الى الخليفة ، أو ربما تمييزا ل تلك المرأة عن غيرها . ومن المعروف أن هذا الانتساب مازال معروفا حتى وقتنا هذا ، لاسيما بالنسبة للطبقات الحاكمة وهو انتساب الزوجة الى زوجها ، وهذا مثل ما كان معروفا أيضا في العصر الفاطمي « علم الأمرية » (٨٤) .

الشـرـيفة :

هذا اللقب من الشرف ، ولقد ظهر في الدولة الإسلامية ويطلق على اقرباء النبي وأهل بيته بصفة عامة ، ولقد صار لقباً عاماً على كل عباسي في بغداد وعلوي في مصر (٨٥) . ولقد استمر هذا اللقب يدل على أبناء فاطمة حتى وقتنا هذا .

وفي العصور الإسلامية كان هؤلاء الاشراف يأخذون راتباً من الحكومة ، لأنه قد حرمت عليهم الصدقة . وفي مصر في عهد الطولونيين كانت تجري لهم الجرايات (٨٦) ، وكان يطلق عليهم « الاشراف الطالبين » .

ولما كانت طبقة الاشراف كبيرة في الدول الإسلامية ، لذا كان لهم نقيب في كل مدينة من المدن الكبيرة . وكان نقيب العلويين في

(٨٢) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٨ .

(٨٣) اتعاظ ، ١ ، ص ٢٧١ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ٤٤٦ .

(٨٥) صبح الأعشى ، ٦ ، ص ١١٧ ، انظر . المرجع السابق ،

ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٨٦) انظر . مثل ، الحضارة الإسلامية ، ١ ، ص ٢٨٥ .

مصر في العهد الفاطمي من كبار رجال دار الخلافة ، وكذلك كان للأشراف قضاء مستقل يتولاه نقيبهم الذي يعينه الخليفة (٨٧) .
أما الأشراف الأقارب ، فكان لهم موظف يعرف « بزمام الأشراف الأقارب » وهو من الأستاذين المحنكين (٨٨) ، وكان من المقرين الى الخليفة وكذلك من المطلعين على أسرارهم مما يدل أيضا على أهمية هذه الوظيفة أن راتبه كان كبيرا (٨٩) .

أما عن نساء الأشراف ، فكان يتصفن بالتقوى والزهد ، وليس أدل على ذلك من حياة السيدة نفيسة (٩٠) ، التي حازت حب المصريين الذين رفضوا أن تخرج من مصر بعد وفاتها ٨٢٣/٢٠٨ ويتجلى حب المصريين أيضا بالنسبة لعامة أهل البيت في بناء الأضرحة والمشاهد لهم . مثل محراب السيدة نفيسة ، الذي صنع في خلافة الحافظ (٩١) . حين عمر مسجد السيدة نفيسة ، وجدد القبة على

(٨٧) الخطط ، ١ ، ص ٢٨٦ ، انظر . سرور ، الحضارة الاسلامية ،

ص ١٧٠ .

(٨٨) جمع أستاذ وهي كلمة من أصل فارسي تعنى عبيد القصر الذين يقومون بأعماله المختلفة . وكان يشرف على هذا الجهاز الضخم في القصر رؤساء لهم يعرفون بالأستاذين المحنكين لتمييزهم عن غيرهم نرى الحنك وهو ان يمر طرف العمامة تحت الحنك ليصعد من الجهة المقابلة ويلتف من جديد حول الرأس ، فكان هؤلاء يكونون الخاصة ، للخليفة ولهم نفوذ كبير . انظر . صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٨١ ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ١١ - ١٢ .

(٨٩) فكان راتبه يصل الى مائة دينار ، ويبدو ان هذا الراتب كان

يعم حواشي القصر الذين يشغلون مكانة متشابهة (انظر . صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٤٩٠) ، حسن ابراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٦٠ .

(٩٠) وهي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وزوجة إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق . انظر نفسه ، ١ ، ص ٤٤٠ ، ابن الريات ، الكواكب السيرة ، ص ٣١ - ٣٤ .

(٩١) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٢ .

الضريح أيضا • وكذلك مشهد السيدة كلثوم (٩٢) وهى بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصائغ بن محمد الباقر والتي ينتهى نسبها الى على بن أبى طالب ، وكانت من الزاهدات العابدات ، هذا فضلا عن مشهد السيدة رقية ، الذى بنقه علم الأمرية ١١٣٩/٥٣٣ (٩٣) • وكذلك وجود بعض العلويات فى مصر قبل العصر الفاطمى (٩٤) واتامتهن فى بعض المدن المصرية •

وكانت نساء الأشراف يقرن أحيانا ببعض الأعمال ، فنرى أنه فى العصر الطولونى ، كانت بعضهن يقرن بتربية الجمال وتأجيرها لحمل الأمتعة ولما كانت بعض الشريقات ، لا يجدن وسيلة للكسب فكن يلجأن للوقوف فى الطريق ويسألن ، ولما علم كافور الاخشيدى بهذا تفقد أحوال سائر الشريقات وأطلق لهن الأموال (٩٥) •

ومن خلال شواهد القبور ، التى وجدت فى الفسطاط وأسوان (٩٦) والتى ترجع الى العصر الفاطمى ، نجد أن هؤلاء الشريقات كن كثيرات فى ذلك الوقت ، كما أن شواهد قبورهن كانت أحيانا من الرخام مما يدل على ثراء بعضهن ، أو على الأقل قد تلقين رعاية من الخلافة الفاطمية ، كما كن يتميزن أيضا بميلهن للعبادة والتقوى •

ومن ثم كان لقب « الشريفة » يطلق على كل فاطمية عاشت

(٩٢) نفسه •

(٩٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٨ ، انظر . Wiet, Corpus, Egypt III, 591.

(٩٤) انظر . Repertoire, II n. 446, n 692 II, n 922.

(٩٥) انظر . سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٤٦ . Répertoire, 0 nt/010 6,; n 2119, 7 n 2725 (٩٦)

; Wiet, Catalogue du Musée Arabe, VIII, n 6718.

ابن الزيات ، ص ٨٨ ، ١٧٨ •

فى القصر الفاطمى ، وليس كل زوجات الخلفاء أطلق عليهن هذا اللقب ، لأنه لا يمنع من الخليفة ، وإنما هو دليل على شرف الدم كما أسلفنا . وكذلك الانتساب الى آل البيت ، ولأن بعض زوجات الخلفاء كن من غير المنتسبات الى البيت النبوى لذا نجد مثلاً أم المستنصر لم تلقب بهذا اللقب ، لأنها كانت فى الأصل جارية . ومن هؤلاء النساء اللاتى حملن هذا اللقب سيدة الملك (٩٧) وابنة الظاهر (٩٨) وابنة الحافظ (٩٩) وغيرهن .

الرحيمة :

وهو من القاب كل من ابنة الخليفة الظاهر وأخت الخليفة المستنصر (١٠٠) وكذلك أم الخليفة المستعلى (١٠١) .

الطاهرة :

من القاب ابنة الخليفة الظاهر (١٠٢) ، كما أنه وجد على مشاهد القبور الخاصة ببعض النساء العلويات (١٠٣) .

السكرية :

من القاب ابنة الخليفة الظاهر كذلك وأم الخليفة المستعلى (١٠٤) وزوجة الخليفة الأمر بأحكام الله التى تدعى علم الأمرية (١٠٥) .

-
- (٩٧) التحف والذخائر ، ص ٦٨ .
 - (٩٨) 'السجلات المستنصرية' ، سجل رقم ١٥٢ ، ص ١٧١ .
 - (٩٩) التكت المصرية ، ٣٧ .
 - (١٠٠) المصدر السابق ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .
 - (١٠١) نفسه ، سجل رقم ٢٥ ، ص ١٠٩ .
 - (١٠٢) نفسه ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .
 - (١٠٣) ابن الزيات ٤٥ - ٤٦ ، ٨٨ .
 - (١٠٤) المصدر السابق سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ ، سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ .

Berchem, Corpus, Egypte, I, n 457.

(١٠٥) انظر .

المحروسة :

وهو من القاب النساء ، ولقد ورد ضمن القاب السيدة علم
الأمرية فى نقش بتاريخ ١١٦٠/٥٥٠ على محراب من الخشب من
مسجد السيدة رقية كما أسلفنا (١٠٦) . اذ أن القاب هذه المرأة كانت
كثيرة ووردت على بعض القطع الأثرية .

الملكة :

وهى صفة مؤنت الملك ، وهو من القاب النساء ، وهذا اللقب
لا يشير الى الرئاسة العليا التى يعبر عنها لقب الملك بالنسبة
للرجال ، بل كان يعبر عن الجليلات من النساء من أفراد البيوت
المالكة (١٠٧) . وكان من القاب أم الخليفة المستنصر (١٠٨) ، وكذلك
لقبت به كل من ابنة الخليفة الظاهر (١٠٩) وأم الخليفة
المستعلي (١١٠) .

مولاتنا :

هذا اللقب مؤنت لقب « مولانا » الذى استعمل للخلفاء
العباسيين ، وكذلك الفاطميين ، كما أطلق أيضا على الوزراء (١١١)
ولقد كانت ست الملك تخاطب « بمولاتنا » (١١٢) كما أن أم الخليفة

Ibid.

(١٠٦) انظر .

(١٠٧) انظر . حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٥٠٦ .

(١٠٨) المصدر السابق ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ .

(١٠٩) سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .

(١١٠) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ .

(١١١) انظر . المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١١٢) النجوم ، ص ١٨٥ .

المستنصر كان يخاطبها الرجال فى حضرة ابنها « بمولاتهم » (١١٣) وكذلك ابنة الخليفة الظاهر كانت تخاطب من كبار رجال الدولة بهذا اللقب .

(د) العلامات :

وتوجد للنساء الفاطميات علامات ، والعلامة هى ما كان يوقع به الخلفاء الفاطميون على الأوراق الرسمية والمكاتبات الخاصة بهم لاعطائها الصفة الرسمية ، وهذه العلامة كانت على هيئة تبارزة بيضية ، وكانت تاتى فى المكاتبات الرسمية بعد البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) (١١٤) . وتقع العلامة بجانبها ، وكانت علامة الخلفاء الفاطميين بصفة عامة « الحمد لله رب العالمين » .

أما العلامات الخاصة بالنساء الفاطميات ، فلقد كانت مختلفة ، على الرغم من أنه لم يصلنا منها الا القليل . فلقد كانت علامة أم الخليفة ، المستنصر وابنة الخليفة الظاهر - أخت المستنصر هى « الحمد لله ولى كل نعمة » (١١٥) . أما علامة أم الخليفة المستعلى فكانت « الحمد لله على نعمة » (١١٦) .

(هـ) الثروات :

كما ذكرت المصادر الثروات الكثيرة التى خلفتها الأميرات الفاطميات ، والتى تمثلت فى الجواهر والتحف الثمينة ، وهذه

(١١٣) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(١١٤) السجلات المستنصرية ، ص ١٣ ، الخطط ، ١ ، ص ٤٠٣ .

(١١٥) نفسه ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ ،

سجل رقم ٢٨ ، ص ٩٦ .

(١١٦) نفسه ، سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ .

الثروات كانت تأتي لهن عن طريقين ، الأول عن طريق الوراثة ، وهذا أدى بالطبع الى كثرة هذه الثروات ، فمن المعروف ان البنت في المذهب الشيعي تراث كل ما يترك أبوها اذ لم يكن لها أخ ولا اخت (١١٧) هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بعض هؤلاء الأميرات قد عمرن كثيرا ، مما أتاح لهن الفرصة في تكديس مثل هذه الثروات أما الطريق الثاني ، فكان يأتي اليهن من الهدايا التي كانت تقدم لتلك الأميرات من الملوك أو غيرهم (١١٨) . هذا فضلا عن ميهلن أيضا الى اقتناء الأشياء الثمينة والنادرة .

وعلى الرغم من أن حياة الخلفاء الفاطميين في مصر اتسمت بالرخاء والبذخ ، فقد مال الخلفاء الفاطميون في المغرب ، ولاسيما الخليفة المعز ، الذي سار على نهج من سبقوه الى الميل الى التقشف والحياة البسيطة فكان يعيش في حجرة متواضعة قد فرشست باللبود ، ويظهر أمام رعاياه في مجالس اتسمت بالبساطة (١١٩) . وكان السبب في ذلك ، أنه كان يعد العدة هو ومن سبقه من الخلفاء للقدوم الى مصر لاقامة خلافة فاطمية بها ، ولما كانت هذه الحملات العسكرية ، التي كانت تبعث الى مصر تتكلف الكثير فكان لابد من تسخير كل الامكانيات اللازمة لتحقيق ذلك . ولكن تبدل حال المعز ، بعدما انتقل الى مصر فمال الى حياة الترف هو ومن بعده ويكفي أنه هو الذي استن تلك الرسوم والحفلات التي كانت تقام بالقصر وكانت تتميز بالبذخ والترف (١٢٠) .

(١١٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ١١١ .

(١١٨) التحف والذخائر ، ص ٨١ ، ٨٣ .

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، انظر . ماجد ، ظهور خلافة

الفاطميين ، ص ٣٠٧ .

(١٢٠) النجوم ، ٤ ، ص ٧٩ .

كما أن ثروات النساء كانت تشتمل على تحف نادرة ، وأشياء
ثمينة ، لأن الخلفاء الفاطميين كانوا يميلون إلى جمعها ، فكان
ال خليفة العزيز يهوى التحف ، ولا سيما البللور (١٢١) . والخليفة
الظاهر يكثر من شراء الجواهر ، كما كان الخليفة المستنصر يميل
أيضا إلى جمع التحف الثمينة (١٢٢) .

أما عن هذه الثروات التي كانت لدى الفاطميات ، فمن أمثلتها
ما تركته سيدة الملك أخت الخليفة المعز ، والتي توفيت في خلافة
أخيها ، فوجد لها من الذهب ثلاثمائة صندوق ومن الفصوص الياقوت
المؤونة واللؤلؤ . كما وجد لها من الشقق الحريرية ثلاثون ألف
شقة (١٢٣) .

كما تركت السيدة رشيدة ابنة المعز والتي ماتت في عام ٤٤٢ /
١٠٥٠ (١٢٤) ما يقرب من مليون ونصف من العملة الذهبية ومائة
فأطرميز (١٢٥) ، مملوءا كافورا قيصوريا (١٢٦) ، كما وجد لها
معممات بجواهرها من أيام الخليفة المعز ، وكذلك ثلاثون ثوب خن

(١٢١) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١٤ .

(١٢٢) انظر . المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

(١٢٣) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ ، والعنقة ليست ثوبا كاملا ، ولكن
قطعة منه انظر . Dozy, Suppl, 1, P. 773.

(١٢٤) التحف والذخائر ، ص ٢٤١ ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ .

(١٢٥) وهو نوع من الأرمية التي لها عنق صغير وفتحة واسعة له
خطاه ، انظر . Ibid, II, P. 482.

(١٢٦) وهو منسوب إلى موضع من بلاد الهند من ناحية سرنديب ،
انظر . Ibid, II, P. 366.

حرير(١٢٧) ، واثننا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا - من
لحون واحد(١٢٨) .

أما السيدة عبدة ، والتي توفيت فى نفس العام(١٢٩) ، مما يدل
على كثرة ثروتها أن صناديقها وخزائن حليها استعمل للمختم عليها
أربعون رطلا من الشمع ، كما أن البطائق التى دونت فيها متاعها
بلغت ثلاثين رزمة ورق . ومن أمثلة التحف التى تركتها . أربعمئة
صندوق « قمطرا » وثلاثمئة قطعة مينا فضة مخرمة ، وأربعمئة
سيف محلى بالذهب ، وثلاثون ألف شقة صدقية ، ومن الجواهر
خمسة أكياس من الزمرد ، هذا الى جانب ما وجد لها من مدهن
ياقوت وتسعون طستا وتسعون ابريقا من صافى البللور .

أما ما خلفته ست الملك أخت الخليفة الحاكم ، عدة تحف من
الجواهر والقماش ، كما وجد لها أربعة آلاف جارية ما بين بيض
وسود ومولدات مهن ألف وخمسمئة أكارا والبقية ثيابات(١٣٠) ،
كما كان لها اقطاع قد منح لها عام ٣٨٩/٩٩٩(١٣١) . فى ضياع
الصعيد وكذلك فى الوجه البحرى، وكان يدر لها مبلغا كبيرا سنويا ،
هذا فضلا عن الدور والبساتين التى منحت لها أيضا .

كذلك تركت ابنة الخليفة الحاكم بأمر الله ، والتى تدعى ست

Ibid, 1; P. 367.

(١٢٧) انظر .

(١٢٨) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٧ ، هامش رقم ٦ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ .

(١٣٠) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ .

(١٣١) انظر ، ٢ ، ص ٣٣ . ومن المناطق التى كانت تشمل نيباع

ست الملك بونيج من أعمال اقليم السيوطية وهى الآن أبو بيج ، وصهرشت ،

ولعلها صهرجت الحالية . (انظر . الخطط التوفيقية ، ١٣ ، ص ٢٧) .

مصر (١٣٢) عن التحف مما يدل على ثرائها البالغ ، ولعلها كانت تحظى بمكانة عالية ، لدى أبيها وهذا يتضح من اسمها ، إذ أنه كان من الشائع في تلك الفترة أن غلبت كلمة « ست » على الاسماء المزوجة مثل اسم « ست الملك » أخت الخليفة الحاكم ، وكذلك بالنسبة لاسماء المصريات ، فقد غلب عليها هذا الطابع مثل اسم « ست الأهل » (١٣٣) و « ست الحسن » (١٣٤) ، لكن اسم ست مصر يعتبر كنوع من الاعزاز لهذه المرأة وقد تركت ست مصر ثمانية آلاف جارية وجوهر ، وكان لها اقطاع يغل لها في كل سنة مبلغا كبيرا . ربما قد منحه لها الخليفة الحاكم .

أما ثروات أم الخليفة المستنصر ، فكانت كثيرة ، إذ كان لها خزائن تشبه خزائن الخلفاء ، وكان لها عشاري خاص محطى بالفضة ، وعرف بالفضى وكذلك أربعة آلاف سرج وآلات فضية (١٣٥) .

ويرى البعض (١٣٦) ، أن هذه الثروات، التي ذكرها المؤرخون بالنسبة للفاطميين ونسائهم لا يمكن تصديقها . ولكن يبدو أن وجود

(١٣٢) التحف والذخائر ، ص ٢٤٠ ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(١٣٣) انظر . Ashtor, Histoire des prix, P. 218.

(١٣٤) انظر . سعاد ماهر ، مدينة أسوان ، لوحة رقم ١١٧ .
(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ، انظر . ماجد ، المستنصر .
ص ١٧٠ والعشاري هي سفينة نيلية تركب في المناسبات الرسمية مثل فيض النيل ويوم فتح الخايج (انظر . صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٥٢٠) ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ . وكان عشاري أم المستنصر قد منله لها وزيرها أبو سعد التستري ١٠٤٥/٤٣٦ ولقد قلوت الفضة ، التي استعملت فيه بمائة ألف وثلانين ألف درهم ، وأما أجرة صناعته فبلغت ألفين وأربعمائة دينار . الخطط ، ١ ، ص ٤٧٩ .

(١٣٦) انظر . لينبول ، سيرة القاهرة ، ص ١٣٢ .

هذه الثروات كان أمرا طبيعيا لدولة عاشت فى ترف بالغ وكل ما يحيط بها يدل على ثرائها وغناها ، كما أن ثروات بعض النساء يمكن تصديقها ، فنرى كلا من عبدة ورشيعة ابنتى الخليفة المعز قد توفيتا فى عهد الخليفة المستنصر ، وهذا يدل على أنهما عاشتا فترة طويلة ، ربما تجاوزت التسعين عاما مما أتاح لهما الحصول على هذه الثروات الكثيرة (١٣٧) .

وعلى الرغم من هذه الثروات التى تركتها بعض النساء ، والتى تدل على الثراء الفاحش ، إلا أن بعض النساء مع ذلك كن يكتفين فى معيشتهم بالقليل ، كما كان منهن الزاهدات فى الدنيا الحريصات على العمل ، فنجد أن أخت الخليفة المعز ، التى تدعى ست الملك كانت لا تأكل إلا من ثمن غزلها حتى وفاتها (١٣٨) ، ولعلها كانت مازالت متأثرة بمعيشة الفاطميين فى المغرب من قبل .

(و) المنشآت :

تدوعت المنشآت التى خلفتها المرأة ، سواء التى أمرت بانشائها وإنفقت عليها ، أو التى بنيت لها من قبل الخلفاء ؛ ولعل اهتمام المرأة بإقامة بعض المنشآت ، يرجع أساسا الى ميل الخلفاء الفاطميين الى العمران الذى شمل البلاد فى عهدهم من قصور ومناظر ومساجد وغيره .

ولقد تميزت منشآت المرأة فى تلك الفترة ، بأنها كانت فى الغالب منشآت دينية كالمساجد والأربطة الى جانب القصور ولقد اندثرت هذه المنشآت فى معظمها ولم يتبق منها سوى ما ذكرته

(١٣٧) التحف والدخائر ، ص ٢٤١ .

(١٣٨) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ .

المصادر التاريخية من وصف لها . كما تميزت هذه المنشآت بأنها خارج القاهرة ومعظمها فى القرافة (١٣٩) .

جامع القرافة :

وهو أحد منشآت السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز ، والتي تعتبر فى مقدمة النساء اللاتي تركن اثارا تحمل اسماءهن وترجع للعصر الفاطمي . ومن الملاحظ أن السيدة تغريد بدأت فى اقامة هذه المنشآت بعد موت الخليفة المعز بعام واحد (١٤٠) ، ولعل مرجع ذلك أن المعز كان يميل الى التقشف فلم يتح لها الفرصة فى انفاق الأموال الكثيرة على اقامة تلك المنشآت ، على الرغم أنه قد تغير حاله بعدما جاء الى مصر كما أسلفنا . أو أن الخليفة العزيز بما عرف عنه من الجود والسخاء ، فلم يمنع عن أمه هذه الأموال ، أو على الأقل أنها أرادت بعد موت الخليفة المعز أن تتفرغ لهذا النشاط ، لاسيما أنها قد عمرت طويلا .

ولما كان بناء جامع القرافة فى عام ٩٧٦/٣٦٦ ، فهو يعد ثانى جامع أقامه الفاطميون فى مصر بعد الجامع الأزهر ، ولذلك جاء على هيئته من حيث أنه مربع الزوايا وعلى جوانبه أروقة كما كان لجامع القرافة منارة عالية ، أما بابه فكان له مصطبة عالية تحت هذه المنارة من المئذنة - وله عدة أبواب مصفحة بالحديد ولقد تميز بألوانه المختلفة ، التي قام بعملها جماعة من فناني البصرة ، كما

(١٣٩) وتقع القرافة جنوبى القاهرة ، وكانت مقبرة لأهالى مصر ، وكانت مليئة بالأضرحة والمشاهد والمساجد والاربطة ، وكانت تتصل بالقاهرة بالمبانى والقصور البديعة ، كما أنها كانت قليلة المساكن انظر . صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٤ .

(١٤٠) توفى المعز ٩٧٥/٣٦٥ . المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٥٤ .

قام بتصميمه الحسن بن عبد العزيز المحتسب ، وهذا الجامع يقع بالقرافة الكبرى خارج القاهرة . ولقد كان ملحقا بهذا الجامع بستان وصهريج للمياه من جهة الغرب (١٤١) .

وكان جامع القرافة كسائر الجوامع الكبيرة في مصر والقاهرة يقام فيه صلاة الجمعة (١٤٢) ، ويخرج له في ليالى الوقود مقرر من الزيت (١٤٣) . كما كانت تشمله تلك الصدقات ، التي كانت توزع على المساجد (١٤٤) ، ويقام فيه سباط في ليالى الوقود وله أيضا صدقة للفقراء وأهل الربط ، التي حوله ولعله كان يقام به حلقات وعظ ودرس مثل بقية الجوامع .

وقد تم تجديد هذا الجامع في خلافة الأمر بأحكام الله ووزارة المأمون البطائحي ٥١٦ / ١١٢٢ واختير للاشراف عليه بعض الصالحين كما ألحق به طاحونة تستخدم لطحن أقوات الضعفاء (١٤٥) وكانت هذه الطاحونة ملحقة بسبيل تابع للجامع (١٤٦) ولعله كان

(١٤١) الخطط ، ٢ ، ص ٣١٨ .

(١٤٢) نفسه ، ٢ ، ص ٢٤٥ .

(١٤٣) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٦ . ليالى الوقود هي أربع ليال مباركة منها أول رجب ونصفه وأول رمضان ونصفه ، يخرج فيهم موكب كبير من رجال الدين وفي أيديهم الشموع الى المنطرة التي يجلس فيها الخليفة ، يستمع الى خطب أئمة جوامع القاهرة ومصر الكبرى عن فضائل هذه الشهور . انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص . ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(١٤٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٠٨ .

(١٤٥) نفسه ، ٢ ، ص ٣١٩ .

(١٤٦) السبيل في الاصل كان يلحق بالمسجد في أحد أركانه للشرب . وفي أغلب الأحيان كان يعلوه كتاب لتحفيظ الأطفال القرآن ، ثم أصبحت هذه الابنية بعد ذلك منفصلة في العصور اللاحقة . انظر كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية ، ص ٢٠ .

مقاماً مع بداية نشأة الجامع بجانب الصهرية ولقد تعرض هذا الجامع للحريق عند خراب الفسطاط عام ١١٦٨/٥٦٤ ولم يتبق منه سوى المهراب ، وكان يعرف هذا الجامع بعد العصر الفاطمي بجامع الأولياء ، وربما كانت تقام فيه الجمعة ، وقد زال ولم يبق فيه إلا آثار بعض جدرانها (١٤٧) .

مسجد النورج :

ويبدو أنه أطلق عليه هذا الاسم لأن نارنجه لا ينقطع أبدا . ولقد أقامته زوجة الخليفة الناصر التي تعرف بجهة الدار الجديدة في عام ١١٢٨/٥٢٢ وأخرجت له أموالاً كثيرة وكان يقع هذا المسجد خارج القاهرة أيضاً بجانب سقاية ابن طولون بالفسطاط في مقابلة القمامة الكبرى . ولقد قام بالإشراف عليه الأستاذ افتخار الدولة ومعز الدولة الطويل (١٤٨) . ولم توجد منشآت لهذه المراءة سوى هذا المسجد .

مسجد الأقليس :

أقامته السيدة علم الأمرية التي تعتبر مثل السيدة تغريد في ميلها إلى إقامة المنشآت العديدة . ولقد كان هذا المسجد يقع شرقي القرافة الصغرى بنته عام ٥٢٦ / ١١٣٢ على يد الشيخ أبي تراب الصواف ، الذي كان يباشر أعمالها كوكيل عنها (١٤٩) .

(١٤٧) ، الخطوط ، ٢ ، ص ٢٢٠ ، انظر . سعاد ماهر ، مساجد مصر ، ١ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .
(١٤٨) نفسه ، ص ٤٤٦ .
(١٤٩) نفسه ، انظر . أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ١ ، ص ١٠٣ .

مسجد السيدة رقية :

وهو يعد من منشآت السيدة علم أيضا (١٥٠) أقامته على يد
أبى تراب حيدرة ومن المحتمل أن بناء هذا المسجد تم فى عام ٥٢٧/
١١٣٣ وهذا يتضح من الكتابة الكوفية التى تحيط برقبة القبة لهذا
المسجد (١٥١) . كما أن بهذا المسجد قابوتا خشبيا عليه نقوش كتابة
كوفية جاء فيها « هذا ضريح السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على بن
أبى طالب صلوات الله عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى
يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبو تراب
حيدرة بن أبى الفتح فرحم الله من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة بسمك صدق الله » (١٥٢) .

هذا فضلا عن المحراب الذى كان يوجد بالمشهد ثم نقل الى
متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (١٥٣) وبه نقوش كتابة كوفية نصها
« ما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان
يقوم بخدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن
الأمير السديد عفيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى الصالحى برسم
مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على » (١٥٤) . وهذا المحراب
يرجع تاريخه الى ما بين ١١٥٥/٥٥٠ ، ١١٦٠/٥٥٥ .

(١٥٠) نفسه ، ص ٤٤٨ ، انظر . نفسه .

(١٥١) انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٠٣ . ولقد جاء منها بعد
البسملة وثلاث آيات من القرآن الكريم ما نصه وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا فى شهر ذى القعدة
سنة سبع وئشرين وخمسمائة وحسبى الله .

(١٥٢) انظر . Wiet, Corpus, Egypte, II, n 591.

(١٥٣) سجل رقم ٤٤٦ .

(١٥٤) انظر . Berchem, Corpus, Egypte, I, n 457.

وهذا يدل على أن السيدة علم بعد انشاء هذا المسجد في
عام ١١٣٣/٥٢٧ ، جعلت منه مشهدا وزودت هذا المشهد في عام ٥٣٣/
١١٣٩ بضريح للسيدة رقية وبمحراب خشبي عام ٥٥٥/١١٦٠ (١٥٥) .
ولقد أهمل هذا المسجد فترة طويلة . ثم أصلحته وأعادت
بناؤه فدخله مصلحة الآثار (١٥٦) .

مسجد أم عباس (١٥٧) :

وتدعى بلارة وهي مغربية الأصل ، تزوجت من ابن
السلار (١٤٨) الذي كان وزيرا في عهد الخليفة الظافر ، وهي أيضا
أم عباس الذي نافس ابن السلار وأخذ منه الوزارة عام ١١٥٣/٥٤٨
بعد أن تم قتله . ولقد أقامت هذا المسجد في عام ١١٥٢/٥٤٧ .
غربي المقابر بالقرافة الكبرى . وهي أن لم تكن من ساكنات القصر ،
لكنها كانت على الأقل من نساء الطبقة الحاكمة .

مسجد جهة ريحان :

بنته إحدى زوجات الخليفة الحافظ بالقرافة الكبرى أيضا ،
وريحان هذا ، استاذ كان يقوم بخدمتها ، كما قام بتجديده في عام
١١٤٧/٥٤٢ (١٥٩) .

مسجد جهة بيان :

وهي إحدى جوارى القصر المغنيات كما ذكرنا آنفا وكانت

(١٥٥) انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٠٤ .

(١٥٦) نفسه .

(١٥٧) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٧ .

(١٥٨) نفسه .

(١٥٩) نفسه ، ٢ ، ص ٤٤٨ .

زوجة الخليفة الحافظ ، وتم بناء المسجد على يد رجل يعرف بابن
الموفق (١٦٠) .

الأربطة (١٦١) :

ومفردها - رباط - وهي أساسا كانت نوعا من المباني
العسكرية يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام ، وهذه
الأربطة، معظمها ابنية مستطيلة الشكل وتوجد في أركانها أبراج
للمراقبة ، ولما زالت عنها الصفة العسكرية أصبحت بيوتا للتقشف
والعبادة يسكنها الصوفية وأصبحت أشبه بزاوية تؤدي فيها الشعائر
الدينية دون الجمعة حيث لا يوجد بها منبر ولا منارة ، وكان يلحق
بها مساكن للفقراء المنقطعين وفيها ما كان يخصص للنساء ، إذ أنها
كانت بمثابة دور لكفالة المرأة حيث تقيم البنات حتى يتزوجن
والمطلقات وكذلك الأرامل والعجائز من النساء وكذلك العابدات .

ولقد اهتمت المرأة الفاطمية بانشاء مثل هذه الأربطة كنوع من
المشاركة الانسانية للعجائز والأرامل والمنقطعات للعبادة ، ولعل
هذه الظاهرة مرتبطة بنساء الطبقة الحاكمة ليس فقط في العصور
الوسطى ، ولكن في العصور الحديثة أيضا من خلال قيام بعض
النساء من زوجات الحكام بانشاء بيوت للمسنين والمعوقين في وقتنا
الحاضر .

ولقد كانت هذه الأربطة التي أنشأتها المرأة في العصر الفاطمي،
في الغالب توجد في القرافة الكبرى (١٦٢) ، وكانت تخرج لها

(١٦٠) نفسه .

(١٦١) انظر . كمال الدين سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ،

ص ٤٠ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية ، ١ ، ص ١٣٥ .

(١٦٢) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٤ .

الجرايات والتي تتمثل فى الصدقات وبعض الاجتياحات العينية من قبل منشئها ، كما كان يقام بهذه الأربطة مجالس للوعظ . ولم يقتصر بناء الأربطة على المرأة ، بل شاركها فى ذلك الرجل وأوقفها على النساء العابدات كعمل من أعمال الخير التى كانت تقدم فى تلك الفترة .

ولقد كانت هذه الأربطة ملحقة ببعض المساجد التى قام بإنشائها هؤلاء النساء ، ولعله كان تقليدا شائعا أن يبني المسجد وبجواره رباط ولذلك كان هناك رباط الأندلس ورباط الحجازية ولذا عرف باسمها . ثم رباط الحسبة رياض بجوار مسجدها أيضا (١٦٣) .

المصليات (١٦٤) :

وبناؤها يعد نوعا آخر من المنشآت الدينية ومنها :

مصلى المغافر :

وعرف أيضا بالأندلس ، كان قد جدد فى أيام الدولة الاخشيدية ثم أعادت بناءه السيدة علم الأمرية ، ولعلها كانت مجموعة أطلق عليها جميعا الأندلس منها المسجد والرباط والمصلى وكان انشاء هذا المصلى عام ١١٣١/٥٢٦ .

مصلى جهة العسايل :

وهى بلا شك بلارة المغربية التى بنت المسجد الذى عرف بها كما تقدم .

(١٦٣) نفسه ، ٢ ، ص ٤٥٤ .

(١٦٤) نفسه .

الأحواض :

على الرغم من أن بناء الأحواض لتخزين المياه كان مرتبطا بالمدن،
التي تعتمد على مياه المطر ، لتجمع في الأحواض التي تسمى
مصانع (١٦٥) ، فنجد مع وجود وفرة مياه نهر النيل أنه قد أنشئت
بعض هذه الأحواض ، ولعل الغرض من انشائها كان أن تغذى الدور
والمساجد في المناطق البعيدة نسبيا بالمياه ، وبناء الأحواض يعتبر
أيضا من الأعمال الخيرية وخاصة إذا كانت مرتبطة بالمساجد . ومن
الأحواض التي أنشأتها المرأة في القرافة :

حوض القرافة (١٦٦) :

أمرت ببنائه ست الملك عمه الخليفة الحاكم وابنة الخليفة المعز
في عام ٩٧٦/٣٦٦ . ولقد تم تجديده مرتين ، مرة في أواخر عهد
الفاطميين ومرة أخرى في عهد الدولة الأيوبية .

حوض في داخل قصر أبي المعلوم (١٦٧) :

وهو من جملة منشآت السيدة أم الخليفة العزيز على يد
المختسب الفارسي الذي صمم لها بناء جامع القرافة ، ولما كانت
هذه المرأة تمتاز بكثرة منشآتها ، لذا حدث خلط عند بعض المؤرخين
في شأن هذه المنشآت فمثلا يذكر أن هذا الحوض قد بنى قبل العصر
الفاطمي وجددته عمه الخليفة الحاكم كما أن فوارة - نافورة -

(١٦٥) ذكر ناصر خسرو أنه كان بمدينة تنبس سهاريج عاصمة المياه
مبنية تحت الأرض وتعرف بالمصانع وكانت هذه السهاريج أو المصانع تملأ
بمياه النيل الحلوة عند الفيضان وتستخدم في السنة التالية (سفر نامه ،
ص ٣٩) .

(١٦٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٤٥٩ .

(١٦٧) نفسه .

جامع أحمد بن طولون ، التي احترقت في عام ٩٨٦/٣٧٦ ، قد نسب تشييدها للسيدة تغريد أيضا (١٦٨) ، في حين أن البعض شكر أن الخليفة العزيز هو الذي أمن ببيتائها عام ٩٩٥/٣٨٥. هوضا عن التي احترقت ، ولعل مرجع ذلك أيضا أن هذه المصادر غير مغايرة للفترة الفاطمية .

أما القصور ، فهي من المنشآت التي حملت اسم المرأة أيضا ، ولكنها كانت قليلة ومنها قصر القرافة ومنظرة منازل العز ، والقصر الغربي والهودج اللذان بنيا من أجل المرأة .

قصر القرافة (١٦٩) :

وهو من منشآت السيدة تغريد أيضا . أقامته في القرافة في عام ٩٧٦/٣٦٦ ، ولعل السبب في بنائه أن يكون متنزها لها خارج القاهرة التي خصصت كمقر للحكم ، ولأسيما بعد موت زوجها الخليفة المعز . ولما كانت القصور الإسلامية في الغالب يلحق بها عدة منشآت (١٧٠) ، لذا نجد أنه كان بجانب قصر القرافة من ناحية الغرب حمام وبئر للماء وبستان عرف بالتاج ، كما كان بهذا القصر منظرة محمولة على البئر وكذلك حوض لسقى الدواب ، وهو الحوض الذي ذكرناه آنفا . ولقد ظل هذا القصر من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين ، وقام الخليفة الآمن عام ١١٢٦/٥٢٠ بتجديده وعمل تحته مصطبة للضيوف ولعلها الاضافة الوحيدة لذلك القصر (١٧١) .

(١٦٨) الانتصار ، ٤ ، ص ٩٣ .

(١٦٩) المرجع السابق ، ١ ، ص ٢٦٨ .

(١٧٠) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٢ .

(١٧١) نفسه ، ١ ، ص ٤٨٦ ، ٢ ، ص ٤٥٣ .

منظرة منازل العز :

وهي أيضا من منشآت السيدة تغريد ، وكانت هذه المنظرة تشرف على النيل كبقية المناظر ، التي أقامها الفاطميون ، وهذا لأن هذه المناظر كان الغرض منها التنزه والتفرج على النيل في المواسم والأعياد . وكان بجانب هذه المنظرة حمام الذهب . ولقد استمرت هذه المنظرة متنزها خلال حكم الفاطميين . ثم تحولت بعدهم الى مدرسة وقفت على فقهاء الشافعية (١٧٢) .

القصر الصغير الغربى :

ولقد أقامه الخليفة العزيز ، تجاه القصر الشرقى الكبير ، ولكنه أفرد ست الملك بسكناه ، وكان من جملة هذا القصر قاعة ست الملك التي كانت تعيش فيها والتي تحولت فيما بعد الى البيمارستان المنصورى . وهذه القاعة عبارة عن أربعة ايوانات بكل ايوان شنادوران (سلسبيل) وبها فسقية يصل اليها الماء من الشنادورات (١٧٣) .

الهودج (١٧٤) :

وهو من المنشآت التي بنيت من أجل المرأة ، فلقد بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لزوجته البدوية ، حتى لا تضيق بأسوار المدينة ، ولا نعرف شيئا عن وصفه من الناحية المعمارية ، ولعل تسميته تجعلنا نعتقد أنه على هيئته من حيث أنه مقبب ، لذا وصف بأنه

(١٧٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٨٥ ، ٢ ، ص ٣٦٤ .

(١٧٣) نفسه ، ٢ ، ص ٤٠٦ .

(١٧٤) وهو من مراكب النساء مقبب وغير مقبب ، وهو يصنع من العصى

ثم يجعل فوقه الخشب فيقرب . (انظر لسان العرب ، ٣ ، ص ٢١١ -

٢١٢) .

بناء عجيب . وكان هذا القصر يقع فى جزيرة الفسطاط ، التى
عرفت بالروضة . ولما كانت هذه المرأة تسكن هذا القصر ، فكان
الخليفة كثير التردد عليها (١٧٥) .

وبعد استعراض أحوال نساء القصر بصفة عامة ، ننتقل الى
ما آل اليه حالهن بعد سقوط الخلافة الفاطمية ٥٦٧/١١٧١ فبعد أن
عشن فى ترف وبذخ بالغين ، تحولت أحوالهن وأخرجن من
القصر (١٧٦) مع بقية الفاطميين ، وكان منهن بنات الخليفة العاضد
وجهاته وبنات الخليفة الحافظ وغيرهن من جهات اخوة الخليفة الى
جانب الأخوات والعمات .

ولما كان هدف الدولة الجديدة ، والتى تمثلت فى صلاح الدين
الأيوبى ، القضاء على الخلافة الفاطمية ، لذا عمل على تفريق الرجال
عن النساء لئلا يتناسلوا (١٧٧) ، واعتمد فى ذلك على قراقوش (١٧٨)
ولقد تم اعتقال النساء فى القصر الغربى ، وظللن على حالهن طوال
حكم الأيوبيين (١٧٩) .

والخلاصة أن أحوال نساء القصر كانت مرتبطة الى حد كبير
بأحوال الخلافة الفاطمية من قوة وضعف ، وذلك لأن هذه الفئة قد
عاشت بمعزل عن بقية فئات المجتمع المختلفة .

(١٧٥) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٨٥ ، ٢ ، ص ١٨٢ الانتصار ،
٤ ، ص ١١٦ .

(١٧٦) نفسه ، ١ ، ص ٤٩٨ .

(١٧٧) نفسه ، ١ ، ص ٤٩٦ ، ابن واصل ، ١ ، ص ٣ .

(١٧٨) عنه انظر .

Ency. of. Isl (art Karaknush) I V, P. 613 — 614.

(١٧٩) المصدر السابق .

الفصل الثمانى

أحوال المرأة المصرية

١ - حقوق المرأة وحريتها

(أ) التعليم

(ب) المهنة

(ج) المرأة المستثمرة

(د) موقف المرأة من أوامر الحاكم بأمر الله

(هـ) موقفها أيام المجاعات

(و) قضايا المرأة

لقد رفع الاسلام من شأن المرأة واعترف بكرامتها الانسانية ،
لذا تمتعت المرأة بمنزلة كبيرة فى المجتمعات الاسلامية ، ولما كان
المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى لا يقتصر على المسلمات ، وكانت
الذميات من مسيحيات ويهوديات يشكلن جزءا من هذا المجتمع ، الى
جانب أن ذلك العصر تميز بصفة عامة بالتسامح الدينى ، فكان ذلك
له أثر كبير فى الدور الذى قامت به المرأة المصرية بصفة عامة ،
من خلال مشاركتها فى الحياة العامة ومطالبتها بحقوقها وحريتها .

ومن المعتقد أن الدور الذى قامت به المرأة فى ذلك الوقت ، لم
يكن مستندا الى مبادئ معينة سعت المرأة لتحقيقها مثل العصور
الحديثة وانما يرجع الى الظروف التى واجهت المرأة بما يتلاءم مع
الروح السائدة لهذا العصر . ومن الطريف ما ذكره القلقشنذى (١)
عن ظهور صوت المرأة عاليا فى أوائل القرن الرابع الهجرى -
العاشر الميلادى ، يطالب بحق النساء فى المشاركة فى الكتابة
والخطابة ، وهى بلا شك حالة نادرة تدل على أن المرأة كانت تسعى
من أجل الحصول على المشاركة فى بعض المهام الكبيرة .

(١) صبح الأعشى ، ١ ، ص ٦٤ ، انظر . منز ، الحضارة الاسلامية

٢ ، ص ١٧٨ وذلك ما قاله ابن بسام الشاعر :

ما للنساء . والكتا به والعمالة والخطابة

ولعل حقوق المرأة تمثلت فى التعليم ، الذى لم يكن سائدا ، وكذلك مشاركتها فى الحياة العامة من خلال المهن التى مارسيتها ، ومشاركتها فى الحياة الاقتصادية . أما عن حريتها ، فلقد ظهر صوت المرأة فى عدة مواقف منها عندما فرض الخليفة الحاكم على المرأة الا تبرح منزلها ، كما ارتفع صوتها عاليا فى وقت المجاعات وكذلك فى قضاياها ، التى تقدمت بها الى ساحة القضاء متظلمة مما وقع عليها ومحاولة الدفاع عن نفسها .

أما عن تعليم المرأة فيبدو أن ذلك كان مهملًا الى حد كبير ، إذ كان من المؤلفين أن البنات لا يتلقين تعليمًا فى المدارس (٢) ، وأن ذلك كان مقصورًا على الذكور ولعل السبب فى هذا ، أن المرأة كانت لا تشارك بطريقة فعالة فى المجتمع ، وأن نشاطها على الرغم من تعدده كان محدودًا ، كما أن المجتمع الإسلامى بوصفه مجتمعًا متحفظًا لا يبيح الخروج للمرأة بصورة دائمة .

وعلى الرغم من وجود بعض الخطابات التى كانت ترسلها المرأة أو ترسل اليها من زوجها ، فكانت تكتب بواسطة أحد أقاربها من الرجال أو أحد المختصين ، فعندما تكتب المرأة « أنا أكتب لك » فهذا لا يعنى بالضرورة أنها تكتب بيدها ، إذ أن الخطاب يقبىن منه أنه قد أملى ، كما أن صوت المرأة يسمع وهو يرشد قلم الرجل عند كتابة الخطاب ، الى جانب أن الخطابات التى أرسلت للمرأة يقبىن أنها أرسلت لتقرأ عليها (٣) .

Goitein, Med. Soc, II, P. 183.

(٢) انظر .

انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٤ .

Ibid

(٣) انظر .

ومع ذلك هذا لا يمنع من وجود نساء يعرفن القراءة والكتابة ، وذلك ان بعض الخطابات قد أرسلت للمرأة لتقرأها بنفسها ، ولكن في حالات نادرة جدا (٤) ، كما أن الطبقات العليا من المجتمع في تلك الفترة كانت تهتم بتعليم المرأة (٥) . ولاسيما الطبقة الحاكمة ، فان مشاركة بعض النساء في أمور السياسة تحتم عليهن معرفة القراءة والكتابة ، حقيقة كان لكل امرأة كاتب يختص بها أمثال السيدة رشيدة ابنة الخليفة المعز (٦) وكذلك السيدة العزيزية ، زوجة الخليفة العزيز (٧) وستالك أيضا (٨) ولكن ليس من المعقول أن المرأة ، التي تشارك في شئون البلاد السياسية ، ويعرض عليها بعض الرسائل الواردة من الأقاليم التابعة للخلافة الفاطمية لتبث بالرأى فيها أن تعتمد في ذلك على كاتبها الخاص ، حتى لو أن كل ما يصدر عنها كان يقوم به هذا الكاتب ، فهذا لا ينفي معرفة نساء الطبقة الحاكمة للقراءة والكتابة .

كما كان لبعض النساء الفاطميات علامات خاصة بهن للتوقيع على الأوراق الرسمية ، ولعل تعليم هؤلاء النساء كان يتم في القصر على يد بعض الثقات من الرجال ، وما يدل أيضا على معرفة بعض المصريات للقراءة والكتابة ما ذكره ابن ميسر (٩) عن امرأة معوقة بغير يدين ، كانت تستطيع أن تكتب باحدى رجليها ، ويضيف

(٤) انظر .

Goltein, The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization, SI, III, P. 90.

Goltein, Med. Soc, II, P. 184.

(٥) انظر .

(٦) التحف والذخائر ، ص ٢٠ .

(٧) انعاظ ، ١ ، ص ٢٧١ .

(٨) الخطط ، ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٩) ص ٨٣ .

أنها كانت تكتب بأحسن خط تكتبه النساء ، وهذا يدل على معرفة الكثيرات للقراءة والكتابة ، وهذا الى جانب مشاركة المرأة وقتئذ في حضور مجالس الدعوة ، ولعل ذلك كان يحتم عليها معرفة القراءة والكتابة أيضا .

كما شاركت المرأة المصرية أيضا في الحياة العامة من خلال المهن التي مارسوها ، وكان عمل المرأة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين - العاشر والحادي عشر الميلاديين - شائعا الى حد ما ، ولكنه أصبح مألوفا في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي (١٠) ، ومن المعتقد أن اشتراك المرأة المسلمة في هذا المجال كان بسيطا ، وكان النصيب الأوفر للمرأة الذمية وخاصة اليهودية .

كما كانت معظم النساء العاملات من الأراامل والمطلقات ، هذا الى جانب نساء الطبقات الفقيرة اللاتي لا يملكن شيئا ولا يستطعن المكوث في المنزل لانتظار الاحسان ، ولذلك كان لزاما عليهن أن يخرجن الى الطريق العام ويكشفن وجوههن ليحصلن على الحد الأدنى لمتطلبات الحياة اليومية (١١) . وكانت هذه الأعمال بالطبع تناسب طبيعة المرأة ، ولذا فان معظمها تمثلت في كل ما يحيط بالمظاهر الاجتماعية للمجتمع ومنها :

الماشية :

وهي التي اختصت بتحضير العروس يوم زفافها ، وذلك بتمشيط شعر العروس ، ولقد عملت في تلك المهنة كل من المرأة المسلمة والمرأة الذمية (١٢) .

Goitein, Med. Soc, III, P; 324.

Ibid.

Ibid I, P. 127.

(١٠) انظر .

(١١) انظر .

(١٢) انظر .

المقابلة :

وعلى الرغم من وجودها كمهنة فى تلك الفترة ، الا أنه كان من الممكن الاعتماد على بعض نساء العائلة ممن لهن خبرة فى ذلك الشأن لمساعدة الزوجة الصغيرة عند الولادة (١٣) .

الصانعة :

وهى التى كانت تقوم بإزالة الشعر من جسم السيدات (١٤) ، ولعلها كانت تحضر الى المنازل لتقوم بهذا العمل أو فى الحمامات العامة كما أن وجودها كان مرتبطا بلا شك بالعرس لتحضير العروس مثل الماشطة .

الغاسلة :

وهى تتعلق بالوفاة ، والتى كانت تقوم بغسل الموتى من النساء ، وكان يوجد غاسلات من الأجنيات مثل الروميات (١٥) الى جانب المصريات سواء المسلمات أو اليهوديات ، وربما أن هؤلاء اختصاصن بالطائفة التى ينتمين اليها ويبدو أن الغاسلة كانت تأخذ الى جانب أجرها ثياب المتوفية وكذلك ما تحتها من الفراش (١٦) .

النائحة :

وهى من المهن التى ارتبطت الى حد كبير بعادات المصريين

Ibid.

(١٣) انظر .

Ibid.

(١٤) انظر .

Ibid.

(١٥) انظر .

(١٦) اعطاء ١ ، ص ٨٨ ، لا بد من الإشارة الى ما أخذه الغاسلة

مما كان تحت السيدة العزيرية من قرش وثياب . بلغ ستة آلاف دينار .

القدماء ، والتي استمرت بعد فتح العرب لمصر ، وما زالت موجودة حتى وقتنا هذا ، ويتجلى ذلك فى خروج النائحات بالمطبل والزمير على الميت (١٧) . وكذلك الصياح على الجنائز ، كما ارتبط بذلك خروج النساء وراء الجنائز . وهن مكشوفات الوجوه ، الى غير ذلك من حلق شعورهن وتسويد وجوههن وكذلك شق أثوابهن وراء الجنائز (١٨) .

ولما كان الاسلام ينهى عن هذه العادات ، فقد صدرت عدة أوامر تمنع من ذلك . ليس فقط خلال حكم الفاطميين ، ولكن أيضا فى الفترات السابقة فى مصر الاسلامية (١٩) كما تعرضت النائحات للسجن ، وارتبط بهذه الأوامر أيضا منع النساء من زيارة القبور (٢٠) ولعل هذه العادات استمرت وكذلك مهنة النائحة ، لأنها أصبحت متصلة فى وجدان الشعب المصرى .

ولذلك كان حضور النائحات ضروريا فى المآتم ، وكأدت أحيانا تحضر على القبر لمدة تبلغ الشهر ، ولعل أكثر من نائحة كن يحضرن فى المآتم الواحد بالنسبة لكبار رجال الدولة (٢١) .

(١٧) يحيى بن سعيد ، ١٨٦ ، .

(١٨) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، انظر

سيده كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٨٢ .

(١٩) نفسه .

(٢٠) حظر الحاكم بأمر الله فى عام ١٠٠٣/٣٩٤ على النساء البكاء

والعويل وراء الجنائز وحروج النائحات بالمطبل والزمير على الميت ، وفى صام

١٠١١/٤٠٢ ، منع النساء من زيارة القبور ، فلم ير فى الأميرة امرأة على

قبر ، كما منع من نصب النراشات التى كانت النساء ينصبنها فى المقابر أيام

الزيارة ، انظر يحيى بن سعيد ، ص ١٨٦ ، انعاظ ، ٢ ، ص ٧٦ .

(٢١) الخطط ، ٢ ، ص ٨ .

ومن أشهر نائحات العصر الفاطمي ، نائحة تسمى خسروان (٢٢) قد مهت في هذه المهنة ، ويبدو أنه قد ذاع صيتها في تلك الفترة حتى نالت اعجاب أدباء ذلك العصر من خلال مراثيها التي كانت تنشدتها في المآتم ، وهناك نائحة أخرى تسمى « سديت الرياض » (٢٣) ويبدو أن مهنة النائحة هذه كانت تدر دخلا معقول بحيث جعلت هذه النائحة تمتلك جزءا من منزل ، بل وتوهب سبعة أسهم منه ، وكان هذا المنزل يقع في ضواحي القسطنطينية .

الدلالة :

ولقد وجدت هذه المهنة ، لأن النساء المسلمات من الطبقات العليا كن لا يستطعن الخروج الى السوق حيث بائعو الثياب لشراء ما يلزمهن ، لأن أزواجهن لا يسمحون لهن بذلك وقتما يردن ، لذلك ترددت الدلالة على البيوت لبيع الأقمشة والملابس الفاخرة ، ويبدو أن المرأة المسلمة عملت الى جانب المرأة النامية في هذه المهنة . فيشير أشتور Ashtor ان احدى وثائق الجنييزة (٢٤) تذكر جامع ضرائب يتعامل معه سبع نساء منهن أربع مسلمات .

وهذه المهنة بلاشك كانت تتيح للمرأة التي تعمل بها أن تدخل البيوت وتتعرف على أحوال النساء فيها ، ولذا نعتقد أن عمل الدلالة لم يقتصر على بيع الأقمشة والعطور اللازمة للنساء ، ولكن لعلها

(٢٢) ومن مراثيها ما قالته عندما أحضرت رأس الوزير العادل بن السلار الى الخليفة الظافر :

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدار يا شبيه ذى النورين صاحب المختار

انظر . المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٠٥ .

Goitein, Med. Soc, II, P. 433.

(٢٣) انظر .

Ibid, I, P. 161.

(٢٤) انظر .

استخدمت أيضا فى أغراض سياسية ، وكانت النساء العجائز اللاتى استخدمهن الخليفة الحاكم بأمر الله (٢٥) ليستطلعن أحوال النساء كن مع الدلالات ، وكذلك النساء اللاتى استعملهن المأمون البطائحي وزير الخليفة الأمر (٢٦) ، للدخول الى جميع المساكن والاطلاع على أحوال ساكنيها ، وذلك لمعرفة أحوال الحسن بن الصباح (٢٧) والباطنية ، لأنه قد بلغه أنهم عزموا على قتله هو والخليفة . ولذلك نجد أن الحصول على هذه المعلومات لا يتأتى بالطبع الا على أيدي هؤلاء الدلالات اللاتى يستطعن الدخول للمنازل بسهولة ويعرفن كل ما يردن من خلال اجتماعهن مع أهل البيت من النساء .

وكانت مهنة الدلالة تدر دخلا كبيرا لمن تقوم بها . ويتضح من خلال ما نعرفه عن إحدى الدلالات فى تلك الفترة ، والتي تعرف « بالوحشة » انها كانت امرأة ناجحة ، وصلت ملكيتها خمسة أضعاف قيمة جهازها (٢٨) . كما شاركت فى مشروعات تجارية (٢٩) كبيرة .

المعلمة :

وهذا العمل ربما يقتصر على المرأة الذمية ، ولاسيما اليهودية فليس هناك أية معلومات تدلنا على اشتراك المرأة المسلمة فى هذا العمل . وكانت المعلمة تقوم بتعليم الفتيات الصغيرات فن التطريز

(٢٥) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٦ .

(٢٦) اساطير ، ٣ ، ص ١٠٨ .

(٢٧) جاء الى مصر فى عيد الخليفة المستنصر ، ويمتد نسبه الى ملوك حمير . ولد بالرى عام ١٠٣٨/٤٢٠ أو ١٠٤٠/٤٢٢ وكان شيعيا على مذهب الاثنى عشرية . انظر .

Ency of Isl, III, P. 253.

(٢٨) انظر .

Goltein, Med. Soc, III, P. 352.

Ibid, P 348.

(٢٩) انظر .

وشغل الأبرة ، وكذلك العمل فى المدارس لتعليم التوراة ، كما كان فى استطاعة المرأة أن تدير كتابا لتحفيظ التوراة ، وهذا بلا شك يعتبر استثناء للقاعدة (٣٠) .

الى جانب هذه الأعمال السابقة قامت المرأة بأعمال لم تذكر عنها المصادر الا قليلا جدا مثل الخبازة والساقية التى تصنع المشروبات وتبيعها وكذلك بائعات العنبر والروائح والدقيق (٣١) والطبيبات اللاتى كن يمارسن هذا العمل بالعادة وليس من خلال تعليم سابق (٣٢) .

فضلا عن هذه الأعمال ، التى كانت تقوم بها المرأة خارج المنزل ، وجدت أعمال أخرى داخل المنزل بغرض الانتاج والكسب ومنها غزل الصوف وصبغ الحرير (٣٣) ، وكذلك حياكة الملابس ، التى على ما يبدو كانت بسيطة فى معظمها ، وكان ما يصنعه النساء داخل المنازل يباع بواسطة الدلالة فى الأسواق ، ولعل المرأة المسلمة شاركت فى تلك الأعمال التى كانت بداخل المنزل وخاصة الأرامل منهن .

كما كان اشترك المرأة المصرية فى الحياة الاقتصادية محدودة ، واقتصر على بيع وشراء العقارات وتقديم القروض واقامة مشروعات تجارية ، ولكن بصورة لا تسمح لها بالمشاركة الفعلية على نطاق واسع فى هذا المجال .

Ibid. II, P. 185.

(٣٠) انظر .

Ibid. I, P. 129.

(٣١) انظر .

Ibid. P. 127.

(٣٢) انظر .

Ibid. P. 128;

(٣٣) انظر . متر ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٩٨

وعلى ما يبدو أن نساء تلك الفترة كن مغمومات بالملكية العقارية ، وخاصة امتلاك المنازل . لأنها فضلا عن أنها كانت تعتبر محل إقامة ، فهي أيضا تدر دخلا ثابتا (٣٤) . ولذا كان نشاط النساء واضحا فى بيع وشراء المنازل سواء التى يرثنها ، أو التى تمنح لبعضهن عند الزواج ، حتى توفر لهن نوعا من الأمن الاقتصادى ، لذلك كانت المرأة أحيانا تمتلك أكثر من منزل (٣٥) .

وكانت عمليات البيع والشراء هذه تتم بين امرأة وأخرى أو بين امرأة ورجل . ولم يقتصر ذلك على المرأة المتزوجة ، فكانت الفتيات يقمن بذلك أيضا (٣٦) . وكانت المرأة تحافظ على ما تمتلكه من عقارو تداوم على اصلاحه حتى يكون دائما فى حالة جيدة ، ومن الممكن أن تباع فى مقابل ذلك ما لديها من حلى أو نحاس أو حتى ملابس (٣٧) .

وكانت المرأة تقوم أيضا بدهن المنزل وطلائه قبل أن تعرضه للبيع ، وذلك حتى ترفع من الثمن (٣٨) ، وإلى جانب المنازل كانت المرأة تمتلك أيضا بعض الدكاكين التى تقوم بتأجيرها أو تقوم بشراؤها وبيعها . كذلك مطاحن الدقيق (٣٩) . كما كانت المرأة تستغل ملكيتها حتى ولو كانت ليست ذات قيمة مثل قدور النحاس ، فكانت تقوم

Goitein, Med. Soc., III, P. 181.

(٣٤) انظر .

Ibid. P. 328.

(٣٥) مرآة الزمان ، ١٢ ورقة ١٦٨ ، انظر .

(٣٦) انظر . جروهمان ، اوراق الردى العربية ، ١ ، ارقام ،

١٧٩ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢ ، رقم ٧٥ ،

Ashtor, Histoire des prix, P. 184;

Goitein, Med Soc, III, P. 328.

Ibid. III, P. 332.

(٣٧) انظر .

Ob. Cit. P. 191.

(٣٨) انظر .

Ibid. P. 184, Op. Cit., III, P. 327.

(٣٩) انظر .

احدى النساء بتأجيرها • وتشترط على من يؤجرها أن يردّها
سليمة (٤٠) •

كذلك كانت المرأة تستغل دخلها سواء الذى كان يعود عليها
من ايجار ما تمتلكه من عقار ، أو ما يعود عليها من عملها فى تقديم
بعض القروض للمحتاجين مقابل الفائدة (٤١) • وهذا يجعلنا نعتقد
أن هذا الدور كان مقصورا على المرأة اليهودية ، وذلك لما عرف عن
اليهود ميلهم الى هذا النوع من المعاملات ولهارتهم الفائقة ، فضلا
عن أن الدين الاسلامى ينهى عن الربا ، كما أنه لم تذكر المصادر أية
إشارة عن اشتراك المسيحيات فى هذا الشأن ، وربما اقتصر دورهن
على أخذ هذه القروض من اليهوديات •

واللحصول على هذه القروض ، كان لابد من تقديم بعض
الضمانات التى تكون فى صورة حلى أو غيره من الأشياء الثمينة
التي كانت تملكها المرأة (٤٢) ، أو حتى عقار ليكون رهنا مقابل المال
المقروض • وكانت المرأة تقبل أحيانا على الاقتراض من أجل أن تقيم
مشروعاً ، ولكن من الطريف أن تشترك المرأة الذمية مع رجل من
المسلمين فى الحصول على دين من أحد اليهود ، لتقيم معه
مشروعاً (٤٣) •

(٤٠) سفر نامة ، ص ٦١ • وكانت تؤجر الواحدة بدرهم فى الشهر •
(٤١) كانت فائدة الدين تصل أحيانا الى ثلث النمن المقروض ، ومنها
أن اقترفت امرأة من السطاط من امرأة أخرى مبلغ سبعة وعشرين دينارا ،
لندفع كل شهر نصف دينار ويعبج الدين بعد ذلك ستة وثلاثين دينارا تشمله
الفائدة • انظر :
Golteln, Med. Soc, III, P. 330.

Ibid, P. 174; 327.

(٤٢) انظر •

Ibid.

(٤٣) انظر •

وعلى الرغم أن بعض النساء كن يستطعن أن يقمن مشروعات تجارية كبيرة ، إلا أن الأمثلة على ذلك قليلة جدا ، لأن ذلك كان يتطلب مالا كثيرا وخبرة وذلك لا يتأتى بالنسبة للكثيرات . ومن النساء اللاتي استطعن أن يشاركن في هذا المجال امرأة استغلت عملها كدلالة (٤٤) ، وكسبت الكثير من هذه المهنة ، واستطاعت أن تدخل في مغامرة تجارية مع أحد تجار الهند ، وذلك لأن مهنتها تتيح لها أيضا فرصة تصريف بضائعها من خلال المنازل التي دخلها .

أما عن حرية المرأة فأول مظهر من مظاهر مطالبة المرأة بحريتها يتضح عندما فرض الخليفة الحاكم بأمر الله تلك القيود التي كبلت حريتها والتي تمثلت في عدة أوامر صدرت في أعوام متعاقبة . وكان صدور هذه الأوامر يرجع في المقام الأول الى شخصية الخليفة الحاكم نفسه ، الذي تميز بميله للزهد والتقشف ومحاولته الرجوع بالاسلام الى بساطته الأولى (٤٥) .

هذا الى جانب تصرفات فئة من النساء قد أسرفن في اللهو ، ونسقطيع أن نستخلص احوالهن من خلال أوامر الخليفة الحاكم ، فلقد خرجن الى الشوارع سافرات بدون حجاب ، متبرجات ، كما أقبلن على شرب الخمر وأكثرن من الخروج واختلطن بالرجال (٤٦) .

(٤٤) انظر . Ibid. P. 348. وكانت هذه المرأة نمرات بالوحشة .

(٤٥) يحيى بن سعيد ، ص ٢٠٨ ، انظر . ماجد ، الحاكم ، ص ٤٠ - ٤٢ . ولقد كان الخليفة الحاكم يرندى الملابس الخشنة من الصوف ومركبا حديديا في رجله ، كما استعمل في ملابسه السواد مع عمامة زرقاء بدلا من البياض شعار الفاطميين . كما اقتصر في مواكبه على بعض المظاهر البسيطة .

(٤٦) انماظ ، ٢ ، ص ١٣٧ .

ويبدو أن هذه الظواهر انتشرت الى حد كبير فى الدول الاسلامية الأخرى ، ولعل مرجع ذلك الى الترف ، الذى عم الحياة الاجتماعية بصفة عامة .

كما أن اللهو كان منتشرا فى مصر قبل العصر الفاطمى ، وخاصة فى الأعياد (٤٧) ، ولعل من الأسباب الثانوية التى حفزت الفاطميين على فتح مصر ، علمهم بأن احدى أميرات البيت الاخشيدى قد خرجت بنفسها لشراء جارية لتسرى بها عن نفسها ، فاعتبر الخليفة المعز أن ذلك لدليل على مدى الترف والضعف الذى حل بالدولة الاخشيدية (٤٨) . ولذلك لم يكن موقف الخليفة الحاكم غريبا تجاه هذه الفئة من النساء .

ولعل ظاهرة خروج بعض النساء عن المألوف ، ترجع الى تلك الحياة المترفة ، التى عمت المجتمع المصرى فى هذه الفترة ، وذلك الازدهار الذى انعكس على أحوال المرأة ، فالشوارع كانت تضاء ليلا بالقناديل ، والدكاكين تفتح أبوابها ليلا ونهارا للبيع (٤٩) ، والدولة تشارك الشعب المصرى احتفالاته وأعياده الكثيرة ، بما فى ذلك الاسلامية والمسيحية .

ومع ذلك لم تكن هذه الظاهرة شائعة الى حد كبير بين نساء هذا المجتمع ، بدليل حضور معظم النساء المجالس الدينية ، التى

(٤٧) كان ما يعمل يوم الغطاس من خروج جميع الناس من المسلمين والنصارى لا يتناكرون كل ما يمكنهم عمله من المأكول والشارب والمساهى والمزف والقصف (انظر . الخطط ، ١ ، ص ٤٩٤) .

(٤٨) نفسه ، ١ ، ص ٣٥٣ .

(٤٩) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٨ ، نهاية الارب ٢٦ ورقة ٥٢ ،

انظر . ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٩٢ .

كانت تعقد في الجامع الأزهر لتعليمهن أصول المذهب الشيعي (٥٠) ،
وكذلك وجود بعض اللاتي عرف عنهن ميلهن للعبادة (٥١) .

هذا فضلا عن أن النساء من الطبقات العليا لم يكن مسموحا
لهن الخروج بطريقة منتظمة ، وربما كانت المرأة من هذه الطبقات
تعتمد على زوجها أو أحد اقاربها أو حتى على وكيل لها في تصريف
شئونها وشسراء ما تحتاجه (٥٢) .

وعلى الرغم من ذلك ، خشى الخليفة الحاكم من أن
يصبح هذا السلوك ظاهرة عامة بين جميع النساء ،
فحاول في أول الأمر أن ينظم المظهر العام لسلوك المرأة
الاجتماعي ، ولما كان تجمع النساء يأتي في الذهاب الى الحمامات
العامة بطريقة منتظمة . والاجتماع في المقابر أيام الزيارة ، والخروج
الى الأسواق ، هذا فضلا عن تجمعهن على شاطئ النيل في الأعياد
وخاصة المسيحية والميل الى اللهو ، لذلك أصدر أوامره بتنظيم دخول
الحمامات (٥٣) ومنع السير وراء الجنائز ومنع الاجتماع في
المآتم (٥٤) ، هذا فضلا عن أوامر أخرى تختص بمنع اللهو والمسكرات ،
ومنع النساء من الغذاء والنشيد ومن الجلوس في الطرقات والنظر
اليهن (٥٥) . كما منعهن أيضا من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج
ومن ركوب المراكب مع الرجال وخروجهن الى مواضع المرح مع

٥٠. نفسه ، ١ ، ص ٣٩١ .

٥١. أم الخير الحجازية ، التي كانت تقوم بالقضاء حلقات

الدرس السيدات في جامع عمرو بن العاص حوالى ١٠٢٤/٤١٥ (انظر .

نفسه . ٢ ، ص ٤٥٠ ، وفاطمة بنت الأشعث ، التي كانت أيضا من عابدات

معبر) عنها انظر . ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ٧٩ (.

(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥٣) اتعاظ ، ٢ ، ص ٥٣ .

(٥٤) الخطط ، ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٥٥) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

الرجال(٥٦) ، بل وأكثر من ذلك منع الناس بصفة عامة من اللهو
والمجون الذى كان يحدث فى مناسبة فتح الخليج ولذلك سسدت
الطاقات المطة على الخليج(٥٧) .

ومن المظاهر العامة ، التى شاعت أيضا فى ذلك العصر خروج
النساء فى يوم عاشوراء فى الشوارع جماعات للنوح والبكاء على
الحسين وينشدن المراثى ويضعن المسوح وكان يحدث مثل ذلك أيضا
فى بغداد(٥٨) ، وكان هذا اليوم هو ذكرى مقتل الحسين بن على
فى كربلاء فى العاشر من محرم عام ٦٨٠/٦١ . ولما كانت الخلافة
الفاطمية تحتفل بهذا اليوم حزنا على الحسين فكان الوزير يخرج
فى موكب الى الجامع الأزهر ومعه القاضى والداعى ، وكان موكب
الوزير فى عهد متأخر يذهب الى المشهد الحسينى(٥٩) ، وكان الناس
يجلسون فى الجامع أو المشهد يستمعون لقراءة الحضرة والى
مرثيات السفراء ، ثم يستدعى كبار الحاضرين الى القصر ، ويفرش
سماط الحزن ، الذى يتكون من العدس الأسود والخبز المغبر لونه
والاجبان والمخللات والألبان وعسل النحل ، وكان المكان المخصص
لهذا السماط يفرش بالحصر كما تتجلى البساطة فى كل ما يحيط
بهذه المناسبة الحزينة . ولما كان النساء يشاركن فى هذه المناسبة
كما ذكرنا آنفا ، لذا أصدر الخليفة الحاكم أمرا يمنعهن من الخروج
فى هذا اليوم(٦٠) .

-
- (٥٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٨٧ .
(٥٧) العيى ، تاريخ ، ورقة ٦١٣ ، الكامل ، ٧ ، ص ٢٧٦ .
(٥٨) رفع الأسر ، ٢ ، ص ٢٦١ ، النجوم ، ٤ ، ص ٤١٨ .
(٥٩) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٧ .
(٦٠) نفسه ، ١ ، ص . ص ٤٣٠ - ٤٣٢ ، انظر : ماجد ، نظم
الفاطميين ، ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

أما بالنسبة لخروج النساء ففي عام ١٠١١/٤٠٢ منع النساء من الخروج بعد العشاء (٦١) . وبعد ذلك بعامين أصدر مرسومه الخاص بمنع النساء من الخروج الى الطرقات ليلاً أو نهاراً بما في ذلك المرأة الشابة أو العجوز (٦٢) . كما منعهن من التطلع الى الطاقات أو الأسطحة . بل وأكثر من ذلك ، حاول أن يطمئن على تنفيذ هذه الأوامر من خلال اعتماده على بعض العجائز للدخول الى المنازل ومعرفة احوال النساء فيها (٦٣) .

ومع هذا التشديد البالغ لخروج النساء ، فلقد استثنيت بعض الفئات من النساء للخروج . ولكن بشرط تقديم رقاع خاصة ترفع الى القصر وتصدر بها تصاريح يقوم بتنفيذها متولى الشرطة ومنهين الخارجات للحج وغيره من الأسفار والاماء اللاتي يبعن في سوق الرقيق . وكذلك الواردات الى مصر وغاسلات الموتى . كما يتضح أن الخليفة الحاكم رغم هذا التشديد على النساء لم يهمل الجانب الانساني ثابح للأزامل اللاتي يعملن ويبعن الغسزل الخروج (٦٤) .

وعلى الرغم أن هذه الأوامر قد شملت جميع النساء سواء اللاتي يقبعن في بيوتهن أو المنحرفات ، فإن الحاكم كان محققاً في إصدار هذه الأوامر الى حد كبير ، لأن هذه الفئة من النساء قد خلطت بين الرقاهية وانحدار القيم الأخلاقية ، كما أن السلوك المعوج لبعضهن هو الذي دفع الحاكم دفعا الى إصدار مثل هذه الأوامر الصارمة ، ونجد أن الخليفة الحاكم قد تدرج في إصدار هذه

(٦١) انماط ، ٢ ، ص ٩٠ .

(٦٢) نفسه ، ص . ص ١٠٣ ، ١١٠ .

(٦٣) الكامل ، ٧ ، ص ٢٧٦ ، البداية والنهاية ، ١١ ، ص ٣٥٢ .

(٦٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ .

الأوامر (٦٥) ولم يصدرها دفعة واحدة ، فلعل ذلك كان رغبة منه في اصلاح المظاهر العامة لسلوك هؤلاء النساء والارتفاع بهن الى الفضيلة ، ومن المحتمل أن عدم الامتثال لهذه الأوامر ومحاولة الخروج عليها قد دفعه لاصدار ما تلاها من أوامر شديدة ، وربما لو أن هذه الفئة قد أطاعت من البداية لاقتصرت أوامره على منع المسكرات واللهو الزائد ، وبذلك كانت المرأة تستطيع أن تحتفظ بجزء من حريتها ، أو على الأقل بالخروج نهارا .

وعلى الرغم من أن تصرف الخليفة الحاكم كان طبيعيا نحو هؤلاء النساء ، إلا أنه هوجم هجوما عنيفا من جانب مؤرخى السنة (٦٦) ، واعتبروا تلك الأوامر خروجا عن المألوف ، ولذلك نسبوا اليه عدة تصرفات غاية فى التطرف رغبة منهم ليس فقط لتشويه صورة الحاكم ولكن للتقليل من شأن الخلافة الشيعية . ومن هذه التصرفات ، أنه مر يوما بحمام الذهب فسمع ضجيج النساء وهن فى الحمام ، فأمر أن يسد عليهن باب الحمام بالحجر (٦٧) . كما أنه كان يستعلم عن أحوال النساء وإذا تجمع لديهن عدة نسوة أمر بتفريقهن فى النيل ، فضلا عن ذلك أنه أباح دم المرأة ، التى تخرج من منزلها (٦٨) . كما ذكروا روايات أخرى لتعذيبه لنسائه وجواريه (٦٩) .

ولقد ارجعوا رغبته فى تعذيب النساء الى عقدة شغفه بالنكاح ، وعلى الرغم من ذلك نجد أن بعض تصرفات الخليفة الحاكم تنفى هذه الروايات فلقد أخرج من قصره مجموعة من حظاياها وأمهات

(٦٥) انظر ، ماجد ، الحاكم ، ص ٩٤ .

(٦٦) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٢ ، حسن المحاضرة ، ٢ ، ص ١٥ .

(٦٧) نفسه ، ١ ، ص ٥٢ ، نفسه ، ٢ ، ص ١٥ .

(٦٨) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٥٧ ، العبنى ، تاريخ ، ورقة ٦١٤ .

(٦٩) المصدر السابق .

أولاده ، كما اعتق سائر جواريه وقبض على جميع أملاك زوجته وأمه وأخته وعماته واقطاعاتهن وأموالهن (٧٠) ، وكان ذلك فى عام ٢٩٩ / ١٠٠٨ فهذا يدل بلا شك على تعفف وزهد بالغين فى النساء ، كما أن برنامج الإصلاح لم يقتصر على رعيته بل شمله هو وأهله ، كما أن قيامه بهذا الإصلاح الاجتماعى ، على الرغم أن مراعاة الآداب العامة من واجبات المحتسب (٧١) ، لايعنى تقصيرا من جانب هذا الموظف وإنما يوضح الى أى مدى كان الخليفة الحاكم يحاول أن يصلح أمور رعاياه بنفسه .

أما عن موقف المرأة المصرية من تلك الأوامر ، التى أصدرها الخليفة الحاكم ، والتى أدت الى حبس النساء سبع سنوات ، وعمت جميع النساء فيما عدا بعض الفئات المستثناه ، كما أسلفنا ، فإن بعض النساء رفعن الى الخليفة رقاعا ، يشرن الى عدم وجود من يقوم بخدمتهن ، وفيهن من لا زوج لها (٧٢) ، كما شكا اليه التجار بما أصاب تجارتهم من كساد نتيجة عدم خروج النساء الى الأسواق وإذا وضع الخليفة الحاكم حلا وسطا ، إذ أنه لا يستطيع أن يتراجع عن أوامره وحتى يحافظ على الأحوال الاقتصادية للبلاد . فأمر التجار أن يحملوا كل السلع التى تباع فى الأسواق الى الدروب وأن يكون مع البائع شيء يشبه المغرفة وله مساعد طويل ، يمهده الى المرأة

(٧٠) يحيى بر سعيد ، صفحات ٢٠٧ - ٣٠٩ ، انظر . ماجد ، الحاكم ، ص ٤٠ .

١٧١١ ومنها منع وقوف الرجال فى طرقات النساء ، والا تجلس امرأة على باب دارها ، ومن فعل ذلك عزر ، وكذلك تفقد أحوال النساء فى الأسواق وشغلوا الأتنيار وتفقد مجالس الوعظ والمقابر ، فإذا سمع نادبة أو نائحة عزرها (عنه ، انظر نهاية الرتبة ، ص ١٠٩) .

(٧٢) المصدر السابق ، ورقة ٦١٣ .

وهى من وراء حجاب ، ويضع فيهما تحتاجه المرأة ، وهى بدورها تضع فيه الثمن (٧٣) .

ولكن هناك شيئا آخر لابد من مناقشته ، وهو تلك الرقاع ، التى كانت تقدم للحاكم خلال سير موكبه فى الطريق (٧٤) حقيقة نعرف أنه كان من الممكن أن تتقدم المرأة بنفسها الى الخليفة وتقدم شكواها أو رقعته (٧٥) ، ولكن أن تقدم هذه الرقاع بواسطة مثالات من الورق على هيئة امرأة ، فلعل ذلك يرجع الى أن المرأة كانت لا تستطيع الخروج الى الطريق طبقا لأوامر الخليفة الحاكم ، ولذا كانت الرقاع بمثابة احتجاج لبعض النساء أو على الأقل نوعا من التضرع للخليفة للنظر فى أحوالهن .

ولما كانت هذه الرقاع تحتوى على عبارات فيها سب للخليفة واخته فذلك يبين أنها قدمت من جانب أهل مصر من الرجال . وحيث أنها اتبعت من قبل حين وقفت فى طريق الخليفة العزيز امرأة بهذا الشكل (٧٦) فيبدو أن ذلك قد استخدم فى كلتا الحالتين كرمز للمرأة التى هى بالطبع أضعف من الرجل ومن الممكن أن ينظر الخليفة فى ظلامتها .

ويذكر بعض المؤرخين (٧٧) أنه نتيجة لهذه الرقاع ، التى قدمت للخليفة الحاكم ، أنه أمر العبيد بإحراق مدينة مصر ، فى خلال ذلك

(٧٣) ابن العبري ، ص ٣١٣ .

(٧٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورفعة ٥٧ ، البداية والنهاية ، ١٢ ،

ص ٩ - ١٠ .

(٧٥) ساويرسن بن المقفع ، ص ١٢٦ ، بدائع الزهور ، ١ ، ص ٤٧ .

(٧٦) المصدر السابق .

(٧٧) المصدر السابق .

عانى النساء الكثير ، حتى ان بعض النساء قتلن أنفسهن خشية العار .

وبعد مقتل الخليفة الحاكم عام ٤١١/١٠٢٠، سمح الخليفة الظاهر بالافراج عن النساء ، ولما كان الظاهر ميالا للهدوء (٧٨) ، لذا أقب الناس على الحياة المرحية مرة أخرى ، مما أدى الى اصداره أمر بعدم خروج النساء بعد العصر الى المقابر ، ومنع الغناء وذا المناكر ، لاسيما فى الأشهر الشريفة ، ولما كان هذا الأمر فى ع ٤١٣ ، ٤١٤/١٠٢٢ ، ١٠٢٣ (٧٩) أى فى بداية حكم الظاهر ، م يجعلنا نعتقد أن ست الملك هى ، التى أصدرت الأمر الخاص بالافراج عن النساء أو كذلك الأمر الخاص بعدم خروجهن لكونها كاذ المسيطرة على شئون الخليفة الظاهر ، الذى تولى الخلافة صغيرا كما أن اصدار هذا الأمر الأخير كان نوعا من المحافظة على سياس الحاكم السابقة تجاه النساء وحتى لا تعود الحالة الاجتماعية مر أخرى الى ما كانت عليه .

كما ظهر صوت المرأة عاليا أيام المجاعات ، فتأثرت وأثر فى تلك المحنة التى حلت بالبلاد فى عهد الخليفة المستنصر . وتجا الإشارة أن المجاعات قد وقعت فى مصر الاسلامية فى فترة متعاقبة (٨٠) ، فلو قد وقع الغلاء فى خلافة الأمويين فى عام ٨٧/٦٠ فى مصر وكان الوالى عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم وا غلاء فى الدولة الاخشيدية فى عام ٣٣٨ ، ٣٤١/٩٥٠ ، ٩٥٣ وقع الغلاء فى أيام الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٨٧/٩٩٣ وكذلك

(٧٨) الخطط ، ١ ، ص ٣٥٥ .

(٧٩) اتعاظ ، ٢ ، ص ١٣٥ .

(٨٠) اءاةة ، ص ١١ - ٢٨ .

عهد الخليفة المستنصر بالله • وأيام الخليفة الأمر بأحكام الله
ووزارة الأفضل والخليفة الحافظ ثم الخليفة الفائز • وكان سبب هذه
المجاعات كما يذكر المقرئى (٨١) تقصير مياه النيل عن ارتفاعه
مما يؤثر على الزراعة وتقل الأقوات الى جانب سوء تدبير الحكام •

ولكن أشد تلك المجاعات ، التى رقت فى العصر الفاطمى ،
تلك المجاعة ، التى كانت فى عهد الخليفة المستنصر فى سنوات
متعاقبة ، والتى كانت أخطرها على الإطلاق تلك المجاعة ، التى
وقعت بين سنوات ٤٥٧ ، ٤٦٤/١٠٦٥ ، ١٠٧١ واستمرت سبع
سنوات وبلغت أشدها فى عام ١٠٦٩/٤٦١ وعرفت بالشديدة
المستنصرية ، ولقد اتبعها وباء نتيجة لارتفاع سعر الخبز مما جعل
الناس يأكلون القلط والسكراب وحتى أكل الناس بعضهم
بعضاً (٨٢) •

وما حدث للمرأة المصرية خلال تلك المجاعة كثير ، نتيجة
لانتشار أهل الفساد ، الذين كاذوا يسكنون بيوتا قصيرة السدوف ،
ولقد تعرضت بعض النساء لأذى هؤلاء الناس ولكن أحداهن
استطاعت أن تهرب وتخبر الوالى بما حدث حتى كبس على تلك
الدار وأمر بقتل من فيها (٨٣) •

وأكثر من ذلك كانت النساء تذبح وتؤكل لحومهن على أيدى
بعض الطبائخين (٨٤) ، كما أصبحت الجواهر الثمينة لا تساوى شيئاً

(٨١) نفسه •

(٨٢) نفسه ، ص ٢٤ •

(٨٣) النجوم ، ٥ ، ص ١٧ ، مرآة الزمان ، ١٢ ، ورقة ١٢١ •

(٨٤) نفسه ، ٥ ، ص ١٥ •

امام تلك المجاعة (٨٥) كما اضطرت النساء الى بيع ممتلكاتهن ليواجهن هذه الازمة وخاصة المنازل (٨٦) .

اما عن نساء القصر خلال هذه المجاعة ، فلقد خرجن من القصر ناشرات الشعور ويصحن من الجوع ويردن الذهاب الى العراق ، والخليفة المستنصر لم يساعد على قوته سوى مساعدة الشريفة بنت صاحب السبيل له (٨٧) .

وأهم دور قامت به المرأة خلال الشدة المستنصرية ما قامت به امرأة مصرية ، اذ أنها تزعمت مظاهرة (٨٨) ، كان الغرض منها انتقاد سياسة الدولة بسخرية ، كما كانت سببا في أن يعيد الخليفة المستنصر النظر في تلك الازمة ويحاول أن يجد لها حلا بأقصى سرعة ممكنة . ذلك كما يذكر المقرئى (٨٩) ان امرأة من ارباب البيوتات خرجت من القاهرة ولعلها كانت من أسرة ثرية . فلقد كان معها عقد يساوى مبلغا كبيرا جدا . وعرضته على جماعة على أن يعطوها عوضا عنه دقيقا ، فكان كل يعتذر اليها ويدفعها عن نفسه ، حتى اخذه منها أحدهم ، وباع لها بقيمة العقد دقيقا ، وعند الرجوع من القسطنطينية الى القاهرة ، اضطرت أن تعطى بعضه لمن يحميه لها من النهاية في الطريق . وحتى وصلت باب زويلة تسلمته من الحماة

٨٥) نفسه . ص ١٢ . حدث أن خرجت امرأة من القاهرة ومعهها مد جوعر وسألت من يأخذه ويعطيها بدلا منه دقيقا ، فلم يهتم بها أحد ، فما كان منها الا أن القه في الطريق ، وقالت : ما ينفعنى وقت حاجتى فلا حاجة لى به اليوم ، وظل ملفى على الأرض ثلاثة أيام فلم يلتفت اليه أحد . (٨٦) مرآة الزمان ، ١٢ ورقة ١٦٨ .

(٨٧) انعام ، ص ٢٥ .

(٨٨) انظر . ماجد ، امرأة مصرية تزعم مظاهرة ، فصل من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص ٢٧ .
(٨٩) المصدر السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

ومشيت فتكاثر عليها الناس وانتهبوه منها، ولم يبق لها الا ملء يديها ،
فعجنته وشوته حتى صار قرصة وأخذتها الى أحد أبواب القاهرة ،
ورفعت القرصة على يدها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها
« يا أهل القاهرة ادعوا لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه
وأعاد عليهم بركات حسن نظرة حتى تقوم على هذه القرصة بألف
دينار » (٩٠) .

وبذلك استطاعت هذه المرأة أن تنقد سياسة الخليفة بجرأة
وشجاعة ولم تخش بطشه فى وقت تأزمت فيه الأمور ، وكان انتقادها
بطريقة حادة يشوبها التهكم والسخرية ، وما يزيد من أهمية هذه
الحادثة ، أولا ، لأننا لم نسمع عن رجل وهو بالطبع أقدر من المرأة
فى تلك العصور انه عبر عن رأيه فى هذه الأزمة بهذه الطريقة ،
حقيقة لقد ذهب رجل يشكو الى المستنصر هذا الغلاء الواقع ولكنه
لم ينقد سياسة الدولة (٩١) . وثانيا أن هذه الحادثة كان لها أثر
ايجابى ، فقد غضب الخليفة المستنصر عندما سمع ذلك ، وأحضر
الوالى وتهدهد أن يظهر الخبز فى الأسواق ، والا ضربت رقبتة
وانتهب ماله ، فما كان من الوالى ، الا أن تحايل على الخبازين وتجار
الغلة والطحّانين بأن أحضر جماعة من المسجونين ممن
وجب عليهم القتل وأعد مجلسا ، وهددهم بالقتل بعد أن اتهمهم أمام
تجار الغلة والطحّانين باحتكار الغلة واختلال أحوال الدولة والرعية ،
مما جعل تجار الغلة يتراجعون عن موقفهم ، حتى خرجت الغلة
للمطواحين وعمرت الأسواق بالخبز ورخصت الأسعار الى حد
كبير (٩٢) .

(٩٠) نفسه .

(٩١) المينى ، تاريخ ورقة ٩٧ .

(٩٢) نفسه .

هذا يبين أن حل هذه المجاعة كان راجعا أولا وقبل كل شيء الى تلك المرأة الشجاعة التي حفزت الخليفة والوالى ليحلا الموقف دون تردد وربما لو لم تحدث هذه المظاهرة لاستمرت المجاعات لفترات طويلة وعانت منها البلاد الكثير .

وكذلك كان لجوء المرأة المصرية للقضاء ، يعتبر مظهرا آخر من مظاهر مطالباتها بحريتها وحقوقها ، سواء اكانت قضايا خاصة بالوراثة أو المتعلقة بالمنازعات الزوجية ، وهذه القضايا على الرغم أنها حالات فردية . الا أنها فى مجموعها تلقى الضوء على مشاكل المرأة بصفة عامة فى ذلك المجتمع ، الذى كانت تعيش فيه فى العصر الفاطمى .

وقبل الخوض فى تلك القضايا ، لابد من معرفة النظام المتبع الذى كانت المرأة تقدم قضاياها من خلاله ، ولما كانت معلوماتنا قليلة فى هذا الجانب ، فاننا نستطيع أن نستخلص ذلك من خلال النظام العام للقضاء وكذلك من خلال قضايا المرأة نفسها .

فمن المعروف أن القاضى كان يعقد مجلسه فى الجامع (٩٣) أو فى داره (٩٤) ، وكان ذلك مرتين فى الأسبوع ، ثم أصبح أربع مرات وأكثر (٩٥) ولعل المرأة كانت تذهب بمفردها الى القاضى ، وذلك يتضح من خلال قضاياها التى ذكرتها المصادر والتى تبدأ عادة بكلمة « تقدمت » (٩٦) أو لعلها كانت تتقدم ومعها وكيل لها . أما القضايا الخاصة بالمنازعات الزوجية فكانت المرأة تحضر مع زوجها امام القاضى (٩٧) .

(٩٣) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٧ ، الخطط ، ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٩٤) نفسه ، ص ٥٨٩ ، ٥٩٤ ، ٦٠٤ .

(٩٥) نفسه ، ص ٦١١ ، انظر ، ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ،

ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٩٦) رفع الاصر ، ٣ ورنة ٢٠٧ ، ٢١٦ .

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٥٨٦ .

كما كانت المرأة تتقدم أيضا برقاها الى مجلس نظر المظالم ، وكان هذا المجلس ترفع اليه المظالم الذى عجز القضاء عن النظر فيها . فكانت ترفع الى الخليفة ، وهى تشبه قضاء الاستئناف الحالى (٩٨) . وكان هذا المجلس يعقد فى القاهرة فى باب الذهب بالقصر الكبير ، وكانت النساء المستضعفات من جملة المتقدمين الى هذا المجلس (٩٩) الذى كان يعقد يومين فى الأسبوع .

ولقد ابتكر فى أواخر الدولة الفاطمية على يد الوزير المأمون البطائحي ميقات (١٠٠) حرير فيه ثلاث جلال فى سور داره . وكان الغرض منه أنه اذا حضر أحد من المتظلمين وخاصة النساء اللاتى لا يستطعن الظهور نهارا ، ولذا كانت هذه الظلمات تقدم ليلا ، وكان يبيت حول الميقات جماعة من المغاربة يطلعون على مضمون المظالم المقدمة ، وهذا يبين أن الوزير كان يتلقى هذه الظلمات لان الميقات كان فى داره . ولكن لعل هذه الظلمات كانت خاصة بأمور السياسة .

أما عن المرأة الذمية وخاصة اليهودية، فنجد أنها كانت تتقدم الى القضاء بواسطة الرجال أو بنفسها ، وكان لابد من حضور المرأة حتى يسمع كل طرف على حدة وبدون مقاطعة لحماية حقوق المرأة ، كما كانت المرأة تصطحب معها زوجها (١٠١) ، والسبب أن المرأة تستعين بممثل عنها فى رفع دعواها عندما تكون شكواها ضد زوجها أو أحد أقاربها (١٠٢) . وكانت تلك الشكاوى فى جميع

(٩٨) انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٥٦ .

(٩٩) الخطط ، ص ٤٠٢ .

(١٠٠) انماظ ، ٣ ، ص ٩٥ .

Goitein, Med. Soc, III, P. 333.

(١٠١) انظر .

Ibid. P. 335.

(١٠٢) انظر .

الحالات تقرا بواسطة نائب عنها وهي تكون واقفة أمام الرواق الخاص بالنساء في نفس الوقت الذي كانت تقرا فيه دعواها (١٠٣) ، أما بالنسبة للمرأة المسيحية فلا تكاد المصادر تذكر عنها شيئا وعلى ما يبدو أنها كانت تتقدم بقضاياها الى المحاكم الكنسية التابعة لها .

ولكن مع هذا الاختصاص الذي ذكرناه ، الا أنه كان أحيانا تتقدم المرأة الذمية بقضاياها الى القضاء الاسلامي (١٠٤) وهذا يرجع الى أن العصر الفاطمي كان يتميز بالتسامح الديني تجاه أهل الذمة . مما أدى الى أن أهالي مصر كانوا يتعاملون طبقا لهذه الروح السائدة ، وكان التعامل بينهم يجر الى التعاون في مشروعات مشتركة ، وفي حالة وجود أية مشاكل كان لابد من اللجوء بالطبع الى القضاء الاسلامي . ومن الملاحظ أن المرأة الذمية كانت تشارك في هذا المجال مع الرجل المسلم (١٠٥) .

كما كانت الزوجة تتقدم الى القضاء الاسلامي ، وكانت أحيانا تهدد زوجها بذلك حتى يحسن معاملتها ، ولعل المرأة الذمية كانت تلجأ للقضاء الاسلامي رغبة في الحصول على حقها (١٠٦) .

كما أن روح التسامح السائدة نحو أهل الذمة كان لها أثر في دخول كثير من الذميين الاسلام ، وهذا يتضح من تلك الاسماء الموجودة في عقود الزواج وكذلك عقود البيع والشراء لبعض النساء ، والتي لازالت تحتفظ بتلك الاسماء السابقة (١٠٧) . ولكن

Ibid. II, P. 324.

(١٠٣) انظر .

(١٠٤) الكندي ، الولاة والقضاة ، ٣٥١ - ٣٩٠ ، انظر . سيدة كاشف ،

مصر في عهد الاخشيديين ، ص ٢٥١ .

Op. Cit. III, P. 330.

(١٠٥) انظر .

Ibid. II, 400.

(١٠٦) انظر .

(١٠٧) انظر . جروهمان ، ١ ، ص ١٠٠ ، ١٦٦ ، ١٧٢ .

كانت الزوجة أحيانا تدخل الاسلام دون زوجها مما يوجد تساؤلا خاصا بنسب الأولاد مما يلجىء المرأة بالطبع الى القضاء الاسلامى كونها أسلمت ، لتحديد موقف أولادها بأى دين يدينون ، وكان القاضى يحكم للزوجة التى أسلمت أن يكون أولادها على دينها وهذا أمر طبيعى (١٠٨) .

أما عن نوعية تلك القضايا ، فلعل من أهمها قضايا الوراثة التى تعتبر وثيقة الصلة الى حد كبير بالدولة الفاطمية الشيعية التى أبرزت مكانة البنت من خلال قانون الوراثة فى مذهبهم (١٠٩) . وعلى الرغم من أنه ليس لدينا قضايا تقدمت بها المرأة خاصة بهذا النوع ، إلا أن بعض القضايا كانت تترتب على هذا القانون ، بمعنى أنما تحصل عليه البنت من ميراث أبيها لعله يكون كثيرا مما يجعلها تكون مطمعا للبعض للرغبة فى الزواج منها للاستحواذ على ممتلكاتها ، وحتى لو تم هذا الزواج قبل سن البلوغ (١١٠) .

ومع ذلك هناك امرأة مصرية استطاعت أن تدافع عن حقوقها من إيدى القاضى الذى تطلع هو وغيره للزواج منها ، وهنا يتبين موقف تلك المرأة التى رفضته هو وغيره ، وأكثر من ذلك عندما

(١٠٨) رفع الإصر ، ٣ ورقة ٢٠٧ .

(١٠٩) أن البنت اذا انفردت فأخذ الميراث كله كالابن ، وهى بذلك ترث النصف فرضا والآخر ردا (عنه ، انظر ، دمائم الاسلام ، ٢ ، ص ٣٦٣) .

(١١٠) الكامل ، ٧ ، ص ٢٠٣ . وهذه القضية تقدم بها أحد الشهود على عقد زواج يعلن فسخه لكون البنت غير بالغ ، وقد ثبت عند قاضى القضاة محمد بن النعمان أنها بالغ ، فرفعت الى القصر وكشف عنها ووجد أنها غير بالغ ، فتقدم القاضى بفسخ العقد وكتب سجلا بذلك وأمر بحفظ مال الصبية .

تعرضت حقوقها (١١١) وممتلكاتها للضياع من قبل القاضى الذى حجر عليها وأعلن سفهها ، أن رفعت دعواها الى الوزير ، الذى أنصفها وأعاد لها حقوقها . وهى بذلك لم تبال بمكانة القاضى الاجتماعية فى سبيل الحصول على حقوقها .

كما كانت المرأة تتقدم أيضا الى القضاء للمحافظة على ما تملكه بما فى ذلك المنازل التى كانت تعتبر جزءا هاما من ممتلكات النساء فى ذلك العصر (١١٢) .

أما القضايا الخاصة بالمنازعات الزوجية ، فان معلوماتنا عنها كثيرة نسبيا ، بما فى ذلك قضايا المرأة المسلمة والذمية ، لأننا فى ذلك المجال نناقش قضايا المرأة المصرية بصفة عامة ولما كانت المشاكل المترتبة على الحياة الأسرية فكاد تكون متشابهة ليس فقط فى المجتمع الواحد ولكن تقريبا فى كل المجتمعات قديما ، وحديثا ، اذ أنها مشاكل أزلية لا تختلف فى جوهرها كثيرا .

لذا ، من أهم هذه القضايا تلك ، التى تقدمت بها المرأة وخاصة بالنفقة الشرعية ، وكانت هذه القضايا تقدم أحيانا من الزوجة للتخلص من زوجها ، لأنها من القضايا التى يجيز فيها القاضى حبس الزوج ، وكان القاضى بالطبع له نظرة خاصة فى ذلك الموضوع (١١٣) ، وكانت تقدم هذه القضايا أيضا عندما يكون الزوج

(١١١) الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ١٦٥ ، رفع الأمر ، ٢ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(١١٢) رفع الأمر ، ٣ ورقة ٢١٧ ، انظر :
Goitein, Med. Soc, III, P. 329.

(١١٣) نفسه ، ورقة ٢١٦ .

مقصرا فعلا تجاه زوجته وأولاده ، ولايقوم بمسئوليائه المادية ، ويلقى على الزوجة العبء الأكبر ، مما يجعل الزوجة تطالب بحقوقها في النفقة(١١٤) .

وهناك نوع آخر من القضايا ، ربما كان يخص بعض النساء ، اللاتي حدن عن جادة الصواب ، مما شكك أزواجهن في نسب أولادهن اليهم ، وهذا النوع من القضايا كان يتقدم به الرجل الى القضاء ، وكان القاضي يحكم أحيانا لصالح الزوجة ، وتكون في هذه الحالة بريئة من اتهامات زوجها لها ، وعند ذلك كان يشهر بذلك الزوج ، الذي كان ينكر بنوة أولاده من زوجته ويطساف به في أسواق المدينة راكبا جملا ويقال ، هذا جزاء من يحجد ولده(١١٥) .

فضلا عن ذلك ، هناك قضايا خاصة بالمنازعات الزوجية ، حول ضرب الزوج لزوجته ، وكذلك حول المسائل المالية عندما تكون الزوجة لها ممتلكات خاصة بها(١١٦) . وقضايا أخرى تطالب فيها الزوجة بعدم دخول أقارب زوجها بيتها ، وذلك لاهانتهم لها ، أو على الأقل إيجاد سكن خاص لها والمرأة في ذلك كانت تحافظ على حقوقها من جانب الزوج سواء بالنفقة الشرعية أو المعاملة الحسنة وعدم ضربها . والمحافظة أيضا على حرقتها من خلال إقامتها في مسكن خاص وهذه أمور من حق الزوجة أن تطالب بها(١١٧) .

وبصفة عامة ، فإن المرأة المصرية على ما يبدو ، لم تكن مستسلمة للأوضاع القائمة ، بل سعت للحصول على حقوقها وحرقتها في بعض الأحيان .

Op. Cit. II, P. 174.

(١١٤) انظر .

(١١٥) الكندي ، الولاة والقضاة ، ٥٨٦ - ٥٩٣ .

Op. Cit. III, P. 187.

(١١٦) انظر .

Ibid. P. 174 — 175.

(١١٧) انظر .

الفصل الثالث

الجواری

١ (مكائتھن فی المجتمع

٢ (عتق الجواری

٣ (الأسسعار

٤ (الوظائف والمهن

وإذا انتقلنا للحديث عن الجوارى ، نجد أنه كان من السمات العامة لدول العالم الاسلامى وجود طبقة من الجوارى ، سواء فى قصور الخلفاء ، أو لدى طبقات المجتمع المختلفة ، وذلك لأنه كان نظاما قائما فى تلك المجتمعات ، التى فتحها المسلمون . ولقد كانت الجوارى فى المجتمعات الاسلامية أحسن حالا من غيرهن فى أوروبا ، وذلك راجع الى أن الاسلام كان يبيع الزواج من الجوارى ، وإن الجارية إذا أنجبت تصبح حرة بعد موت سيدها (١) . ويبدو أن المسلمين قد استكثروا من شراء الجوارى كما أنتشر التسرى وهو اقتناء الجوارى للتمتع بهن ، ثم التزوج بالجارية إذا ولدت .

لذا نجد أن قصور المسلمين امتلأت بهؤلاء السرارى أو الحظايا ، لاسيما فى قصور الفاطميين من الخلفاء (٢) والوزراء فكان لابن كلس وزير الخليفة العزيز ستمائة حظية وكذلك الأفضل ابن بدر الجمالى ثمانمائة جارية منهن خمسون حظية لكل واحدة منهن حجرة خاصة بها (٣) .

-
- (١) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٩ .
(٢) ولقد بلغت جوارى الخليفة العزيز عشرة آلاف جارية . انظر .
اتعاظ ، ١ ، ص ٢٥٩ .
(٣) ابن ميسر ، ص ٥٨ .

كما اتبعت الاميرات الفاطميات على شراء الجوارى بأعداد كثيرة ، حتى انه كان بقصر ست الملك أخت الخليفة العزيز ثمانمائة جارية(٤) ، وكذلك كان لست الملك أخت الخليفة الحاكم أربعة آلاف جارية(٥) .

ولقد تعددت الاسماء ، التى كانت تطلق على الاناث من الرقيق مثل جارية أو أمة(٦) وحتى مملوكة(٧) . وكانت الجوارى يأتين فى الغالب ، اما عن طريق القوافل ، التى تأتى بالرقيق الأسود من الجنوب وبالرقيق الأبيض من أوروبا ، ولقد كانت مصر من أكبر أسواق الرقيق فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى(٨) ، أو يأتين كسبايا للحروب أو حتى هدايا من الملوك أو الخلفاء(٩) ، ولذا وجد فى الدول الاسلامية اجناس مختلفة من الجوارى مثل الحبشيات والنوبيات والروميات ومن الطريف أن نجد اسماء بعض الجوارى تدل على جنسياتهن مثل اسم « ست السمير » و « ست الروم »(١٠) . وفيما يبدو أن بعض الجوارى قد تمتعن بمنزلة كبيرة فى مصر ، حتى قبل العصر الفاطمى(١١) وخلالها ، فنجد أن بعض

(٤) نفسه .

(٥) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ .

(٦) لسان العرب ، ١٢ ، ص ٣٨٣ ، انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٩ .

(٧) انظر . Welt, Catalogue du Musée Arab, VIII, n 2721/397.

(٨) انظر . متر ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ، ص ٣١٥ .

(٩) انماظ ، ٢ ، ص ١٧٧ .

(١٠) انظر . Goltein, slave and slavegirls in The Cairo geniza . JESHO, IV, 1961, P. 12.

(١١) وكان لمحمد بن على الساردانى ، أحد وجوه القوم فى العصر الاخشيدى جارية عالية القدر ، اسمها ست الناس ، كانت تجلس فى شباك من شبابيك قصره وحولها جوارىها بالمداب . انظر . سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٥٥ .

الجوارى كان لهن ثروات كثيرة ، اذ تركت احداهن واسمها عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز ، ثروة تقدر بأربعمائة ألف دينار وكانت من وجوه عجائز القصر الفاطمي ، ولعل هذه الثروات كانت تأتي اليهن عن طريق الهدايا (١٢) ومما يدل أيضا على ثراء بعض الجوارى أن احداهن وتدعى فوز قد بنت مسجدا ورباطا بالقراغة الكبرى وأوقفته على أم الخير الحجازية (١٣) كما أن اهتمام الشعراء بالجوارى لدليل آخر على تلك المنزلة ، التي حظين بها (١٤) . حتى بعد وفاة الجارية كانت تكرم باقامة مقبرة لها وعليها شاهد يحمل اسمها (١٥) .

أما عن معاملة الجوارى ، فكان المسلمون يعاملون جواريتهم معاملة حسنة ، كما كانت المجالس الدينية ، التي كانت تعقد في القصر الفاطمي تدعو الناس الى الرفق بالرقيق من عبيد واماء ، وأن يتوفر لهم المأكل والملبس ، ولا يحملون فوق طاقتهم من العمل ولا يضربون الا تأديبا (١٦) وعلى الرغم من أن الاسلام كان يعتبر من

(١٢) اساطير ، ٢ ، ص ١٧٣ ، التحف والذخائر ، ص ٢٠ .

(١٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٤ .

(١٤) ومنها ما قاله ابن قلاؤس الشاعر المصري الذي توفي ٤٣٢/١١٢٧ .

رب سوداء وهي بيضاء المسك عندها الكافور

مثل حب العيون يحسب لنا س سوداء وهن نور

وفيات ، ٥ ، ص ٢٣ .

Répertoire, IV, n 1905; 1948; Wiet, Catalogue du
Musée Arab, VIII, n 2721/1091; 2721/1480.

(١٦) المجالس المستنصرية ، رقم ٢٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

يعتق الاسلام من الرقيق مواطنا ، الا أنه مع ذلك كان ينظر للعبد
أو الجارية في المجتمعات الاسلامية كمواطن من الدرجة الثانية بعد
الأحرار .

وعن عتق الجوارى ، فانه كانت تحرر وثائق بهذا الشأن من
قبل السيد أو السيدة ، يذكر فيها عدم تعرض أحد من أولاد السيد
للجارية المعتوقة بعد عتقها ، كما يتضح من احدى الوثائق بأوراق
البردى العربية (١٧) ، ان الجارية المعتوقة كانت أحيانا تسمى
باسمين ، اسم عربى وآخر قبطى ، فكان اسمها دجاشة بالقبطية
وصفراء بالعربية . وكانت الجارية المعتوقة تحصل من سيدها عند
زواجها على بعض الأشياء تساعد بها فى الجهاز أو على الأقل جزء
من منزل أو حتى مساعدة مالية ، ويكون ذلك مشروطا أن تظل
الجارية على دينها ، وهذا بالنسبة للجارية التى تكون لدى أهل
الذمة ، كما كان من الممكن أن تظل الجارية فى منزل سيدها بعد
زواجها حتى بعد عتقها (١٨) .

وتجدر الإشارة الى أن الجارية المعتوقة ، كان يطلق عليها
لقب مولاة وتنسب الى من أعتقها (١٩) ، كما أن العبد بعد عتقه
يظل يحمل لقب مولى ليس هو فقط بل وكذلك أبناؤه ، مثل ابن مولى
أو ابنة مولى كما هو مذكور على بعض شواهد القبور فى الفسطاط

(١٧) جروهمان ، ١ ، رقم ٣٧ ، ص ٦٠ - ٦٦ ، ويرجع تاريخها الى
عام ٣٩٣ وهى على ورق ابيض ، وقد قام بتحريه هذه الوثيقة - أربعة
أشخاص ، وكانت هذه الجارية مملوكة لسيدة تدعى اسطور هيوة .

(١٨) انظر Golteu, Med. Soc, I, P. 142; The exchange rate of
gold and silver money, JESHO, VIII, P. 4.

(١٩) انظر . حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ٣ ، ص ١١٧٤ .

وأسوان(٢١) . ولعل وجود هذه الشواهد تدل على تلك المكانة ،
التي حظي بها بعض الموالى ، كما أن بعضهن أقمن مساجد حملت
أسماءهن مما يدل أيضا على ثرائهن مثل مسجد الحجر بالقرافة
الكبرى ، الذى بنته مولاة على بن يحيى(٢٢) .

أما عن أسعار الجوارى ، فيبدو أنها كانت متارجحة فى
العصر الفاطمى ، فكان سعر الجارية يبلغ أحيانا عشرة دنانير ،
وهناك من وصل سعرها الى ثلاثين دينارا(٢٣) . كما ذكر
الأدريسي(٢٤) أن أحسن جارية بيعت فى أسواق مصر بثلاثمائة
دينار ، ولكن يبدو أن متوسط سعر الجارية قد وصل فى تلك الفترة
الى عشرين دينارا(٢٥) وكان ثمن الجارية يدفع أحيانا بالتقسيط
ويحرر بذلك وثيقة ، يدفع المشتري للبائع مقدما مبلغا بسيطا ، ثم
يقسط بقية الثمن حسب السعر الاجمالى ، ويدفع كل شهر جزءا
منه(٢٦) .

ثم ننتقل الى الأعمال التى قامت بها الجوارى سواء فى القصر
الفاطمى أو لدى طبقات الشعب ، ونجد أن الجوارى اللاتى كن يعملن
بالقصر كان عددهن كبيرا ، حتى ان ابن عمار ، الذى تولى الوساطة

(٢١) انظر . Op. Cit. n 1879; 2575; Wiet, Catalogue du
Musée Arab . VII, n 2721; 1555; 1506/111.

سعاد ماهر ، مدينة أسوان وآثارها ، رقم ٨٦ ، ١٢٠ .

(٢٢) الخطط ، ص ٤٥٠ .

(٢٣) انظر . Goitein, Slave and slavegirls, P. 8 — 10.

عطية القوصى ، تجارة البحر الأحمر ، ص ٢١٢ .

(٢٤) ص ١٣ .

(٢٥) انظر . Goitein, Med. Soc, 1, P. 189; Ashtor, Histoire des
prix, P. 208.

(٢٦) انظر . Gotthell and Worrell, XLV, P. 225.

للمخليفة الحاكم بأمر الله ، قد فرق كثيرا عنهن فلقد كان يوجد حوالي عشرة آلاف جارية وخادم (٢٧) . والجواري بالقصر نوعان ، نوع يقوم بأعمال القصر العادية ويطلق عليهن المستخدمات فقط ، أما النوع الثانى فيطلق عليهن أرباب الصنائع من القصوريات ، وإن أطلق على النوعين كلمة « المستخدمات » وكان من لهن صنائع يتدربن تحت أيدي زوجات الخلفاء ، اللاتي يقمن بتربيتهن وتعليمهن الصنائع . كما كان يقوم بخدمة بعض الجهات عدد من المستخدمات (٢٨) .

ومن الوظائف ، التي شغلتها الجواري فى القصر الفاطمى :

القهرمانة (٢٩) :

كانت تعرف هذه الوظيفة أيضا فى القصر العباسى (٣٠) ، وما يدل على أهميتها أسهام بعض القهرمانات فى بعض الأعمال الرئيسية فى القصر العباسى ، وكذلك جمعهن ثروات كثيرة ، ومن أشهرهن (ثمل) قهرمانة السيدة أم المقتدر العباسى ، جعلتها تجلس للنظر فى المظالم ، وكان يحضر مجلسها عدد من الوزراء والقضاة والفقهاء . أما فى القصر الفاطمى ، نسمع عن قهرمانة الخليفة الأمر بأحكام الله ٤٩٥ - ١١٠١/٥١٤ - ١١٣٠ . ومن الغريب أن هذه القهرمانة كانت تقوم بأعمال لا تتعارض فقط وكونها امرأة ، وإنما تتعارض مع السمة الغالبة لذلك العصر مثل تدبير أمر الجيوش ،

(٢٧) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٦ .

(٢٨) نفسه ، ١ ، ص ٤١١ ، ٤٨٠ .

(٢٩) القهرمان ، هو المسيطر الحفيظ على من تحت يده ، وهو من أسماء الملك وخاصته ، والقهرمان لفظ فارسيّ معرب ، معناه القسائم بأمور الرجل (انظر . لسان العرب ، ١٥ ، ص ٣٩٨) .

(٣٠) انظر : مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية فى العراق ، ص ١٢٤ .

ولعل هذا الدور كان قاصرا فقط على الاشراف ، كما تعددت مواهب تلك المرأة فهي كانت كاتبة مثقفة تقرأ فى بعض العلوم مثل الطب والموسيقى والنجوم (٣١) . ولم يقتصر عمل القهرمانات لدى الخلفاء ، بل كان هناك قهرمانات يقمن بالعمل لبعض سيدات القصر ، وأحيانا يكون للسيدة الواحدة عدة قهرمانات يقمن بشئونها مثل ست الملك أخت الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٢) .

صاحبة دواة الخليفة (٣٣) :

وتعتبر من الوظائف الهامة أيضا لقربها من الخليفة ، كما كان يقوم بأمر خدمتها موظف يلقب بلقب « أستاذ » وكانت مهام وظيفتها تختص بأعداد الأقلام والدواة للخليفة ومن هؤلاء اللاتي عملن بهذه الوظيفة فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ٥٢٤ - ٥٤٤ / ١١٣٠ - ١١٤٩ جارية تعرف بست غزال .

العفل بالمخزاة الباطنة (٣٤) :

كانت تتولاها امرأة تلقب بزين الخزان المقدمة ، وكانت مسئولة عن ملابس الخليفة ، ويعمل بين يديها ثلاثون جارية منهن ست خزان (٣٥) ، ربما كن يقمن بالاشراف على خزائن الملابس ، وهذا يتضح من لقبهن الى جانب عشر وقافات ، وهن أقل درجة من

(٣١) العيني ، تاريخ ، ورقة ٧٥٤ .

(٣٢) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٨ .

(٣٣) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٣٤) نفسه ، ١ ، ص ٤١٣ .

(٣٥) خزن الشيء يخزنه خزنا وأحرزه وجعله فى خزانة ، والخزانة اسم الموضع الذى يحزن فيه الشيء والخزانة همل الخازن (انظر . لسان العرب ، ١٦ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧) .

الخزان يساعدن المقدمة أثناء ارتداء الخليفة للملابسه ، وكان يخرج لزين الخزان من الكسوة حلة مذهبية ، أما الجوارى اللاتى يعملن تحت يديها فكان لكل منهن حلة حريري(٣٦) .

مقدمة المائدة الشريفة(٣٧) :

وهذه المائدة كانت تختص بالخليفة ، ويقوم بالاشراف عليها امرأة تلقب بالمعلمة مقدمة المائدة ، وكان من بين اختصاصاتها أن تتسلم من خزانة التوابل مقررات المائدة الشريفة ، والتي كانت تصرف شهريا ، وهى عبارة عن مسك وماء ورد . وكذلك الفسستى وكان يساعدنها فى ذلك مقدم الفراشين ، الذى كان يقوم أحيانا بتسلم هذه الأشياء بدلا منها ، مما يدل على أنه كان يعمل تحت خدمتها .

مقدمة خزانة الشراب(٣٨) :

وكان يقوم بالخدمة فيها أيضا امرأة تلقب بالمعلمة مقدمة خزانة الشراب وربما اقتصر عملها على ما هو خاص بالخليفة ، لأنه كان يشرف على هذه الخزانة أحد كبار الأستاذين بالقصر(٣٩) .
الى جانب هذه الأعمال ، كان هناك نوع آخر أقل فى الرتبة ومنها :

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٤١١ . والحلة كانت تطلق على الرى النسائي بصفة عامة ، بمعنى ملابس كاملة مطرزة بالذهب أو الحرير (انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٦) .
(٣٧) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٠ .
(٣٨) نفسه .

(٣٩) هذه الكلمة من أصل فارسي تعنى عريف أو سيد أو معلم ، وان أصبحت فى القصر الفاطمي تدل على عبيد القصر ، كما حُرِّفَت فى عصر المماليك « أستاذ دار » أو « استادار » لتدل على كبير خدم القصر (انظر . المرجع السابق ، ٢ ، ص ١١ حاشية رقم ٣) .

المغنيات والراقصات :

وهي من الأعمال التي قامت بها الجوارى أيضا والتي تعلق
بالترف والرفاهية ، وذلك لأن مجالس الغناء والرقص كانت سمة
من سمات القصور الإسلامية ، كما أقبل عليها كبار رجال الدولة
وكذلك بقية طبقات المجتمع ولاسيما الطبقات العليا . ويتضح ذلك
بالنسبة لمصر الإسلامية من تشجيع الطولونيين للغناء فكان خمارويه
ابن أحمد بن طولون يجلس للشرب والمغنيات من حوله ، كما بنى
فى داره مجلسا عرف ببيت الذهب رسم على حيطانه صور بعض
المغنيات (٤٠) .

كذلك اهتم الاخشيديون بالغناء ، وكان محمد بن طنج
الاخشيدي مولعا بسماع المغنين والمغنيات . كما أن علية القوم فى
مصر كانوا يقبلون فى مجالسهم الخاصة وماذبهم على سماع
المغنين والمغنيات (٤١) .

أما فى العصر الفاطمى ، فلقد ازداد الاهتمام بالغناء والرقص
وذلك راجع الى حياة الترف التى عاشها الخلفاء فى البلاط الفاطمى ،
وكذلك مشاركتهم للشعب فى الاحتفال بالأعياد والمناسبات المختلفة ،
ولذلك لم يقتصر تشجيع الغناء على الخلفاء والأمراء بل شاركهم فى
ذلك أيضا عامة الشعب ، ويبدو ذلك فى مجالس الغناء ، التى كانت
تقام على شواطئ النيل فى بعض المناسبات والأعياد (٤٢) .

(٤٠) الخطط ، ١ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ . انظر ، محمد جمال الدين
سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ١٩٠ .
(٤١) ابن سعيد ، ص ٢٩ ، انظر سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين
ص ٢٧٥ .

(٤٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٩٤ . كان الناس يخرجون من
المسلمين والنصارى فى يوم الفطاس ولا يتناكرون بكل ما يمكنهم اظهاره من
المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف .

ومع ذلك فليس لدينا معلومات عن مغنيات تلك الفترة ، ولكن لعل تلك المجالس ، التي كانت تقام فى القصر كانت تقدم من خلال عدد من المغنين والمغنيات وكذلك العازفين والعازفات وهذه المجموعة فى الغالب كانت مقسمة للعزف على الآلات الموسيقية، التي اشتهرت فى تلك الفترة مثل العود والناي والدف والزممار والنقارة ، والتي تضمنتها مناظر للمطربين والمطربات المنقوشة على الخشب ، والتي ترجع الى تلك الفترة (٤٣) ، فضلا عن مجموعة الأطباق الخزفية الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (٤٤) التي تصور بعض نساء يعزفن على هذه الآلات ولاسيما العود والقيثارة ويبدو أن المطربات والعازفات كن يجلسن فى مجالس الرجال ويعزفن وهن مرتديات ثياب وقورة محتشمة (٤٥) ، وان كان التقليد المعروف فى القصور الاسلامية ، وحتى فى مصر أن يجلسن من وراء ستار (٤٦) ، ولعل جلوسهن هذا جاء فى فترة متقدمة .

ولما كانت المغنيات بصفة عامة من الجوارى ، فلقد كان لكل خليفة أو أمير مغنية أو مغن خاص به ، وكانت بعضهن تشتري من الخارج ، كما كان هناك سوق لبيع المغنيات ، ولكننا لا نعرف أشهر مغنيات تلك الفترة سوى ما ذكرته المصادر عن مغنية الخليفة المستنصر ، التي تعرف بنسب الطبالة (٤٧) ، ولعلها كانت إحدى المغنيات اللاتي يغنين تحت القصر فى أيام المواسم والأعياد ، ثم

(٤٣) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢١٢ ، انظر . ماجد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٢٧١ .

(٤٤) سجل رقم ١٤٩٢٥ ، ١٤٩٢٣ .

(٤٥) انظر . محمد ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٤٦) انظر . متر ، الحضارة الاسلامية ، ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٤٧) أخبار مصر ، ص ١٠٧ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٥ .

اتخذها المستنصر مغنية خاصة له ، بعد أن سمعها تغنى مشاركة الخلافة فرحتها ، بعد أن قام البساسيري بالخطبة (٤٨) ، وضرب السكة باسم الخليفة المستنصر الفاطمي في بغداد ١٠٥٨/٤٥٠ ولقد منحها الخليفة المستنصر أرضا جانب الخليج الغربى بجوار المقس عرفت باسم أرض الطبال نسبة الى هذه المغنية ، التى على ما يبدو كانت تغنى بالطبل (٤٩) .

كما نعرف أنه كان للخليفة المستنصر مغن آخر يعرف باسم ابن ميسرة الكتامى ، ومن الملاحظ أنه كان له مسجد وفى قبائلته تربة نسب الطبال بالقرافة (٥٠) ، ولقد كان لبعض هؤلاء المغنيات منزلة كبيرة ، حتى اذا مات احداهن حزن عليها كثيرا (٥١) .

ومع اسراف الناس فى اللهو بما فيه الاهتمام بالغناء ، أدى الى أن الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر أمرا من خلال برنامج الإصلاحى ١٠١٠/٤٠١ بمنع الغناء ، كما أمر ألا تباع مغنية (٥٢) ، ولكن ما لبث أن عاد الناس الى ذلك ، واتخذوا المغنيات بعد موت الخليفة الحاكم وتولى الظاهر الخلافة ، الذى كان مشغولاً باللهو

(٤٨) عنه ، انظر . وفيات ، ١ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، التامل ، ٨ ، ص ٨٣ - ٨٧ .

(٤٩) انماظ ، ٢ ، ص ٢٥٤ ، ولقد غنت فى هذه المناسبة بين يدي الخليفة المستنصر :

يا بنى البساسى ردوا	ملك الامر محمد
ملككم كان معسارا	والعواري تسترد

(٥٠) الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٥١) ديوان الامير تميم بن المعز ، ص ٣٠٣ .

(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٨٧ .

والغناء (٥٣) ، ولعل مجيئه بعد خليفة متزمت مثل الحاكم ، قد جعل البعض يصفه بالاسراف فى اللهو .

أما بالنسبة للراقصات (٥٤) ، فمن خلال الصور التى ترجع الى العصر الفاطمى ، والتى نقشت على الجدران أو الخشب ، نجد أن الرقص قد تميز بالاحتشام من حيث أسلوب الرقص وكذلك من حيث الملابس ، وعلى الرغم من أن الرقص فى هذه الفترة كان هدفه البهجة فى مجالس الطرب إلا أنه مع ذلك كان يتجنب الابتذال وتعريه الاجسام بالنسبة للراقصات بالقياس للعصور السابقة على الاسلام ، وكانت الرقصات تؤدى حسب الأنغام والايقاع .

ولما كانت الحياة الاجتماعية فى مصر فى تلك الفترة تميل الى حد كبير الى اللهو ، لذا كثر الاهتمام بالرقص مثل الغناء . أما عن طريقة الرقص التى كانت شائعة فى تلك الفترة ، فهى أن تمسك الراقصة بمنديل فى كل يد ثم تؤدى حركات بالأيدى والأرجل بصورة متوازنة وأحيانا تمسك بوقات فى يديها أو حتى وشاح يلف حول الظهر من الخلف أو حول الصدر من الأمام (٥٥) . ولم يكن الرقص مقصورا على النساء ، وكان الرقص بشكل عام يشبه الى حد كبير بعض الرقصات التى لاتزال موجودة فى بلاد الأندلس حتى الآن (٥٦) .

(٥٣) المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٥٥ .

(٥٤) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير فى العصر الاسلامى ، ص ٨٦ ، ٨٨ .

(٥٥) انظر . نفسه .

(٥٦) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢١٢ .

ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة طبق من الخزف ذى البريق المعدنى مرسوم عليه راقصة تبين هذه الطريقة فى الرقص سجل رقم ١٥٩٥٠ . وآخر برقم ٧٢٨٥٠ .

الطبباخات :

وهؤلاء كن يعملن فى مطبخ القصر (٥٧) ، والذى كان يقع خارج القصر قبالة القصر الغربى ، وكان يصل القصر بالمطبخ طريق تحت الأرض ، ويعمل فى المطبخ خمسون شخصا من بينهم الطبباخات ، اللاتى اشتهرن بالمهارة الفائقة فى صنع بعض الأصناف من الأطعمة ، ولاسيما الحلوى ، التى اشتهرت فى الخلافة الفاطمية ، ولقد تعددت هذه الأنواع ومنها الجوزاب (٥٨) والخشكناج (٥٩) والفالودج واللوزينج وكانت تعمل بصفة عامة من الدقيق والسمن والسكر ، وهى فى الغالب اسماء فارسية وكانت تشكل على هيئة القصر والطيور والحيوانات (٦٠) ولقد استمرت شهرة هؤلاء الطبباخات حتى بعد انتهاء الخلافة الفاطمية (٦١) .

الخدمة فى اصطبل الخليفة :

واذا كانت الأعمال السابقة تناسب طبيعة المرأة ، فإن الخدمة فى الاصطبل (٦٢) ، ربما تكون شاقة بالنسبة للمرأة من ناحية ومن

(٥٧) الخطط ، ١ ص ٤٦٢ ، سفر نامه ، ص ٦٤ .
(٥٨) والجواذب اصناف من الطعام تصنع من الارز ومن رقائق الخبز وبسكر وبفر سكر ، وتوضع فى وعاء ويلقى عليها حيوان كالأوز وتشوى فيقطر دهنها عليها ، لابد منها ، والا فليس بجوزابة .
Dozy, Suppl, 1, P. 231. انظر .
(٥٩) والخشكناج هو عجينة دقيق تترك بالسيرج ويضاف اليها سكر نامم ولوز. مدقوق وماء ورد وتقطع قطعاً مستطيلة وتخبز فى الفرن .
Ibid. P. 373. انظر .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، صبح الاعشى ، ٣ ، ص ٥١٨ .

(٦١) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٧ .

(٦٢) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٥٢٢ .

ناحية أخرى ، أن العمل كان يتطلب السهر ليلا ، حتى اذا ما أراد الخليفة الركوب ، فى أى وقت فكن يقمن بشد ما يحتاج اليه من الدواب ، فضلا عن خدمة البغال والحمير، وربما تكون هذه المهنة اقل الأعمال ، التى قامت بها المرأة وهى تشبه عمل السائيس فى وقتنا الحالى(٦٣) .

اما بالنسبة للجوارى ، اللاتى يعملن لدى بقية طبقات المجتمع فكان العمل تقريبا متشابها وهى الخدمة فى المنازل . وكان يوجد فى كل منزل جارية أو جارتان بالنسبة لمياسير الناس . كما كانت تعمل الجارية أيضا مربية للأطفال أو حتى وصيفة(٦٤) . ويبدو أن الجارية النوبية ، هى التى كانت تفضل على سائر الأجناس للخدمة فى المنازل ، كما كان يفضل الجارية الصغيرة السن ، والتى ليس لديها أطفال ، حتى تقوم بعملها دون أن يؤثر على نشاطها احد(٦٥) وهذه الشروط كانت تضعها بلا شك ربة البيت ، التى كانت تقوم بالاشراف على عمل الجارية .

ومع ذاك ، لم يقتصر دور الجوارى على المشاركة فى الحياة العامة ، بل كان منهن زوجات وأمهات الخلفاء اللاتى عشن فى القصر الفاطمى وتمتعن بعظمة الخلافة .

(٦٣) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ص ٢٥ - ٢٦ .

Goitein, Med. Soc, I, P. 135.

Ibid.

(٦٤) انظر .

(٦٥) انظر .

الفصل الرابع

الزواج

(أ) الخطوبة

(ب) المصداق

(ج) عقد الزواج

(د) جهاز العروس

(هـ) الأفراح

(و) الأسرة •

(ز) الأعمال المنزلية

إذا انتقلنا للحديث عن الزواج ، الذى يعتبر نظاما اجتماعيا لتكوين الأسرة ، فلابد لنا من التعرف على كل مايتعلق به ابتداء من الخطبة وقيمة الصداق وعقد الزواج والشروط التى يتضمنها ، ثم الجهاز والافراح وأخيرا حياة الأسرة . ولقد ضنت المصادر بالمعلومات عن هذا الجانب ، وذلك لأنه يعتبر من الجوانب الاجتماعية ، التى قلما أن تهتم بها المصادر فى تلك الفترة .

ومن المحتمل أن الفتاة كانت تتزوج فى سن مبكرة جدا ، تقريبا عند سن البلوغ (١) . كما أن اختيار العروس كان يتم عن طريق الأهل ، الذين يقومون بتعيين عدة فتيات للرجل على أن يختار إحداهن (٢) أما عن الخاطبة ، فلا نكاد نسمع عنها فى تلك الفترة ومن المؤكد أنها وجدت فى هذا المجتمع كوسيط بين العروسين ووسيلة للاختيار ، إذ أنها كانت من السمات العامة التى تتعلق بها

(١) الكامل ، ٩ ، ص ٦٨ وتزوج الخليفة العائس وهو فى الحادية عشرة من عمره ، ولابد أن تكون العروس فى هذا السن (أو دونه) ، كما أن وثائق الجنيزة تشير الى أن الفتاة كانت تتزوج فى السابعة عشرة من عمرها .
Goitein, Med. Soc, III, P. 71 — 72. انظر .

(٢) النكت المعربة ، ص ١٤٧ .

الجانب فى العصور الوسطى الاسلامية لأنه لم يكن من السهل رؤية
الفتيات بحرية قبل الزواج (٣) .

كما لم تستشر العروس فى الخسالب عند الخطوبة بل دون
استشارة العريس أيضا، فكان يقوم كل من ولى الزوجة ووكيل الزوج
بعملية الاختيار هذه بالنسبة للعروسين (٤) . وعموما كان الرجل
يحرص دائما على اختيار فتاة حرة عند الزواج ، ولعلها كانت الصفة
السائدة فى تلك الفترة ، أنه لابد من وجود امرأة حرة مهيبة فى كل
منزل (٥) ، أما بالنسبة للفتاة الذمية وخاصة اليهودية ، فكان الاختيار
أيضا يتم بواسطة الأسرة ، ويكون للأب الكلمة الأخيرة فى اتمام
الزواج (٦) .

أما فيما يتعلق بالصدّاق أو المهر (٧) وهو بمعنى الصداقة أو
الهدية ، الذى يعتبر من حقوق الزوجة على زوجها ، وعلى الرغم من
أنه من أحكام عقد الزواج إلا أنه لا يبطله . ولما كان ليس هناك
اختلاف بين المذهب السنى والمذهب الشيعى من حيث قيمة الصداق ،
إلا أن بعض مذاهب السنة ترى أن أقل الصداق ربع دينار أى (ثلاثة
دراهم) ، كما يرى الشافعى أيضا أن كل ما يصدق عليه اسم المال
يصلح أن يكون مهرا ، ولذا لم يعتبر له حد أدنى ، كما أن الصد
الأعلى له غير مقرر ، ولا يلزم تقديم الصداق كله وقت العقد ، بل
يجوز أن يقدم بعضه ويؤخر الباقي الى أجل معلوم (٨) .

(٣) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٥ .

(٤) انظر . أحمد الشامى ، التطور التاريخى لعقود الزواج فى

الاسلام ، فصله من ندوة البرديات ، ١٩٨٣ ، ص ٣ .

(٥) المصدر السابق .

Op. Cit.,

(٦) انظر .

(٧) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٥ .

(٨) انظر . المرجع السابق ، ص ١٥ .

ومع ذلك ، فلقد وجد اختلاف فى قيمة الصداق وذلك راجع الى مكانة العروسين الاجتماعية ، ولذا نجد الصداق بالنسبة للطبقة الحاكمة كبيرا جدا ، وهذا بلا شك يتلاءم مع عظمة الخلافة ، كما كان الخليفة يقدم أحيانا لبعض رجال دولته الصداق كهدية من بيت المال (٩) .

أما عن قيمة الصداق بالنسبة للمرأة المصرية ، فنجد أنه من خلال العقود التى وصلتنا ، والتى تخص المرأة المسلمة (١٠) أنها لا تعبر بصدق عن المستوى العام ، إذ أنها قليلة ولعلها تخص نساء الطبقة الفقيرة ، ذلك لأنها وصلت ما بين دينارين وأربعة دنانير ومما يؤكد ذلك أن صداق المرأة اليهودية نجده بالنسبة للطبقة الغنية كان يصل أحيانا الى ألف دينار تقريبا ، والطبقة المتوسطة الى ثمانين دينارا ، أما الطبقة الفقيرة فقد وصل الى دينارين أو أقل فى بعض الأحيان (١١) . كما نعرف أن هناك من المسلمات من وصل صداقها الى أربعين دينارا ولعلها كانت من الطبقة المتوسطة (١٢) ، بالإضافة الى أن عقود الزواج الخاصة بالمسلمات والتى ترجع الى ما قبل العصر الفاطمى وبعده تتراوح ما بين دينار وثمانين دينارا (١٣) .

ولما كان يدفع جزء من الصداق كمقدم والباقى يؤجل الى أجل معلوم ، فمن الملاحظ أن قيمة المؤخر كانت أكبر من قيمة المقدم ،

(٩) رفع الاصر ، ٢ ، ص ٣٦٤ ، الكامل ، ٧ ، ص ٢٥٧ .

(١٠) انظر . جروهمان ، أوراق البردى العربية ، ١ ، رقم ٤٤ ،

ص ٩٦ ، رقم ٤٥ ، ص ١٠٠ .

Goltein, Med. Soc, III, P. 139.

(١١) انظر .

(١٢) النكت المصرية ، ص ١٤٧ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٧٩ .

ولعل السبب في ذلك هو تأمين المرأة اقتصاديا بعد انفصالها عن الزوج أو بعد وفاته . ولذا كان يكتب بالمؤجل من الصداق سند للزوجة (١٤) ، وكان في بعض الأحيان يؤدي الزوج هذا المؤخر الى والد الزوجة ، كما كان يحدد في عقد الزواج المدة التي يدفع فيها الزوج هذا المؤخر ، وكانت أحيانا تحدد بعدة سنوات ، كما نجد في أحد العقود أنه قد اشترط على الزوج أن - يدفع المؤخر بعد خمس ليال (١٥) . وعند وفاة الزوج كان مؤخر الصداق يعتبر دينا ممتازا واجب الأداء ويجب أن يستوفى كاملا قبل أن تقسم التركة (١٦) .

وعن صيغة عقد الزواج الخاصة بالمسلمات والتي ترجع الى العصر الفاطمي أو حتى قبله فبعد البسملة تأتي الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق ثم اسم العريس والعروس كاملين ، ويبين حالة العروس اذا كانت (ثيبا) أو بكرا (١٧) ، كما يذكر في العقد وهو من شروطه أيضا أن تكون العروس (بالغ) ولعل بعض العقود كانت تكتب دون التأكد من هذا الشرط مما يجعل بعض الشهود يرى أنه لا بد من فسخ العقد ، ولقد حدث ذلك في عهد الخليفة العزيز ورفعت اليه هذه الشكوى ولما تأكد من صحة ما جاء به الشاهد أمر بفسخ العقد (١٨) .

-
- (١٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٨ ، ص ١٠٥ .
 (١٥) انظر ، نفسه ، ١ ، مقد رقم ١٤٥ ، ١٠٠ انظر . أحمد الشامي ، التطور التاريخي لعقود الزواج ، ص ١٧٠ .
 (١٦) الكندي ، الولاية والقضاة ، ص ٣٤٥ ، انظر ، حورية عبد المجيد سلام الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر حتى العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير ١٩٧١ ، ص ١٨٣ .
 (١٧) المصدر السابق ، ١ ، عقد رقم ٤ ، ص ٨٥ ، رقم ٤١ ، ص ٨٨ .
 (١٨) الكامل ، ٧ ، ص ٢٠٢ .

هذا فضلا عن بعض الشروط التي كانت تؤكد مكانة المرأة في الأسرة ومنها حرية الزوجة في التصرف فيما تمتلك وعدم تدخل الزوج فيما تنصرف (١٩) ، وأن يكون للزوجة حق طلاق أى امرأة يتزوجها الزوج بعدها ، وكذلك بيع أى جارية يتخذها بعد زواجها . وكذلك الا يمنعها من أهلها ولا يمنعهم منها ، كما تتضمن وصايا بحسن العشرة والمعاملة ووجوب طاعة الزوجة لزوجها وكانت هذه الوصايا تدعم بذكر بعض الآيات القرآنية (٢٠) .

وكذلك كان يدون بالعقد اسماء الشهود على العقد ، الذين كان يتراوح عددهم ما بين شاهدين الى أربعين شاهدا (٢١) . كما أن موافقة العروس ورضاها بقيمة الصداق التي قدرت لها كان لابد أن تتم أمام شاهدى عدل ، لتأذن لهما العروس عن رضاها ولا بد أن يكونا حرين مسلمين بالغين عاقلين ، وذلك يبين مدى التأكد من موافقة العروس ، وكان أحيانا يؤخذ على شهود العقد شهادات مكتوبة يوقعون عليها ويثبتون أنهم يعرفون العروس وأنها يتوفر فيها كل شروط الزواج التي يلزمها العقد من كونها بكرًا وبالغا وغيره من الشروط (٢٢) .

أما عن عقود الزواج بالنسبة للمرأة الذمية (٢٣) ، وخاصة اليهودية فإن معلوماتنا مستفيضة في هذا الجانب ، وذلك لوفرة هذه العقود الموجودة بوثائق الجنيزة ، والتي تتضمن شروطا

(١٩) المصدر السابق ، ١ ، ص ١٥٩ ، ١٢١ .

(٢٠) انظر نفسه ، ١ ، عقد رقم ١٥٩ ، ص ٧٣ ، ١٢١ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢١) انظر . أحمد الشامي ، التطور التاريخي لعقود الزواج ،

ص ٢٣ .

(٢٢) انظر . نفسه ، ص ١٦ .

Goitein, Med. Soc. III, P. 105.

(٢٣) انظر .

عديدة تفرض على الزوج عند كتابة العقد ، منها شروط مألوفة فى كل العقود ، التى تمت فى الفسطاط فى القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى أو شروط أخرى خاصة تبعا لظروف الطرفين المتعاقدين .

ومن الشروط المألوفة فى هذه العقود ما هو متعلق بإدارة شئون المنزل ، الذى يقع على عاتق الزوجة ، التى يجب عليها أن تديره بأمانة هذا الى جانب تعهد الزوج ألا يتخذ زوجة ثانية ولا يحتفظ بجارية لا توافق عليها زوجته . ومن الملاحظ أن هناك تشابها بين الشرطين الأخيرين بالنسبة للمرأة اليهودية والأخرى الخاصة بعقود المسلمات الموجودة بأوراق البردى العربية وخاصة قبل العصر الفاطمى . مما يجعلنا نعتقد أن ذلك مرجعه الى التأثير المتبادل بين طوائف المجتمع أو لعله كان الصفة السائدة لهذه العقود فى هذه الفترة . كما تتضمن الشروط الخاصة بالمرأة اليهودية فى عقد الزواج شروطا تتعلق بالجهاز أو الشوار بأن يهود لأسرتها بعد وفاتها أن لم يكن لها أطفال .

والنوع الثانى من الشروط يتعلق بمحل الإقامة للزوجين ، يقرر فيه إما الزوج أو الزوجة له حق الاختيار . كما توجد بعض الاشارات عن دخل الزوجة ، وهذه الشروط بلا شك كانت تخص المرأة العاملة ، وبذلك كان يشترط أن تزود الزوجة نفسها بالملابس مما تكسب ، هذا فضلا عن شروط أخرى بعدم سفر الزوج خارج البلاد ، أو على الأقل الانتقال من المدينة التى يقيم فيها الزوجان بدون موافقة الزوجة .

أما الشروط الخاصة . فهى تتعلق بنفقات العرس أو الفرح والعلاقة بين الزوجين وبكل من عائلتى الزوج والزوجة ، هذا فضلا

عن وضع الأطفال من الزواج السابق ، وحرية انتقال الزوجة ومعاملتها بصفة عامة (٢٤) ، وهذه الشروط بلا شك تعمل على حماية المرأة وصيانة حقوقها .

وبالنسبة للمرأة المسيحية فلا نكاد نعرف عنها شيئا بما يخص ذلك الجانب ، ولم توجد وثائق ترجع الى تلك الفترة ، نستطيع من خلالها أن نتعرف على العقود الخاصة بزواجها وما تتضمنه من شروط ومن المحتمل أنها كانت تتشابه والعصر الذى كادت تعيش فيه .

أما فيما يتعلق بالجهاز الذى كانت تحمله العروس معها الى منزل الزوجية ، فقلما تشير المصادر اليه ، ولكننا نستطيع أن نتعرف على أنواعه من خلال قوائم الجهاز الموجودة فى وثائق الجنيزة والخاصة بالمرأة اليهودية وكانت قائمة الجهاز تلحق بعقد الزواج ، أما بالنسبة لعقود الزواج الخاصة بالمسلمات والموجودة فى أوراق البردى العربية فلا توجد معها مثل هذه القوائم وهذا ربما يعنى عدم شيوع القائمة الخاصة بجهاز العروس فى تلك الفترة ، أو على الأقل كانت قائمة الجهاز منفصلة عن عقد الزواج ، ومع ذلك لم تصلنا أى قائمة من هذا النوع على الرغم من أن قوائم الجهاز بالنسبة للمسلمات تعتبر تقليدا شائعا حتى وقتنا الحاضر .

وكذلك لم يصلنا شيء بما يخص المرأة المسيحية ، ولما كانت وثائق الجنيزة تحتوى على معلومات غزيرة بالنسبة لهذا الموضوع مع قصور المصادر الاسلامية ، فكان لا يمكن أن نخفل هذه الوثائق ، لأن ما تتضمنه من أنواع الجهاز المختلفة لا يعنى أنها وقف على

المرأة اليهودية أو على الأقل أن جهاز اليهوديات كان له سمعة خاصة ، لأننا لا نستطيع المقارنة بين جهاز المسلمات واليهوديات لندرة المادة التاريخية فى ذلك الموضوع ، فضلا عن ذلك أن المرأة اليهودية تعتبر جزءا من ذلك المجتمع فى تلك الفترة ولا يمكن أن تغفلها ، ولذلك نستطيع على الأقل من خلال تلك القوائم الى جانب التتف الموجودة فى المصادر التاريخية أن نتعرف على أنواع الجهاز بصفة عامة فى العصر الفاطمى .

وعند كتابة القائمة كان لابد من أن يأتى بعض الرجال لتقييم بنود الجهاز المختلفة كل بند على حدة ، وكان لابد أن يوافق العريس على هذا التقييم ، لأنه بدون شك سوف يكون مسئولاً عن حفظ هذا الجهاز ، وخاصة الأشياء الثمينة ، التى تتضمنها القائمة ، وكانت هذه الموافقة تكتب فى الوجه الأول من القائمة ، التى يكتب فى أعلاها كلمة « تقويم أو تقييم » أما الوجه الثانى من القائمة فيحصى فيه البنود المختلفة للجهاز (٢٥) .

أما عن تكاليف الجهاز فكانت تدون فى عقد الزواج على مسئولية الزوج أيضا ، وكان بالطبع من الممكن أن تغير بعض أجزاء الجهاز أثناء الزواج أيضا إذ كان لابد من موافقة الزوج على ذلك (٢٦) ويبدو أن قيمة الجهاز كانت تضاعف إذ أنه كان تقليدا شائعا فى ذلك الوقت فى الفسطاط (٢٧) ، فىرى جواتين Goitein (٢٨) أن عقود الزواج فى القرن الخامس

Ibid. P. 124.

Ibid. P. 343.

Ibid. P. 127.

Slave and Slavegirls, Arabica, IX, P. 90.

(٢٥) انظر .

(٢٦) انظر .

(٢٧) انظر .

(٢٨) انظر .

الهجرى - الحادى عشر الميلادى والخاصة باليهوديات كانت تقدر باسراف ، وكانت المبالغ توضع مضاعفة لغرض المباهاة ، كما يضيف المستشرق أشتور Ashtor (٢٩) أن أدوات السرير من وسائد ومفارش ، كانت اثمانها مبالغا فيها ، هذا الى جانب اوعية الطعام المصنوعة من الذهب والفضة والملاعق والأبر وصناديق الحلى المطعمة باللاؤلؤ والجواهر ، ومع ذلك يذكر أن هذا التقليد لم يكن شائعا بصفة عامة على كل عقود الزواج فى تلك الفترة .

ولقد قدر أحيانا ثمن الجهاز بمبالغ غاية فى الارتفاع ، فكان أحيانا يصل الى خمسمائة دينار بل ويصل أحيانا الى أكثر من ذلك (٣٠) . ولعل ذلك راجع الى أن قائمة الجهاز تعكس الجانب الاقتصادى لكلا الطرفين . على العموم كان متوسط قيمة الجهاز فى تلك الفترة خمسين دينارا (٣١) كما أن نصف عرائس الفسطاط كن يحضرن جهازا يساوى فى الغالب مائة دينار أو أقل . أما بالنسبة للطبقات الفقيرة ، فكانت قوائم الجهاز قلما يوجد فيها ملابس حريرية وأدوات طعام مصنوعة من المعادن النفيسة (٣٢) .

كما أن ما ذكرته المصادر عن ثمن الجهاز بالنسبة للطبقة الحاكمة من خلفاء ووزراء يبين الى أى مدى ذلك الاسراف . وكان لابد أن تكون هذه المبالغ مرتفعة ، وذلك بما يليق بهذه الطبقة ، فلقد جهز ابن كلس وزير الخليفة العزيز ابنه بحوالى مائتى ألف

Le Coût de la vie, JESHO, III, P. 75.

(٢٩) انظر .

Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, JESHO,

(٣٠) انظر .

VI, 182.

Ibid. P. 166.

(٣١) انظر .

Ibid. P. 165.

(٣٢) انظر .

دينار (٣٣) ، وكذلك قدر جهاز أخت كاتب السيدة العزيزية بمائة ألف دينار (٣٤) . وهذه المبالغ ، ربما ترجع الى حرص هذه الطبقة على الاكثار من شراء الجواهر الثمينة فى جهاز العروس ، وكذلك ترجيع بعض قطع الأثاث بالجواهر والدر ، وليس أدل على ذلك من جهاز قطر الندى الشهير (٣٥) فى العصر الطولونى . ومع ذلك ثان ضخامة هذه الأسعار السابقة تجعلنا نشك فى مدى صحتها .
لأنها مبالغ فيها .

واذا انتقلنا الى الأقسام الرئيسية ، التى كان يشملها جهاز العروس ، فهى تتكون من الحلى والملابس وفرش السرير ولوازمه والأثاث والنحاس والأدوات المنزلية الأخرى . وكانت الحلى تأتى فى الغالب فى المقدمة بالنسبة للعرائس بالموسرات وأحيانا تأتى فى المرتبة الثانية (٣٦) وكانت هذه القطع عبارة عن خواتم ذهبية وفضية ، وكذلك الأساور والأقراط ، وكان العريس يحضر جزءا من الحلى كهدية للعروس وتحضر العروس جزءا كبيرا من الحلى فى جهازها (٣٧) .

ثم نجد بعد ذلك ، الملابس بأنواعها المختلفة ، والتى سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن الملابس بصفة عامة ، وكانت هذه الملابس الخاصة بالعروس توضع فى صندوق ، وتقوم العروس باختيار ملابسها أثناء فترة اعداد الجهاز ويبدو أن هذه الفترة كانت طويلة

(٣٣) الخطط ، ٢ ، ص ٨ .

(٣٤) العاظ ، ١ ، ص ٢٧١ .

(٣٥) النجوم ، ٣ ، ص ٦١ ، الخطط ، ١ ، ص ٣١٩ .

Goitein. Med. Soc, III, P. 129.

(٣٦) انظر .

Ashtor, Histoire des prix, P. 219, 220.

(٣٧) انظر .

أحيانا مما يجعل الفتاة المقبلة على الزواج تخرج هذه الملابس من وقت
آخر في الهواء ، أو حتى أن أعداد الجهاز كان يتم قبل خطبة
الفتاة (٣٨) . كما كانت العروس تحضر نوعا من الملابس الداخلية
الخاصة بالمنزل ، والتي تصنع من الأقمشة الرقيقة (٣٩) .

أما الجزء الكبير الثاني من الجهاز ، فهو يشتمل على الأثاث
المصنوع من القماش ، والذي يتكون من لوازم السرير وفرشه من
مراتب وأغطية ووسائد ، هذا إلى جانب المساند والأبسطية
والستور (٤٠) . وكان هناك نوع من المراتب يطلق عليه ، ترحة
أو مترج وهو خاص بالطبقات الفقيرة والمتوسطة (٤١) . وكذلك
من خازل ما تحتويه خزانة الفرش والأمتعة بالمقصر الفاطمي (٤١) ،
نستطيع أن نتعرف على أنواع الفرش بالنسبة للطبقة الحاكمة
والطبقات الثرية من المسلمين ، ولعلها تعكس في الوقت نفسه
الأنواع الشائعة والتي يتضمنها جهاز المسلمات ، فكان يوجد بهذه
الخزانة مراتب ملونة من أقمشة فاخرة مثل قماش البوقلمون
وغيره (٤٣) . وكانت أسعار هذه القطع غاية في الارتفاع .

Op. Cit. P. 342.

Ibid. P. 326.

Ibid. P. 120.

Op. Cit. P. 176.

(٣٨) انظر .

(٣٩) انظر .

(٤٠) انظر .

(٤١) انظر .

(٤٢) الخطط ، ١ ، ص ٤١٦ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ،

ص ٢٠ .

(٤٣) البوقلمون أو البوقلمون وهو قماش ينغير لونه خلال ساعات
النهار . وقد اشتهرت مصر بصناعته (عنه . انظر ، سفر نامه ، ص ٣٨)
كما أن الثروات ، التي خلفتها الأميرات الفاطميات ، لعلها كانت تكون جزءا
من جهازهن أمثال السيدة عبدة والسيدة رشيدة ابنتي الخليفة المعز انظر
الجزء الخاص بالثروات في الفصل الأول .

أما فيما يخص أغطية الفراش ، فمنها غطاء يسمى «ديوان» (٤٤) وهو من أغطية السرير من قماش الكتان ، وكذلك اللحاف ، الذى كان يصنع أيضا من الكتان وتزين حوافه بكنار كما كانت تصنع بعض الأغطية من الصوف ، ولعلها تستخدم فى فصل الشتاء ، كما كان يستخدم نوع آخر من الملاء كغطاء يسواء من الكتان أو الديباج (٤٥) ، فضلا عن ذلك هناك نوع من الأغطية يسمى «سرايق» (٤٦) وهو على هيئة خيمة واسعة ذات سور عال محيط بالسرير وتصنع من قماش الكتان . وكانت الفتيات الموسسات يحضرن فى جهازهن غطاء سرير «مفرش» رومى يساوى سعره فى المتوسط عشرة دنانير ، وكذلك يحضرن أيضا مخدة رومية (٤٧) .

شذا الى جانب المساند ، التى توضع على الارائك والمقاعد للجلوس ، والتى كان يستعمل فيها انواع مختلفة من الأقمشة مثل الطبرانى ، الذى يأتى من طبرستان بإيران وهو قماش من الصوف والحريز ، كما كانت الستائر والأبسطة تصنع من الصوف أو من الأقمشة الفاخرة ، التى تصنع فى البهنسا وتكون جزءا من جهاز العروس (٤٨) . ولقد وجد بالقصر الفاطمى انواع من الستور الحريرية المنسوجة بالذهب . ذات الألوان والأطوال المختلفة ، ومنها أيضا ستارة سندس خضراء مذهبية ، كما وجدت انواع من البسط منها بساط خسروانى والحصر السامان (٤٩) المطرزة بالذهب والفضة ، وبساتر انواع الصور (٥٠) .

Dozy, Suppl, 1, P. 478.

Ashtor, Histoire des prix, P. 176.

Op. Cit., 1, P. 647.

Goitein, Med. Soc. I, P. 46.

Op. Cit. P. 175.

(٤٤) انظر .

(٤٥) انظر .

(٤٦) انظر .

(٤٧) انظر .

(٤٨) انظر .

(٤٩) الخطط ، ١ ، ص ٤١٧ .

(٥٠) نفسه .

أما إذا انتقلنا الى الأثاث المصنوع من الخشب ، نجد المقاعد الأنيقة التي تسمى « سرير » أو « مجلس » ، والتي كانت تطعم بالعاج وتحلى بالزخارف كما نجد قطعة أخرى صغيرة نسبياً من الأثاث وهي السرير أو التخت البغدادي (٥١) ، وإليه مستوح في بغداد ، هذا فضلاً عن الأسرة الرومية (٥٢) . وكان في التخت الناطمي أيضاً أسرة مصنوعة من العود والصندل والعاج والأبنوس (٥٣) كما يشتمل جهاز العروس على قطعة أثاث تسمى « الدكة » وهي تشبه البوفيه (٥٤) ، ويذكر المقرئ (٥٥) أن الدكة عبارة عن شيء شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة سبع طاسات (٥٦) من نحاس مكفت بالفضة في أحجام مختلفة ، وكذلك سبعة أطباق ، هذا فضلاً عن المناير والسترج والطشت والابريق والمبخرة ، فهو بمثابة دولا بوضع فيه الأدوات المنزلية المختلفة .

وكان لابد لكل عروس أن يتضمن جهازها على الأقل دكة نحاس والتي يبلغ سعرها مائتي دينار والعرائس من بنات الأمراء والوزراء وأعيان الكتاب وحتى التجار يكون في جهازهن سبع دكك ، دكة نحاس ودكة خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من البلور ودكة يطلق عليها كداهي وهي تحمل من الصين (٥٧) وهذا يعني أن كل

Ibid. P. 177.

(٥١) انظر .

Op. Cit. 46.

(٥٢) انظر .

(٥٣) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٢٠ .

Op. Cit. P. 178.

(٥٤) انظر .

(٥٥) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥٦) طاسات جمع طاسة وهي عبارة عن وعاء مستدير بدون حافة .

Dczy. Suppl, II, P. 67.

انظر .

(٥٧) المصدر السابق .

دكة يوضع بها نوع خاص بها من الأدوات المنزلية . كذلك وجدت خزانة بأرفف تسمى « قمطرا » (٥٨) . كما كانت كل عروس تحضر صندوقا لوضع ملابسها كما أسلفنا ، وخزانة يوضع فيها الأشياء الثمينة ولا سيما الحلوى (٥٩) .

كما يشتمل جهاز العروس على أدوات الطعام المختلفة من الأوعية التى تصنع من النحاس المكفت التى لاتكاد دار تخلو فى مصر والقاهرة من عدة قطع من هذا النوع (٦٠) . وكانت أوعية الطعام تصنع أيضا من الفضة ومن الذهب (٦١) . وكان بالقصر الفاطمى صحنون متنوعة من البللور والمينا ، وصوانى الذهب المحلاة بالمينا وغلف مختلفة للوانى ، مبطنة بالحرير ، ومحلاة بالذهب مختلفة الألوان . كما أن خزائن الصينى (٦٢) بالقصر كانت تحتوى على أوان منها صينية كبيرة لغسل الثياب « أجاجين » لها أرجل على صورة الوحوش والسباع وأوان أخرى من الصينى ، وصوان من المينا مزدانة بالذهب تحمل على كعوب وأزيار كبار من الصينى مختلفة الألوان ، وسكاكين مفضضة ومذهبة ومقابضها من سائر الجواهر . وكذلك الكؤوس والأقداح والأطباق التى تصنع من الفخار الشفاف ، الذى يلون بالأوان مختلفة (٦٣) وتشتهر مصر بصناعاته .

Op. Cit. P. 177.

(٥٨) ولعله صندوق بأرفف . انظر .

Ibid.

(٥٩) انظر .

(٦٠) سفرنامة ، ص ٦١ ، الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٦١) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 165.

(٦٢) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

٢ ، ص ١٨ ، ١٩ ، والمينا مادة كالزجاج نصف شفافة تذاب وتستخدم فى

زخرفة المعادن كالذهب والفضة والنحاس ، ويمكن أن يضاف لها بعض

الأكاسيد لأكسابها ألوانا مختلفة (انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ص ٤٧) ،

ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١٢٤ .

(٦٣) سفرنامة ، ص ٦٠ .

علوة على ذلك كان جهاز العروس يتضمن بعض الأشياء المختلفة مثل أرائى العطور والكحل والمرايا (٦٤) ، وهذه الأشياء وغيرها ضرورية بالنسبة لزينة المرأة ، كما كان الجهاز يشتمل على شمعدان أو منارة ويطلق عليه « شمعدان عرايسى » (٦٥) . ولعله كان عرفا سائدا فى ذلك الوقت ، وكان يوضع على باب العروسين وكان هذا الشمعدان كبيرا نسبيا كما أنه مميز بأنه يستعمل فى هذه المناسبة .

كانت العروس فى بعض الأحيان تشارك فى اختيار تلك القطع التى سوف تؤسس منزلها من الأشياء التى ذكرناها آنفا ، كما كانت تقوم اثناء تحضير الجهاز بتزيين الوسائد والبياضات بالزخارف وغيره (٦٦) . كما كانت تشارك فى اعداد الجهاز أيضا مع العريس ولكن بطريق غير مباشر ، فمن المعروف أن فى هذه العصور كان لا يسمح أن ترى العروس ، وكان يتم ذلك عن طريق من ينوب عنها أو على يد وكيلها (٦٧) ، وهذا لا يتوفر بالطبع الا فى الطبقات العليا من المجتمع ، على العموم كانت العروس تستطيع أن تشرف على جهازها أيضا واختياره بالطريقة التى تريدها .

وكان الاحتفال بالعرس ، كما يذكر المقرئى (٦٨) ، يقام فى دور خصصت للأفراح ، وكانت هذه الدور ملكا للأفراد ، وتكون

Op. Cit. P. 181.

(٦٤) انظر .

Ibid. 179.

(٦٥) انظر .

Goitein, Med. Soc, III, P. 342.

(٦٦) انظر .

(٦٧) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٦٨) اعاظ ، ٣ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

إدارتها تحت إشراف الدولة وذلك بأن من يريد أن يجعل داره أو جزءا منها لهذا الغرض ، فعليه أن يتقدم لجهة مختصة بذلك ، وإن كنا لانعرف اسم هذه الجهة المباشرة لذلك العمل ، والتي تكتب له حجة على يد بعض المهندسين والشهود ، كما يتضح إشراف الدولة على هذه الدور في فرض الضرائب الخاصة بالأفراح (٦٩) ، وكان يدفعها بلا شك مالك الدار من خلال الأفراح ، التي كانت تقام في داره .

وهذا يبين أيضا أن كل من يريد أن يقيم فرحا في إحدى هذه الدور ، عليه أن يدفع مبلغا معيناً لمالك الدار . وكانت الضرائب الخاصة بالأفراح تجمع من ملاك الدور على يد ضامن لمصالح الدولة . كما كانت الدولة تتدخل أحيانا لمصالح مقيمي الأفراح في هذه الدور ، إذا ما عسف بهم أحد ملاك هذه الدور بشكل أو بآخر أو حتى غيرهم .

كما يبدو أن أفراح الطبقة الحاكمة كانت تقام في القصر ، وإن كنا نسمع عن خيمة تسمى « خيمة الفرع » قد عملت في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، الذي أنفق عليها الكثير (٧٠) ، وكان الشعراء يلقون بعض أبيات الشعر في مثل هذه المناسبات (٧١) .

أما فيما يختص بتحديد ميعاد الفرع ، فنجد أنه بالنسبة للمرأة اليهودية ، كان يتفق على ميعاده عند الخطوبة ، وكان أحيانا يطلب

٦٩) المصدر السابق ، ١ ، ص ٨٩ .

(٧٠) نفسه ، ١ ، ص ٤٢٠ .

(٧١) النكت المصرية ، ص ١٩٧ . ومما قاله همارة اليمنى عند زفاف

ابنة الصالح طلائع بن رزيق إلى الخليفة المعتمد :

زادت قصورك بنت قصر لم تزل رجب الفناء بصادر أو وارد

التأجيل من الطرفين عن الميعاد المحدد للحصول على الأموال اللازمة ، وهذا يبين مدى الضغط المالى الذى كان يتعرض له الطرفان حتى يتم الزواج . وفى حالة الاخلال بشروط العقد الخاصة بميعاد العرس من جانب الزوج ، كان يدفع للعروس نفقة عن كل يوم أجل فيها العرس ، لأن العريس يكون مسئولاً عن اعادة زوجته (٧٢) .

كما أن التوقيت المفضل لاقامة الأفراح ، كان فى شهور الربيع من مارس الى مايو وشهور الخريف من سبتمبر الى نوفمبر ، أما ما يخص اليوم ، فكان يوم الاربعاء بالنسبة لليهود ويوم الخميس بالنسبة للمسلمين (٧٣) .

وكان الاحتفال بالفرح قبل وبعد زفاف العروس ، فتشير وثائق الجنيزة (٧٤) أن المآدب كانت تقام للرجال والنساء فى حجرتين مختلفتين أو فى حجرة واحدة تفصل بستارة لكل من عائلتي العريس والعروس . وكان العريس يتحمل نفقات الفرحة ، وأحياناً أهل العروس .

وعن استعداد العروس فى يوم الزفاف ، نجد أن العروس كانت تقوم بحسب شعرها بالزعفران (٧٥) وتضع فى يديها وتقدميها الحناء ، أما ثوب الزفاف فكان بالنسبة للطبقات الغنية عبارة عن ثوب من الأقمشة الفاخرة ، ويظن أن هذا الثوب كان يصنع من قماش

Op. Cit, P. 114.

Ibid.

Ibid

(٧٢) انظر .

(٧٣) انظر .

(٧٤) انظر .

(٧٥) والزعفران ، لعله له لون الحديد المؤكسد أو لون الكرم ،
Dozy, Suppl, I, P. 593.

انظر .

الشرب(٧٦) ، وكانت العروس تضع على رأسها تاجا مرصعا
بالجواهر(٧٧) . ولعل اعداد العروس بهذا الشكل كان يتم فى
الحمامات العامة أو حتى فى الدور الخاصة بالأفراح وربما كان
يخصص جزء منها لهذا الغرض وهو الجزء الذى يطلق عليه
المجلى(٧٨) .

كما كانت العروس تزف فى هودج(٧٩) ، ويطاف بها فى
شوارع المدينة وأسواقها ، وكان المدعوون من أقارب العروسين ،
فضلا عن اشتراك النصارى فى حضور أفراح المسلمين ، ومما
يؤيد مدى الترابط بينهما ليس فقط حضورهم تلك الأفراح ، بل
مشاركتهم فى تلك الاحتفالات أثناء زفاف العروس يمشون أمام
العروس ويغنون بعبارات قبطية صعيدية ، ويقومون بالغناء فى هذه
الأفراح(٨٠) .

ومن التقاليد المألوفة فى الأفراح ، والتي مازالت موجودة
حتى فى أيامنا هذه وخاصة فى الريف ، ليلة الحنة ، التى يحضرها
أقارب العروسين ، والصينية التى يوضع بها النقود الى جانب
تبادل التهانى والهدايا لكلا الطرفين(٨١) .

أما عن حياة الأسرة ، فنجد أن المصادر قد ضنت عن ذكر
شئ عنها ، وعن دور الأم المصرية نحو تربية أطفالها والعلاقة بين

(٧٦) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٦٦ .

Op. Cit., P. 116.

(٧٧) انظر .

(٧٨) اعاظ ، ٢ ، ص ١٠١ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص ٦٦ ، انظر . لسان العرب ، ٣ ،

ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٨٠) أبو صالح الازمى ، ص ١٢٩ .

Op. Cit.

(٨١) النكت المصرية ، ص ٥٤ ، انظر .

الأخوات وكذلك بين الزوج والزوجة ، ومع ذلك وجسدت بعض
الشمذرات التي تبين الى أى مدى كانت الأم تخاف على أبنائها ،
وتحرص على مصالحهم سواء بالنسبة للطبقة الحاكمة أو من عامة
الشعب ، وهذا ليس بمستغرب ، لأن الأم منذ الأزل تعتبر مصدر
العطف لكل أفراد أسرتها ، كما تلعب دورا هاما فى حياة الأسرة
بصفة عامة .

ولقد استطاعت أم الخليفة المعز ، والتي لا نعرف عنها سوى
أنها كانت أم ولد (٨٢) ، أن تغير من سياسة ابنها المعز نحو فتح
مصر أيام كافور الاخشيدى ، وبذلك تأخرت الحملة التي عزم المعز
على ارسالها لمصر (٨٣) ومن المحتمل لو أن المعز قد بعث بحملته
التي نوى ارسالها وقدر لها النجاح لتقدم فتح الفاطميين لمصر عدة
سنوات . كما كانت أم الخليفة الحاكم بأمر الله والتي تدعى
آمنة (٨٤) تخشى من سيطرة برجوان على ولدها ، ويبدو أن الحاكم
كان يطلع أمه على بعض الأمور المتعلقة به (٨٥) . وكانت الأم تقوم
أيضا بدور ايجابي للحفاظ على سلطان ولدها ، وذلك بالطواف
وهى متكرة على الأسواق والمساجد والأريطة لاستعلام الخبر عن
ولدها ومدى حب الناس له (٨٦) . كما فعلت أم الوزير الأفضل .

أما الأم المصرية ، فكانت هى الأخرى ، تحاول يشتتى الطرق
أن تدافع عن ولدها ، اذا ما تعرض للقهر والظلم فكانت تتوعد

(٨٢) انماظ ، ١ ، ص ٢٣١ .

(٨٣) النجوم ، ٤ ، ص ٧١ .

(٨٤) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١٢٤ .

(٨٥) الكامل ، ٧ ، ص ١٠٥ .

(٨٦) المصدر السابق ، ٣ ، ص ١٥ .

وتستشفع له حتى لا يمسه أى ضرر (٨٧) . كما كانت المجالس الدينية تدعو الى تكريم الأم والبر بها (٨٨) .

كما أن الأم اليهودية كانت تحترم من جانب الأبناء فيقبلون يديها ويشار اليها بكلمة (سسيدتى) وكانت الأم فى حالات عديدة هى المسئولة عن اختيار التعليم لابنائها وليس الأب (٨٩) .

والعلاقة بين الزوجين تتمثل فى العاملة الحسنة التى كانت تشترط فى عقود الزواج ، وكان الزوج عندما يسافر يبحث الى زوجته فى القاهرة هدايا (٩٠) ، ومما يشير أيضا الى منزلة الزوجة عند زوجها أنه بعد وفاتها يحزن عليها كثيرا ، وربما رثاها بعض أبيات من الشعر تدل على تلك المكانة التى تمتعت بها بعض نساء ذلك العصر (٩١) .

أما الوجه الآخر للعلاقة بين الزوجين فيتمثل فى المشاكل ، التى تنشأ بين الزوجين ، ومن أسبابها ضرب الزوجة وتقييد حريتها ، وحتى حول المسائل المالية (٩٢) ، وكذلك الخلاف حول الجوارى ، اللاتى يملكن الزوج ، وهذا يفسر تلك الشروط التى كانت تفرض على الزوج وتتعلق بهذا الشأن (٩٣) .

(٨٧) الخطط ، ٢ ، ص ١٩٦ .

(٨٨) المجالس المستنصرية ، المجلس رقم ١٧ ، ص ٨٢ .
Goitein, Med. Soc, III, P. 240, II, P. 185.

(٨٩) انظر .

(٩٠) انظر .

Goitein, New light on the karim Mirchants, JESHO
1, P. 179.

(٩١) وفيات ، ٥ ، ص ١٣ ، النكت العصرية ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .
Op. Cit. P. 174.

(٩٢) انظر .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

أما عن الأعمال المنزلية ، التي كانت تقوم بها المرأة فى تلك الفترة فعلى ما يبدو لم تكن كثيرة ، مما أعطى المرأة الفرصة للقيام بأعمال أخرى فكان القمح يخزن والخبز يشتري من السوق ، وبصفة عامة كان الطعام بسيطا . ولعل الغسيل والتنظيف لم يكن شاقا ، إذ أنه كان يستعمل نوع من الطين يزيل المواد الدهنية (٩٤) من الملابس ، كما يبدو أن عادة غسيل الملابس وغيره على شاطئ النيل كانت شائعة فى ذلك الوقت (٩٥) ، لأنها عادة قديمة منذ عهد الفراعنة . كما كان يوجد فى كل منزل من منازل الطبقة المتوسطة خادمة أو خادمتان لمساعدة الزوجة فى هذه الأعمال .

ومن الطريف أنه كان يوجد أنواع من الأطعمة الشائعة فى أيامنا مثل الأطعمة المجمدة والمحفوظة ، وهذا يدل على مدى التقدم ، الذى كان سائدا فى ذلك العصر . ولقد اعتادت ربة البيت أن تسأل زوجها عن الأنواع ، التى يريدونها من الأطعمة فى كل صباح ، حتى تقوم بإعدادها له عندما يعود من عمله فى العشاء (٩٦) .

وتجدر الإشارة الى هيئة المنازل ، التى تعتبر المحور الأساسى لحياة المرأة ، فعلى الرغم من أن المظهر الخارجى للدار كان بسيطا كل البساطة ، ويكاد يخلو من النوافذ باستثناء بعض المشربيات فى الغرف العليا فكان المظهر الداخلى للدار يهتم ببنائه من حيث القائق فى كسوة المنازل بالرخام وغرس الأشجار (٩٧) . وكان كل دار

Op. Cit, P. 341.

(٩٤) انظر .

Ibid, II, P. 500.

(٩٥) انظر .

(٩٦) انظر . Goitein, The main industries of the Mediterranean.

JESHO, IV, P. 194.

(٩٧) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها

فى العصر الاسلامى ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

يحتوى على فناءين متجاورين ، الفناء الأول محاط بثلاثة أروقة من جوانبه والرواق يفضى الى قاعة كبيرة تكتنفها حجرتان أو أكثر . وكان الغرض من نظام الدار ذات الفناءين المستقلين وحولهما قاعات ، لاحتجاب النساء عن الغرباء ، حيث يخصص لهن فناء مستقل بملحقاته ، والفناء الآخر لرب الدار والغرباء (٩٨) ، كما كان فى معظم الدور فسقية وحديقة (٩٩) .

ومن هذا نتبين مركز المرأة فى الأسرة ، من حيث احترامها وتقديرها وتأمينها ماديا قبل الزواج وبعده .

(٩٨) انظر . على بهجت ، حريات المسطاط ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٢ ،
حورية عبد المجيد سلام ، الحياة الاجتماعية فى المسطاط حتى العصر
الفاطمى ، رسالة ماجستير ١٩٧١ ، ص ٤٠ .
(٩٩) سفرنامة ، ص ٥٨ ، انظر . كمال سامح ، العمارة الاسلامية ،
ص ١٤٥ .

الفصل الخامس

أدوات الزينة

- ١ - الملابس
 - (أ) أغطية الرأس •
 - (ب) الملابس الداخلية •
 - (ج) الأغطية والحجب •
- ٢ - الحلى
 - (أ) الاقراط •
 - (ب) الخواتم •
 - (ج) العقود والاساور •
- ٣ - المكاحل والعطور
- ٤ - المرايا والامشاط •
- ٥ - الحشامات •
- ٦ - تسريحات الشعر •

لقد شمل الترف كل نواحي الحياة فى مصر الفاطمية ، وانعكس هذا على أدوات الزينة ، التى هى وثيقة الصلة بالترف والرفاهية ، ومنها الملابس والحلى والمكاحل والعطور وغيرها ، مما أقبلت عليه المرأة فى تلك الفترة .

والملابس كأحدى هذه الأدوات ، تعتبر مرآة للتطور الحضارى لأى عصر من العصور ، إذ أنها تلقى الضوء على مستوى الحياة الاقتصادية ، وذلك من خلال الأقمشة المستعملة فيها ، ونجد أن الأنواع التى استعملت فى العصر الفاطمى فى ملابس النساء تدل على ما وصلت إليه البلاد من تقدم ورقى .

وقبل الخوض فى أنواع تلك الأقمشة ، لابد من القاء الضوء على المصانع ، التى كانت تقوم بإنتاجها ، والتى كانت تتبع الخلافة الفاطمية ، وكان يطلق عليها « دار الطراز » (١) وتوجد فى تنيس ودمياط والاسكندرية وكان الموظف ، الذى يقوم بالاشراف عليها يطلق عليه « ناظر الطراز » (٢) وكان يتولى هذه الوظيفة الأعيان من

(١) الخطط ، ١ ، ص ٤١٣ ، ٤٦٩ ، صبح الأعشى ، ٣٠ ، ص ٤٩٤ ، انظر . ماجد ، نظام الفاطميين ، ٢ ، ص ١٦ .
(٢) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

أرياب العمائم والسيوف ، وكان يقيم فى مدينة دمياط وتنيس (٣)
ولعله نقل بعد ذلك الى القاهرة وأقام فى منظر الغزالة التى تحولت
منذ وزارة الأفضل بن بدر الجمالى الى مقر لناظر الطراز (٤) .

كما كان هناك دار تعرف « بدار الديباج » (٥) كانت فى الأصل
دارا لوزير الخليفة العزيز يعقوب بن كلس ثم تحولت بعد وفاته
الى مصنع حكومى تابع للخلافة .

أما عن الأقمشة فمنها الديباج (٦) وهو قماش لامع أو ملون
رقيق يعتبر تقليدا للحريز الضيى والسقلاطون (٧) ، وهو نوع آخر
من الحريز الموشى بالذهب ، والخز (٨) وهو نسيج ناعم يصنع من
الحريز ، أما الشرب (٩) فهو نسيج ناعم تتداخل فيه خيوط حريرية
أو مذهبة ، والمقصب الأبيض والملون (١٠) ، وهو قماش مطرز لا ينتج
الا فى كل من مدينة دمياط وتنيس ، والبوقلمون أو الأبوقلمون (١١) ،
وهو قماش يتغير لونه فى ساعات النهار ، هذا فضلا عن القماش
الدبيقى ، الذى اشتهرت مصر بصناعته أيضا ، والذى ينتج فى
مدينة دبيق أو دابق التى تقع قريبا من دمياط (١٢) وهو نوع من

(٣) نفسه .

(٤) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٩ ، انظر . كنوز الفاطميين ، ص ١١١ .

(٥) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٤ .

Dozy, Suppl, I, P. 121.

(٦) انظر .

Ibid, P. 668.

(٧) انظر .

Ibid, P. 367.

(٨) انظر .

Ibid, P. 740.

(٩) انظر .

(١٠) سفرنامة ، ص ٣٨ .

(١١) نفسه .

(١٢) الخطط ، ١ ، ص ٣٦٥ ، انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة

الاسلامية ، ص ١١٢ .

القماش المزركش ، وكانت الملابس المصنوعة منه غالية الثمن (١٣) .

وفيما يخص الملابس التي شاع استعمالها بين نساء تلك الفترة فكانت كثيرة وتتكون بصفة عامة من غطاء الرأس بأشكاله المتنوعة والملابس منها الداخلية مثل السروال والقميص ، ثم الثوب وأخيرا الغطاء الخارجي ، الذي تستعمله المرأة عند الخروج وكذلك الحجب ، التي تضعها المرأة على وجهها فضلا عن ذلك الملابس الخاصة بالمنزل والملابس الأنيقة التي ربما تميزت بها الطبقات العليا من المجتمع .

ومن المؤكد أن تختلف قيمة هذه الملابس من امرأة الى أخرى حسب مكانتها في المجتمع ، فمثلا المرأة الفاطمية ساكنة القصور تختلف ملابسها من حيث القيمة عن المرأة المصرية ، وذلك بما يتواءم مع عظمة الخلافة ، فنجد إحدى زوجات الخليفة المسماة الجهة العالية (١٤) كانت ملابسها تتكون من خمس عشرة قطعة وكلها مطرزة بالذهب ، أما النساء الأقل أهمية فكانت ملابسهن عبارة عن حُلّ مذهب ، كما أن أقل طبقة في القصر ، ومن ما يطلق عليهن « المستخدمات » فكان لهن حل مذهب أو حريزية كل حسب درجتها (١٥) ، وتجدر الإشارة أن ملابس النساء كان يطلق عليها بصفة عامة كلمة « حلة » .

أما عن المرأة المصرية ، فلا بد أنه كان هناك اختلاف بين ملابس نساء الطبقة الثرية والمتوسطة والفقيرة ، وذلك من حيث الأقمشة المستعملة وكذلك الاهتمام بتطريزها بالذهب ، وترصيعها باللؤلؤ ، هذا الى جانب ما يميز ملابس الذميات عن المسلمات ، عموما كانت

(١٣) انظر . Ashtor, Le Coût de la vie JESHO, II, P. 62.

(١٤) المصدر السابق ، ص ٤١٠ .

(١٥) نفسه ، ١ ، ص ١١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ،

ص ٥٦ .

ملابس النساء بصصفة عامة تتميز بأنها كانت أغلى من ملابس الرجال (١٦) .

وغنما يخص اغطية الرأس التي انتشرت في العصر الفاطمي بالنسبة للمرأة منها :

العصابة :

وهي عبارة عن شال أو قطعة من القماش على شكل مثلث تلف حول الرأس ويكون طرفاها للوراء (١٧) وكانت العصائب تزركش ويكتب عليها بالخيوط الذهبية ويوجد مثال لها على طبق من الخزف ذي البريق المعدني محفوظ بمتحف الفن الاسلامي (١٨) بالقاهرة ، الذي يمثل سيدة ترتدي هذا النوع من العصائب كما كانت العصائب تزين بأبيات من الشعر ، اما تكون غزلا في صاحبقتها أو مجرد شعر يقال في العصابة نفسها (١٩) اما عصائب نساء الطبقة الحاكمة أو الغنية فكانت تكلل بالدر والجواهر ، ولقد تسببت عصابة في عزل أحد القضاة عن منصبه ، كانت قد سرقت أيام المجاعات من القصر ، ثم ظهرت عليه بعد توليه القضاء (٢٠) . وهذا مما يدل على أن العصابة كانت تستعمل للرجال والنساء ، اما عن سعرها فكان ما بين أربعة وخمسة دنانير (٢١) .

Op. Cit. P. 62.

Dozy, Vêt. P. 300.

(١٦) انظر .

(١٧) انظر .

(١٨) انظر . أحمد ممدوح حمدي ، معونات التجميل ، ص ٢٣ ،

سجل رقم ١٤٩٢٣ .

(١٩) ديوان الأمير تميم بن العز ، ص ١٢٤ ، ٣٤٣ .

(٢٠) رفع الاصر ، ٣ ، ورقة ٩٠ .

(٢١) انظر . Ashfor, Matériaux pour l'histoire des prix JESHO, VI. P. 171.

العمامة النسائية :

ولقد عرف العرب العمامة قبل العصر الفاطمي ، فكان الرسول (ص) يتعمم بعمامة اسمها السحاب (٢٢) * ثم أصبح لبس العمامة مألوفا بعد ذلك ، وكانت تستعمل للرجال والنساء ، الا أنه يبدو أن عمامة المرأة تختلف عن عمامة الرجل ، وان كانت العمامة بصفة عامة عبارة عن قطعة من القماش تلف حول جزء من الازار ، الذي كان يغطي شعر المرأة (٢٣) ويرتبط بالعمامة أيضا العرضة ، التي تعتبر على ما يظهر شالا أو قطعة من نسيج تلف حول العمامة (٢٤) . ولقد وصل سعر العرضة البسيطة دينارا ، أما العرضة المصنوعة من القماش الدبيقي ، فاقد وصل سعرها خمسة دنانير (٢٥) .

ولقد عرفت العمامة بأشكال متعددة فهي أحيانا تعقد على الرأس فقط ، وأحيانا أخرى يتدلى منها أجزاء على الظهر ، كما كانت تنتهي أحيانا بجزء صغير يتدلى خلف الرأس (٢٦) . وكانت العمامة ترصع بالجواهر والدر * ولقد وجد من هذا النوع بعض العمامات في خزائن السيدة رشيدة بنت المعز التي توفيت عام ٤٤٣ / ١٠٥١ (٢٧) ولم يقتصر استعمال هذا النوع على المرأة الفاطمية ، بل وجدت بعض العمامات في قوائم الجهاز الخاصة بعرائس الفسطاط ، صنعت من الأقمشة الفاخرة وحليت بالذهب واللؤلؤ ولقد

Op. Cit. P. 305.

Ibid.

Dozy, Suppl, II, P. 113.

Ashtor, Histoire des prix, P. 168.

(٢٢) انظر .

(٢٣) انظر .

(٢٤) انظر .

(٢٥) انظر .

(٢٦) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامي في العصر

الفاطمي رسالة ماجستير في الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ ، ص ٢١٨ .

(٢٧) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ .

وصل سعر العمامة أربعة دنانير وبعضها وصل سعره الى خمسين دينارا وان كان هذا السعر مبالغا فيه (٢٨) .

الطاقية :

وهي تعنى كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة ولعلها من اصل فارسي (٢٩) ويبدو ان استعمالها كان الى حد ما نادرا ، وان كانت تظهر مع الملابس التي تضمنتها قوائم الجهاز بالجنيزة ولقد وصل سعرها ما بين دينار ودينارين (٣٠) .

البخنق :

وهو من اغطية الرأس الصغيرة الحجم (٣١) ، والتي شاع استعمالها في ذلك الوقت ، ويبدو انه كان من اغطية الرأس الرخيصة ، فكان الواحد منه يساوي نصف دينار (٣٢) والبخنق في الغالب عبارة عن خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها وتخييط معها خرقة على موضع الجبهة ويقال تبخنقت ، وبعضهم يسميه المحنك ، والبخنق يغطي العنق والصدر (٣٣) .

الكوفية :

وهي عبارة عن شال مربع طوله يساوي عرضه (٣٤) ، اما عن اشكالها ، فهي كانت اما تعقد من الجانب ويتدلّى طرفاها على

Op. Cit. P. 167.

(٢٨) انظر .

Dozy, Vêt P. 220.

(٢٩) انظر .

Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 173.

(٣٠) انظر .

Op. Cit. P. 55.

(٣١) انظر .

Op. Cit. P. 171.

(٣٢) انظر .

(٣٣) لسان العرب ، ١١ ، ص ٢٩٤ .

Dozy, Vêt, P. 391.

(٣٤) انظر .

الظهر أو تنسدل على الكتفين أو تغطي الرأس وتلف حول الوجه
وتغطي الصدر (٣٥) .

التاج :

وهو نوع من اغطية الرأس ، والتاج كلمة فارسية الأصل
تستعمله المرأة للزينة ويكون عبارة عن طاقيّة عالية (٣٦) . وربما
كانت تضعه العروس على رأسها يوم الزفاف ، كما يرمز التاج
للسلطة ، ولقد كان الخليفة الفاطمي يضع على رأسه تاجا عبارة
عن عمامة تسمى « التاج الشريف » (٣٧) وكان لها شدة خاصة
تعرف « بشدة الوقار » (٣٨) . وكان هذا التاج مرصعا بجوهرات
تعرف باليتيمة ، كما أن تيجان النساء هي الأخرى كانت تكلل بالدر
وترصع بالجواهر ، ويبدو أنها كانت خاصة بنساء الطبقة الحاكمة ،
والطبقة الارستقراطية من المجتمع . ويوجد بمتحف الفن الاسلامي
حانب من صحن ذى بريق معدني يزين برسم «سيدة تلبس تاجا
كبيرا ، وبجانب الرسم عبارة « عمل مسلم للسيدة المولات » (٣٩) .

الخمار :

وهو عبارة عن غطاء تغطي به المرأة رأسها ويلتف حول
عنقها (٤٠) ، ولكنه يبدو أن استعماله كان نادرا ولقد صور على

(٣٥) انظر . المرجع السابق ، صفحات ٦٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
Op. Cit., P. 100.

(٣٦) انظر .

(٣٧) صبح الأعشى ، ٣ ، ص ٤٧٢ .

(٣٨) الخطط ، ١ ، ص ٤٧٣ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ،

ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣٩) رقم السجل ١٧ - ٢٢٧٦٥ ، ٤ - ٢٢٨١٢ ، انظر . عبد الرؤوف

يوسف ، فصلة من كتاب القاهرة .

Dozy, Vêt, P. 169.

(٤٠) انظر .

تصاوير الفاطميين (٤١) ، ومنه لراقصة ترتدى الخمار كما أسلفنا ، وهذا لا يعنى انه كان مقصورا على الراقصات ، فلقد ورد ذكره أيضا فى قوائم الجهاز بالجنيزة ووصل سعره نصف دينار (٤٢) .

المنديل :

وكان يستعمل أحيانا كشال للعمامة ، أو يستعمل كحزام كما كان يستعمل كغطاء للرأس (٤٣) . وتلقه المرأة حول رأسها ويعقد من الجانب ، أو يغطى الرأس ويتدلى فى شكل زخرفى ، كما تزدان جوانبه بشريط من الزخرفة (٤٤) . ولقد بلغ سعر المنديل من القماش الديبىقى نصف دينار ، أما النوع الذى تحلى حوافه بالريش ويطلق عليه « مريش » يبلغ سعره ، وهو أيضا من القماش الديبىقى ثلاثة دنانير وان كان أقصى سعر وصل له هو عشرة دنانير (٤٥) .

المعجر :

وهو نوع آخر من اغطية الرأس ، ولقد ارتدته كل من المرأة الفاطمية والمصرية ، وهو عبارة عن غطاء يمتد من الرأس حتى يصل الى القدم (٤٦) . ولم يقتصر ارتداؤه على السيدات ، بل كان يرتديه الفتيات الصغيرات أيضا والمعجر الخاص بالمرأة الفاطمية يطلق

(٤١) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ، ص ٢٢١ .

(٤٢) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix I, P. 170.

Op. Cit, P. 418; Suppl, II, P. 653.

(٤٣) انظر

(٤٤) انظر . المرجع السابق ، ص ٦٥ ، ١٦٠ .

Ashtor, Histoire des prix, P. 158.

(٤٥) انظر .

Dozy, Vêt, P. 297 — 298.

(٤٦) انظر .

عليه « معجر مذهب موشع مجاوم مطرف » (٤٧) أى معجر يطرز بالذهب وبالرسومات وله طرف . وكان هذا المعجر خاصا بإحدى زوجات الخليفة المسماة (الجهة العالية) ولقد وصل سعره خمسين ديناراً أما متوسط سعر المعجر بالنسبة للمرأة المصرية فكان ما بين دينارين وثلاثة دنانير (٤٨) .

أما عن الملابس ، التى كانت ترتديها المرأة ، فكانت تتكون بدنة عامة من السـروال والقميص والثوب والأغطية والحجب بأشكالها المختلفة (٤٩) .

السـروال :

وهو مشتق من الكلمة الفارسية (شلوار) ، وكان يستعمل للرجال والنساء (٥٠) . ولقد اختلفت أشكاله فهو أحياناً ضيق ويصل إلى القدم وأحياناً واسع (٥١) ، ويبدو أن السراويل التى ارتدتها المرأة فى تلك الفترة كانت واسعة للغاية ، حتى تدخلت الدولة فى تحديد أشكالها ، ومنعت لبس السراويل الواسعة (٥٢) . وكان السروال يلبس على الجسد ويربط بالتكة ، وكان هناك نوع منه

(٤٧) الخطط ، ١ ، ص ٤١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ،

ص ٥٦ .

Op. Cit. P. 173.

(٤٨) انظر .

(٤٩) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٢٨ .

Op. Cit. P. 203.

(٥٠) انظر .

(٥١) انظر . محمود إبراهيم حسين ، التصوير الإسلامى فى العصر

الفاطمى ، ص ٢٢٤ .

(٥٢) ابن ميسر ، ص ٤٦ .

يسمى المنذر ووصل سعره حوالى نصف دينار (٥٣) وهو من قماش الحرير وإن كان سعر السروال عادة يصل الى دينار (٥٤) .

القميص :

وهو يلبس فوق السروال ، وكان يصنع من أقمشة رقيقة ، كما كانت ملابس نساء القصر تتضمن قميصا يسمى دراعة (٥٥) ، وإن كنا لا نعرف شيئا عن أشكال القمصان ، التى ترجع الى تلك الفترة ، ولكن يبدو أن أكمامها تتميز بالاتساع ، إذ أنه قد ظهر فى العصر المملوكى اللاحق لتلك الفترة نوع من القمصان أطلق عليه اسم « بهطلة » (٥٦) كانت أكمامه متسعة جدا بحيث تدخلت الدولة لتمنع النساء من ارتداء هذا النوع من القمصان ، ولقد وصل سعر القميص المصنوع من الحرير فى العصر الفاطمى حوالى خمسة عشرة دينارا (٥٧) .

الثوب :

وهو بصفة عامة عبارة عن رداء واسع ومسترسل (٥٨) ، ويلبس فوق الملابس الداخلية التى ذكرت آنفا ، أما عن أشكال الثوب ، التى شاعت فى العصر الفاطمى ، فكانت المرأة فى الغالب تلبس ثوبا

Ashtor, Histoire des prix, P. 162.

(٥٣) انظر .

Ashtore, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 151.

(٥٤) انظر .

(٥٥) الخطط ، ١ ، ص ٤١٠ ، انظر . ماجد ، الحضارة الاسلامية ،

ص ١١٦ ، ماجد . نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٧ .

Dozy, Suppl, I, P. 434; Vêt, P. 177.

(٥٦) انظر . ماير ، الملابس الملوكية ، ص ١٢٣ ، أحمد عبد الرازق ،

المرأة فى مصر الملوكية ، ص ١٧٢ .

Ashtor, Le Coût de La vie, P. 66.

(٥٧) انظر .

Op. Cit., P. 106.

(٥٨) انظر .

طويلا يصل الى القدم ، ويكون أحيانا له ذيل طويل . وكذلك تلبس القصير ، وهو فى المعتاد يلبس بين ثوبين ويطلق عليه ثوبا «وسطانى» (٥٩) . كما يكون الثوب واسعا وتتعدد طياته حتى تعطيه الاتساع من أسفل ، أو يكون ضيقا محبوكا على الجسم ، كما يفتح الثوب من الجانبين ، ولعل هذا النوع كان خاصا بالراقصات حتى يساعدن على تأدية الحركات الراقصة .

أما عن شكل الثوب من أعلى فاما يكون له حافة عالية أو حتى له فتحة توازى الرقبة (٦٠) ، وأكمام الثوب كانت متسعة قليلا . وهى تتشابه الى حد كبير مع الأكمام الواسعة نسبيا فى وقتنا هذا ، ولعل الاهتمام بزخرفة الثوب والملابس بصفة عامة كانت تختلف من طبقة الى أخرى .

وكانت هذه الزخرفة عبارة عن رسومات نباتية تزين الذيل والأكمام أو يحلى بخيوط مذهب أو حتى كنار من الذهب ، وكان يغلب على الألوان المستعملة فى الثوب اللون الوردى والبنفسجى أما عن أسعاره ، فلقد كان الثوب البسيط يبلغ دينارين والأنيق من ثلاثة الى أربعة دنانير (٦١) .

الأغطية :

ولما كانت المرأة يتحتم عليها عندما تخرج من منزلها أن تلف بغطاء ، فنجد أن هذه الأغطية قد تنوعت ومنها الملاء وهى عبارة عن غطاء يتكون من قطعتين من القماش ويكون قماش الملاء مرسوما

(٥٩) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ٥٧ .

(٦٠) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر

الفاطمى ، صفحات ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ١٥٣ .

Ashtor, Histoire des prix, P. 173.

(٦١) انظر .

على هيئة مربعات ملونة(٦٢) . أما الازار ، فهو عبارة عن رداء واسع(٦٣) ، ولعل استعماله كان قليلا ، ولكن مما يؤيد شيوعه ، انه كان يشار اليه كرمز للابس المرأة ، فكان المصريون عندما يتقدمون بشكوى الى الخليفة ، يصورون امرأة بالجريد أو الورق ويلبسونها ازارا(٦٤) . هذا فضلا عن اللفافة(٦٥) والملخفة(٦٦) وهما أيضا من الأغطية ، التي شاع استعمالها ، وهما عبارة عن غطاء كبير يغطي جسم المرأة عند الخروج ، وعموما هذه الأغطية تغطي الرأس والصدر والقدم .

أما عن أسعار هذه الأغطية ، فلقد كانت تتراوح بين دينار وثلاثة دنانير(٦٧) .

أما عن الحجاب الذي كانت تضعه المرأة على وجهها عند الخروج من المنزل ، فلقد عرف منذ أن فرض النبي النقاب على زوجاته حتى يميزهن عن بقية النساء المسلمات ، اللاتي بدورهن وضعن النقاب ليقلدن نساء النبي . ثم انتشر النقاب بعد ذلك بين معظم الشعوب ، التي فتحها المسلمون(٦٨) ، ومنها مصر . ولقد عرفت المرأة النقاب في العصر الفاطمي ولم يقتصر على المرأة

Dozy, Vêt, P. 408; Ibdi, P. 162.

(٦٢) انظر .

Ibld. P. 24.

(٦٣) انظر .

(٦٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٧هـ ، النجوم ، ٤ ، ص ١٨١ .

Dozy, Suppl, II, P. 541.

(٦٥) انظر .

Op. Cit, P. 401.

(٦٦) انظر .

Ashtor, Histoire des prix, P. 173.

(٦٧) انظر .

Ency of Isl. (art Hldjab), III, P. 359 — 361.

(٦٨) انظر .

ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١١٦ .

المسلمة ، بل وضعت المرأة الذميمة بدليل وجود بعض أنواع للحجب في قوائم الجهاز الخاصة بالمرأة اليهودية (٦٩) .

كما استعملت المرأة الفاطمية الحجاب ، فلقد كانت ست الملك تضع الحجاب عند الخروج من القصر . ولكن يبدو أن الحجاب لم يكن شائعا بين كل المصريات ، وذلك لأن الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر أمرا في عام ٣٩٥/١٠٠٥ بأن لا تكشف امرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة (٧٠) ، وهذا يبين أن بعض النساء قد تخلين عن الحجاب وخرجن الى الطريق سافرات .

ومن الحجب التي عرفت المرأة القناع أو المقنعة أو التقنيعة (٧١) وهو عبارة عن قطعة من القماش تضعها المرأة على رأسها وتلف بها وجهها ويثبت تحت الأزار ، وكان يصنع من القماش الموصل (٧٢) (الموسلين) . أما النقاب فكان يغطي الوجه أيضا ولكن به فتحتان للعينين (٧٣) .

هذا الى جانب نوع آخر من الحجب يسمى « الشعرية » وهو حجاب صغير من شعر الخيل الأسود وله فتحتان للعينين أيضا ، وإن كان استعماله نادرا في تلك الفترة (٧٤) . ويبدو أن أسعار هذه الحجب كانت متشابهة ، فلقد بلغ سعر كل منها حوالي دينار (٧٥) .

(٦٩) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 170.

(٧٠) انظر ، ٢ ، ص ٥٣ ، نهاية الأرب ، ٢٦ ، ورقة ٥٣ .

(٧١) انظر ، Dozy, Vêt, P. 375, 377.

(٧٢) وهو قماش من حرير أو قطن اشتق اسمه من اسم مدينة

الموصل (انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١٢) .
Ibid. P. 424.

(٧٣) انظر .

Ibid, P. 226, Suppl, I, P. 763.

(٧٤) انظر .

Ashtor, Histoire des prix, P. 172.

(٧٥) انظر .

أما فيما يخص الملابس ، التي ارتدتها المرأة داخل المنزل فمعلوماتنا عنها قليلة ، ومنها الغلالة ، وهي عبارة عن رداء واسع يغطي كل الجسم (٧٦) ، ولقد كانت تصنع من الأقمشة الرقيقة وخاصة من الشرب (٧٧) والديبقي ، حتى تكشف عن جمال المرأة ، ولذا حرصت العرائس على اقتنائها ضمن قطع الملابس ، التي كانت تتضمن جهازهن (٧٨) ، كما كان هناك نوع آخر من أغطية الخروج وهي الملحفة ، ولكنها تستعمل للنوم ، لذا كان سعرها أقل من سعر الملحفة ، التي تلبسها المرأة عند الخروج (٧٩) .

والملابس الأنيقة ، التي استعملتها المرأة الى جانب هذه الأنواع البسيطة ، منها الخلعة ، فعلى الرغم أن الخلع كانت توزعها الخلافة على موظفيها من الذميين وزوجاتهم (٨٠) إلا أننا نجد الخلعة موجودة في قوائم الجهاز ، كما أنها تقدر بثمن ، على الرغم أنها مهداة من الخلافة ، ولعل ذلك مرجعه أن كل شيء كان يدون في القائمة كان يوضع له ثمن ، وكانت الخلعة تتكون من ثوب ومعجر وعمامة وتقدر بثمن مرتفع وصل الى ستين ديناراً (٨١) ، وكذلك الحلة التي تعتبر بمثابة ملابس كاملة ، ولعلها كانت من ملابس الطبقة الحاكمة والغنية في تلك الفترة وكانت تتميز بأن سعرها مرتفع نسبياً (٨٢) .

Op. Cit., P. 319.

Op. Cit. P. 319.

Goitein, Med. Soc, III, P. 167.

Ibid. P. 166; Dozy, suppl, II, P. 519.

Mann. The Jews in Egypt, II, P. 267.

وكان يوجد سوق يسمى سوق الشرابيشيين في الدولة المملوكية يباع

فيه الخلع والتشارييف عنه (انظر . الخطط ، ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩) .

Ashtor, Histoire des prix, P. 166.

Ibid

(٧٦) انظر .

(٧٧) انظر .

(٧٨) انظر .

(٧٩) انظر .

(٨٠) انظر .

(٨١) انظر .

(٨٢) انظر .

أما أرجل النساء ، فلقد كان يلبس فيها نوع من الخفاف ، وكان لها سوق يباع فيه الخفاف (٨٣) ، ولقد أمر الخليفة الحاكم بعدم صنع الخفاف حتى يعوق خروج النساء كما يضمن تنفيذ أوامره الخاصة بعدم خروجهن (٨٤) . كما استعملت المرأة القبقاب ، وعلى الرغم أنه ليس لدينا معلومات عن أشكاله ، ولكننا نستطيع أن نتعرف عليه من خلال النماذج الموجودة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة والتي ترجع الى العصر المملوكي فالقبقاب كان يصنع من الخشب وله قوائم مرتفعة ويرصع بالصدف أو العاج أو الابنوس ويزين برسوم (٨٥) . ويبدو أن القبقاب كان سلاحا تستعمله النساء للقتل ليس فقط في العصور اللاحقة ولكن حدث أيضا في العصر الفاطمي أن استخدم نساء الخليفة الظاهر القباقيب في قتل نصر بن عباس الذي كان سببا في قتل الخليفة (٨٦) . هذا الى جانب الزرابيل والتي مفردتها زربول ، وكانت تلبسها الجوارى (٨٧) .

أما فيما يخص ملابس نساء أهل الذمة والتي تختلف عن ملابس المسلمين في بعض التفاصيل الجزئية لتمييزهن فكانت المرأة المسيحية تلبس ازارا لونه أزرق ، واليهودية ذات لون أصفر ، كما كان لابد من أن يشد هذا بحزام أو زنار (٨٨) ، وذلك يتضح من خلال ملابسهن

(٨٣) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ وسوق الاخفايين يوجد بجوار سوق البندقاين يباع فيه خفاف النسوان ونعالهن ، انشاء الأمير يونس النورودي داود في القرن الثامن الهجري .

(٨٤) انظر . أحمد ممدوح حمدي ، معدات التجميل ، ص ٤٤ .

(٨٥) نفسه .

(٨٦) النجوم ، ٥ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٨٧) نفسه .

(٨٨) ابن الاخوة ، ص ٤٣ ، انظر . أحمد عبد الرزاق ، المرأة في

عصر الملوكية ، ص ١٧٩ .

التي ذكرتها المراجع . كما كانت المرأة الذمية تلبس في رجليها السبرموزة ، وهو لفظ فارسي ، معناه رأس الخف (٨٩) ، ولقد كان يلبس في عصر الخليفة الحاكم الذي أمر بأن تكون واحدة حمراء والأخرى سوداء ، كما منع المرأة الذمية من اتخاذ نعال كنعان المسلمين (٩٠) .

الحلى :

أما الحلى فلقد اقبلت عليها المرأة منذ العصور القديمة ، ولقد اشتهرت مصر الفرعونية بصناعة الحلى ، وعرفت المرأة الاقراط والأساور والتيجان والعقود ، ولم يكن التزين بهذه الأنواع وقفا على النساء ، بل شاركهم في ذلك الرجال أيضا (٩١) ، ولقد استخدم في صناعة الحلى معدنا الذهب والفضة وكانت تطعم بالأحجار الكريمة واستمر ذلك حتى العصور الاسلامية وان تميزت الحلى الفاطمية بنوع من الزخارف المخرمة التي تشبه شكل الدانتيل والأسلاك الذهبية الممتدة التي تكون أشكالا هندسية وتزينها كذلك برسوم طيور بالينا متعددة الألوان (٩٢) .

وهناك بعض القطع المختلفة المحفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة والتي عثر عليها في الفسطاط وترجع للعصر الفاطمي ، هذا الى جانب ما تضمنته قوائم الجهاز بوثائق الجنيزة ، فضلا عما ذكرته المصادر التاريخية لبعض القطع ، وان كان وصفها ليس دقيقا لأنه ليس من السهل رؤية هذه التحف لأنها كانت محفوظة في خزائن ، أو لأنها كانت لدى الأميرات وأن ما كتبوه ليس من مصادر لها دعاية

(٨٩) الخطط ، ٢ ، ص ١٠٥ .

(٩٠) انظر . تريتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ص ١٣٤ .

(٩١) انظر . عبد الرحمن زكي ، الحلى في التاريخ والفن ، ص ٤٩ .

(٩٢) انظر . م.س ديماندي ، الفنون الاسلامية ، ص ١٥٣ ،

احمد منلوح حمدي ، ص ١٢٢ .

بصناعة الحلى والجواهر ، والقطع التى ترجع لهذه الفترة ليست كثيرة ، وذلك يرجع الى أن الحلى تصنع من المعادن والجواهر ويعاد سبكها وأن قيمتها تبعث على التصرف فيها وقت الأزمات (٩٣) ، ويبدو أن المرأة فى العصر الفاطمى كانت تقتنى قطعاً كثيرة من الحلى وربما عدة قطع من النوع الواحد ، وذلك بالنسبة للطبقات الغنية والفقيرة على السواء ، وإن اختلفت من حيث القيمة .

وكانت الطبقة الحاكمة تهتم أيضاً باقتناء قطع الجواهر والتحف ، وليس أدل على ذلك من وجود خزانة بالقصر الفاطمى باسم « خزانة الجواهر والطيب والطرائف » (٩٤) حيث يحتفظ فيها الخلفاء بالكنوز والتحف والجواهر الفريدة وذلك راجع الى اهتمام الخلفاء أنفسهم بجمع الطرائف والتحف النادرة التى تدل على ثراء الخلافة وعظمتها .

ومن أهم أنواع الحلى ، التى أقبلت عليها المرأة فى تلك الفترة :

الاقراط :

ولبس الاقراط فى الأذن ، يعتبر عادة قديمة ، عرفها الشرقيون والقرط بصفة عامة يتخذ شكل حلقة أو دلاية (٩٥) . أما الاقراط التى شاع استعمالها فى العصر الفاطمى ، فيغلب عليها الشكل الهلالى أو الاسطوانى ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (٩٦) عدة

(٩٣) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٧ .

(٩٤) عنها انظر بالتفصيل ، الخطط ، ١ ، ص ٤١٤ ، ماجد ، نظم

الفاطميين ، ٢ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٩٥) انظر . عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، ص ٤١ .

(٩٦) أرقام ١٥٥٦٨ ، ١٣٢٤٨ ، ١٤٧٣٨ .

أقراط ترجع إلى تلك الفترة منها قرط من الذهب مسندير الشكل وهو مزين بشرط مزخرف بأشكال متشابكة ، وأسفل هذا الشريط طائران متقابلان ، ويزين جسم الطائرين زخارف محببة وبينهما ثلاث دوائر ، كما يتبلى من القرط خرزة من الزجاج مصاطة بعدد من اللآلئ الصغيرة (٩٧) . وعلى الرغم أن الأقراط كانت تصنع في الغالب من الذهب ، إلا أنه وجدت أقراط من الفضة أو الفضة المطلية بماء الذهب وكانت الفتيات الموسرات يحضرن في جهازهن أقراطا من الذهب المحلاة باللؤلؤ ، والذي وصل سعره في المتوسط خمسة دنانير (٩٨) .

الخواتم :

وشاع استعمال الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالفصوص في تلك الفترة ويوجد بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (٩٩) مجموعة من الخواتم الذهبية بعضها محلى بفصوص أو مزين بكتابات كوفية . منها خاتم من الذهب به فص من العقيق الأحمر مثبت في إطار بيضاوي وأطراف القاعدة الذهبية محلاة من الجانبين برسم بارز لارنب .

ولقد تميزت الخواتم ، التي أخرجت من القصر الفاطمي أيام الشدة العظمى إبان خلافة المستنصر ، بأنها مربعة الشكل وللخاتم ثلاثة فصوص أحدهم زمرد والآخران من ياقوت (١٠٠) . هذا إلى جانب عدد كبير من الخواتم الذهبية والفضية .

(٩٧) رقم ١/١٣٢٤٥ .

Ashtor, Histoire des prix, P. 220.

(٩٨) انظر .

(٩٩) سجل رقم ٣٨ ، ١٥٦٤٥ ، ١٥٧١٤ ، ١٦٤٥٧ ، ١٦٤٥٥ .

(١٠٠) الخطط ، ١ ، ص ٤١٤ .

وبلغ سعر الخاتم البسيط في تلك الفترة سواء المصنوع من الذهب أو الفضة ديناراً ، أما الخاتم المحلى بفصوص من الأحجار الكريمة كالفيروز والعقيق ، فقد بلغ سعره خمسة دنانير (١٠١) .

العقود :

وهي تعتبر من القطع الهامة ، التي اقتنتها المرأة ، لارتفاع ثمنها ، مما يلجئ المرأة الى التصرف فيها اثناء الأزمات الاقتصادية ، مثلما حدث أيام المجاعات في العصر الفاطمي (١٠٢) ، وذلك يبين أن المرأة كانت تقتنى الحلى للزينة وكذلك للتصرف فيه في أوقات الشدة ، وهذا التقليد مازال شائعاً حتى يومنا هذا .

والعقد في الغالب يتكون من حبات صغيرة ربما تكون من اللؤلؤ أو من الجواهر الأخرى ، ولقد صور العقد في بعض التصاوير الفاطمية ، وكان أحياناً مستديراً يوازي الرقبة (١٠٣) أو عبارة عن حبات مختلفة الألوان من الذهب والجوهر ويتدلى منه عدة دلايات من الذهب (١٠٤) . ولقد كان بالقصر الفاطمي عقد من الجوهر بلغ سعره حوالي ثمانين ألف دينار ، كان قد انتهب أيام الشدة المستنصرية وثورات الجند (١٠٥) .

Op. Cit. P. 219.

(١٠١) انظر .

(١٠٢) اغانة ، ص ٢٥ .

(١٠٣) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامي في العصر

الفاطمي ، ص ٨٣ ، ٨٧ .

(١٠٤) انظر . عبد الرحمن زكي ، الحلى في التاريخ والفن ، ص ٨٦

شكل ١٥ .

(١٠٥) الخطوط ، ١ ، ص ٤١٤ .

وهناك عقد من الذهب محفوظ في مجموعة (Carrand) بمتحف قصر Baglou في مدينة فلورنسا يظن أنه من العصر الفاطمي (١٠٦) .

وكان سعر العقد يذلف حسب المعدن المصنوع منه ، فالعقد المصنوع من الذهب وصل سعره خمسة دنانير أما العقد المصنوع من الكهرمان وهو من الأحجار الكريمة فقد بلغ سعره خمسة عشر دينارا (١٠٧) هذا في حين وصل عقد أيام المجاعات في عهد المستنصر ألف دينار باعتته امرأة بثلاثمائة دينار (١٠٨) .

الاساور :

وتتميز الاساور ، التي ترجع الى تلك الفترة والمحفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (١٠٩) أنها مصنوعة من الذهب والسوار عبارة عن قطعة واحدة مجوفة ومزينة بمثلثين متقابلين بهما أفرع نباتية ملتوية ، والسوار مزين أيضا بأشرطة كتابة كوفية على مسافات متساوية .

وكانت الاساور تصنع أيضا من الفضة وتحلى بالأحجار الكريمة ، كما كانت تصنع من العنبر أو اللؤلؤ وتحلى بفصوص من الذهب (١١٠) . وهناك نوع آخر من الاساور كبيرة الحجم يسمى

(١٠٦) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٨ .
(١٠٧) انظر . Ashtor, Histoire des prix, P. 220.

(١٠٨) ابن ميسر ، ص ٣٣ .
(١٠٩) سجل رقم ١/١٦٣٢٦ .

Op. Cit., P. 219.

(١١٠) انظر .

(دملوج) (١١١) يوضع فى أعلى المرفق ، ولكن هذا النوع كان يندر استعماله بين النساء . وكان المصنوع من هذا النوع من الذهب يبلغ سعره بين عشرة وخمسة عشر ديناراً (١١٢) .

الدلائل :

وتوجد بعض الدلائل بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (١١٣) منها ما هو على شكل هلال وعليه رسم بالمينا المتعددة الألوان ، كما يحلى ببعض الأوراق النباتية ، وكذلك بمتحف المتروبوليتان (١١٤) بنيويورك بعض الدلائل على شكل هلال أيضا . مطعمة بالمينا وتحاط بحبات من اللؤلؤ والفصوص الذهبية .

الى جانب هذه القطع السابقة ، هناك بعض مشابهة للصدر (١١٥) ومنها هلال من الذهب عليه رسم طائرين بالمينا ، وكذلك حلقة من الذهب مستديرة وبها رسم طائرين متواجهين وعلى أحد وجهيها طبقة من المينا متعددة الألوان ويفصل بين كل لون وآخر جدار من الذهب ، وقرص آخر من الذهب مغطى بالمينا ومقسم الى ثلاثة اقسام ، ويميز هذه القطع وجود بعض الكتابات بالخط الكوفى ومنها ما كتب على هذا القرص كتابة بيضاء مزخرفة باللون

(١١١) الدملج والدملوج ، هو المعصود من الحلى ، والدملجة هي تسوية الشيء ، كما يدملج السوار ، انظر . لسان العرب ، ٣ ، ص ١٠١ .
(١١٢) انظر .

Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix, P. 180.

(١١٣) سجل رقم ٩٤٥٥ .

(١١٤) انظر . Islamic Jewelry in Metropolitan Museum
Art, n 47, 45 a.

(١١٥) ارقام ١٣١٨٧ ، ٩٤٥٥ ، ١٢١٣٧ ، ١١٢٤٤ .

الأحمر ونصبها « الله خير حافظا » (١١٦) . وفى القسمين الأعلى والأسفل زخرفة حمراء ممدودة بالذهب على أرضية خضراء : وان كانت المصادر قد ضنت عن ذكر الدلائل وأين تضعها المرأة وكذلك القطع الصغيرة التى ذكرت آنفا .

هذا الى جانب الخلخال الذى يستعمل لزينة الساق ، وعلى الرغم من أن المصادر لا تمدنا بشيء عنه ، الا أنه كثيرا ما ورد فى أبيات الشعر مما يدل على شيوعه (١١٧) .

وحرصا على الحلى ، الذى كانت تقنيه المرأة ، كان لابد من حفظه فى علب خاصة به ، وكانت هذه العلب تصنع من العاج أو السن ، وتقوم على أربع أرجل وعليها زخارف من طيور وطواويس (١١٨) .

ومن العلب ، التى ترجع الى العصر الفاطمى والمحافظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة من العلب المصنوعة من السن ، وتتميز هذه العلب بأنها صغيرة الحجم وبعضها اسطوانى ، والبعض الآخر مستطيل أو مربع ، ومنها حشوة من العاج بها رسم سيدة فى هودج وجندى فى يده رمح ، وعلبة أخرى اسطوانية الشكل من العاج فى قاعدتها من الداخل رسم لفرعى نبات (١١٩) .

(١١٦) رقم ٤٣٣٧ .

(١١٧) ديران الأمير تميم بن المعز ، منه ص ٤٦ .

شكا كشحا الزنار مما يجيعه وحشاى بها الخلخال وامتلا القلب

وأیضا ص ٣٠٥ .

زنت الخسلاخل والسسمو ط بمثل ما الخلخال زانك

(١١٨) انظر . أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١٢٨ .

(١١٩) ارقام ٥٠٢٤ ، ١٢٦٣٣ .

هذا الى جانب علبتين (١٢٠) من العاج ، احدهما فى كاتدرائية مدينة باييه (Bayeux) بفرنسا والأخرى فى كاتدرائية مدينة كوار Coire بسويسرا . والعلبة الأولى مستطيلة الشكل وغطاؤها مستو وتقوم على أربع أرجل وفيها مفصلات ، وبها أشرطة من الفضة المذهبة محفور بها زخاف وعلى القفل كتابة بالخط الكوفى نصها « بسم الله الرحمن الرحيم بركة كاملة ونعمة شاملة » (١٢١) . وكانت علب الحلوى تصنع أحيانا من الفضة أو من العنبر وترصم بحبات اللؤلؤ (١٢٢) .

المكاحل :

وهى من معدات التجميل ، التى اهتمت بها المرأة أيضا فى العصر الفاطمى ، وكانت تستعمل فى الأغراض المختلفة للتجميل مثل رموش العين والحواجب (١٢٣) ، وكذلك الجفون والعيون (١٢٤) . ويوجد بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (١٢٥) أعداد كثيرة منها ومعظمها من البللور الصخرى أو النحاس ، وتختلف اشكال المكاحل فهى اما اسطوانية أو مثلثة أو حتى مربعة الشكل ولها قوائم على هيئة أرجل ، وتتميز هذه المكاحل بما تحويه من أشرطة عليها كتابات كوفية ، ومن أمثلتها ما هو موجود على بدن مكحلة من النحاس نصها « بركة وسعادة لصاحبه » .

-
- (١٢٠) انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٤٤٩ .
 (١٢١) انظر . نفسه .
 (١٢٢) انظر . Ashtor, Matériaux pour l'histoire des prix P. 181.
 (١٢٣) انظر . أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل ، ص ١١٠ .
 (١٢٤) ديوان الأمير تميم بن المعز ، صفحات ٧١ ، ٢٩٦ ، ٤٠٣ .
 (١٢٥) انظر . المرجع السابق ، ص ١١١ ، أرقام ١٥٤٤٦ ، ١٤٤٩ .
 ١٥٤٦٣ ، ١٥٤٨٧ .

وكانت المكاحل تصنع أحيانا من الخشب ، ويبدو أن استعمالها كان قاصرا على الطبقات الفقيرة (١٢٦) ، ومن الطريف أن هذه المكاحل مازالت تحتفظ فى قاعها ببقايا الكحل . وكان للمكحلة مرود ينغمس فيها بعد أن يبلل بالماء ليسهل استعماله ويتعلق به الكحل ، وهذه المراد كانت تصنع من العاج أو من البللور ، وربما اختلفت هذه المراد عن المادة المصنوعة منها المكحلة (١٢٧) ، وكانت المراد تصنع أيضا من الفضة أو تطلّى بماء الذهب وترصع بالأحجار الكريمة (١٢٨) .

العطور :

لقد حرصت المرأة على استخدام العطور ، التى كانت توضع فى قنينات من البللور الصخرى وتزخرف بالرسوم الهندسية والفروع النباتية وكذلك قنينات من الزجاج الأبيض ذى الزخارف المنحوتة تقليدا للبللور الصخرى (١٢٩) . كما كان القصر الفاطمى يحوى ضمن خزائنه الكثيرة ، خزانة تسمى « خزانة الجواهر والطيب والطرائف » كان بها جزء لتخزين الروائح والعطور مثل الكافور والزعفران (١٣٠)

المرايا :

ولاستكمال أدوات الزينة استخدمت المرأة المراة ، التى بلا شك تعكس كل الأدوات السابقة ، وكانت المرايا تصنع فى الغالب من

(١٢٦) انظر . نفسه ، ص ١٠٨ .

(١٢٧) انظر . نفسه ، ص ١١٠ .

(١٢٨) انظر Ashfor, Le Coût de La Vie, P. 65; Matériaux pour l'histoire des prix, P. 181 182.

(١٢٩) انظر . المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(١٣٠) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ،

الحديد ، كما كانت الطبقات الغنية فى المجتمع تستخدم مرايا من الصلب أو الخزف المطعم بالذهب أو الفضة وترصع بالأحجار الكريمة(١٣١) . ولقد أخرج من القصر الفاطمى أيام الشسدة المستنصرية صناديق بها مرايا من حديد وصينى وزجاجى محلاة بالذهب والفضة والجواهر ومغلقة بأنواع مختلفة من الحرير ، وبها مقابض من العقيق(١٣٢) ، ولقد بلغ سعر المرآة المصنوعة من الحديد نصف دينار وأقصى سعر وصلت اليه المرآة المحلاة بالذهب ، وربما مرصعة بالجواهر ثمانية دنانير(١٣٣) .

الأمشاط :

وعن الأمشاط ، التى استعملتها المرأة فى تلك الفترة فليس لدينا معلومات عنها . ومع ذلك نستطيع أن نتعرف على أشكالها من خلال بعض النماذج الموجودة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة . والتى ترجع الى العصر المملوكى ، ومنها أيضا مشط لعله يرجع الى الفترة الفاطمية(١٣٤) .

وهذه الأمشاط مصنوعة فى الغالب من الخشب وهى تشسبه الفلاية التى تستخدم حتى الآن فى الريف المصرى وللمشط جهتان جهة للأسنان الرفيعة الحادة وجهة للأسنان السميكة القوية والجزء الأوسط المحصور بينهما تزيينه من الوجهين زخارف مختلفة بالطلاء

Op. Cit. P. 181.

(١٣١) انظر .

(١٣٢) الخطط ، ١ ، ص ٤١٥ ، انظر . زكى حسن ، كنوز الفاطميين ،

ص ٤٩ .

Op Cit.

(١٣٣) انظر .

(١٣٤) سجل رقم ٧٨٩٢ .

أو الحفر البارز أو الغائر ، هذا فضلا عن وجود بعض الكتابات (١٣٥)
على المشط .

الحمامات :

وهي تعتبر مظهرا آخر من مظاهر الزيتة ، وخاصة للمرأة ،
لأنها كانت بمثابة معاهد للتجميل (١٣٦) في العصور الوسطى ، حيث
وجدت الماشطة والبلانة اللتان تقومان بجميع وسائل التجميل سواء
تصفيف الشعر أو إزالته من جسم السيدات (١٣٧) ، كما كانت توجد
مجموعة من الجوارى يقمن بعملية التدليك لجسم السيدات أثناء
الاستحمام (١٣٨) .

وتجدر الإشارة ، أن فكرة الحمامات الساخنة ، قد أخذها
المسلمون عن اليونان والرومان (١٣٩) ، ولقد برع المسلمون في تشييد
حماماتهم ولاسيما في مصر الإسلامية ، التي امتازت بجمال حماماتها
• وأول حمام أنشأ في الفسطاط بناء عمرو بن العاص بسويقة
المغاربية ، وكان يسمى حمام الفار لأنه كان ضيقا (١٤٠) . ثم ازداد
عدد الحمامات بها حتى وصل ألف ومائة وسبعين حماما ، أما في
القاهرة فالخليفة العزيز بالله أول من بنى بها الحمامات ، التي أصبح بها

(١٣٥) انظر . أحمد عبد الرارق ، المرأة في مصر المملوكية ، ص ١٥٥ .

(١٣٦) انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٨ .

(١٣٧) انظر . أحمد ممدوح حمدي ، معدات التجميل ، ص ٣٤ .

(١٣٨) انظر . نفسه ، ص ٤٥ ، يتضح من خلال أحد الأطباق الخزفية

التي عثر عليها من بقايا حمام أبي السعود بمصر القديمة ، الذي يرجع
للمصر الفاطمي ، إحدى السيدات تمد رجلها ، وتقوم جارتان بتدليكهما ،
لوحة رقم ١٣٠٨٠ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

(١٣٩) انظر . نفسه .

(١٤٠) الانتصار ، ٤ ، ص ١٠٥ ، انظر . نفسه ، ص ٣٤ .

عددها فى نهاية القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى ثمانين حماما (١٤١) .

ومن الحمامات ، التى وجدت فى العصر الفاطمى والتى زالت ، واقتصر ذكرها على المصادر ، حمام السيدة العمة وحمام الساباط ويعرف أيضا بحمام الصنينة ، وكذلك حمام الذهب ، الذى كان بدار الذهب (١٤٢) . كما عثر على بقايا حمام يرجع الى العصر الفاطمى فى منطقة أبى السعود بمصر القديمة ، وهو محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة وبه بعض الصور والرسوم المنقوشة على جدرانه (١٤٣) .

أما عن هيئة الحمام سواء الداخلية أو الخارجية فليس لدينا أية معلومات عنها ، ولكننا نستطيع أن نتعرف عليها من خلال الشكل العام للحمامات فى العصر الاسلامى وكذلك فى العصر المملوكى اللاحق (١٤٤) على العصر الفاطمى . فالحمام عبارة عن بناء تتوسط واجهته بوابة ضيقة ذات زخارف مميزة ، وأحيانا توجد بوابتان إذا كان الحمام مخصصا للسيدات والرجال ، ثم يتلو ذلك المدخل حيث توجد المشرفة على الحمام التى تستقبل الزبائن وتلقى من النساء بعض الودائع مثل الحلوى والنقود ، وبعد ذلك يوجد بهو فسيح عبارة عن صالة معدة للحصول على قسط من الراحة قبل وبعد الاستحمام . ويوجد بوسط هذا البهو ردهة فسيحة مبلطة بالفسيفساء يتوسطها

(١٤١) الخطط ، ٢ ، ص ٨٠ .

(١٤٢) نفسه . ولعل هذه الحمامات كانت ملكا للدولة (انظر .

سفرنامه ، ص ٤٨ ٢ .

(١٤٣) انظر . المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(١٤٤) انظر . المرجع السابق ، ص ٣٨ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة

فى مصر المملوكية ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

فسقية ، وفي جوانبها ايوانات بها مصاطب مغطاة بحصير أو سجاجيد ، وأحيانا تحجب بعض هذه المصاطب بواسطة حواجز خشبية وبعد هذه الردهة تبدأ أجزاء الحمام الرئيسية ، والتي تشتمل على :

(١) بيت أول أو باب أول ، وهو عبارة عن قاعة صغيرة مربعة تقريبا ، ودرجة الحرارة في هذه القاعة مرتفعة قليلا .

(ب) بيت الحرارة .

وهو عبارة عن قاعة تعلوها قبة ، ومبلطة بالفسيفساء وتوجد في هذه القاعة ثلاثة أو أربعة ايوانات على هيئة شكل متعاقد على أرضية القاعة ، والحرارة في هذا المكان مرتفعة .

(ج) المغطس :

وهو يلي بيت الحرارة ، وهو مكان الاغتسال ، ويصل اليه من الايوانات أو من صحن بيت الحرارة مباشرة وبقاعة المغطس ، مغطسان ، تختلف حرارة كل منهما عن الآخر ، وهو عبارة عن أحواض عميقة مربعة مملوءة بماء ساخن .

أما عن الزيارة للحمامات ، فكانت النساء عادة تذهب اليها مرة في الأسبوع ، وكذلك في المناسبات الاجتماعية مثل الأفراح والولادة وحتى التمازي . وعندما يردن ترك منازلهن لكي يشاهدن صديقاتهن ، إذ أن زيارة الحمامات كانت في تلك الفترة عاملا من عوامل استنفاد أوقات الفراغ بالنسبة لبعض النساء (١٤٥) .

ولقد فرضت قيود على دخول الحمامات في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذي أصدر أمرا في عام ٣٩٥/١٠٠٤ بالآلا تدخل

امراة الى الحمام الا بمئزر(١٤٦) ، وهى كانت شروطا لايسد للمحتسب أن يراعيها . ولعل بعض النساء لم ينفذن ذلك مما جعل الخليفة الحاكم يصدر هذا الأمر بغرض تنظيم المظهر العام لسلوك بعض النساء كما أسلفنا مما أدى الى اغلاق حمامات النساء .

وبالنسبة لتسريحات الشعر ، فقد كانت متنوعة ولكن الصفة الغالبة على معظم التسريحات تلك الخصلات التى تتدلى على الأصداع وتكون ملتوية كالعقرب(١٤٧) . وهناك تسريحة تسدل فيها المرأة شعرها الى الامام بحيث يتدلى جزء منه على على الجبهة ، بينما يغطى شعرها جانبى الوجه من الجهة اليمنى واليسرى على هيئة فستونات، وتسريحة أخرى تسدل فيها المرأة شعرها على جانبى الوجه كله دون الفستونات ، وأحيانا تسدل المرأة شعرها الى الخلف بحيث يتدلى على الظهر مع ترك خصلة طويلة تصل الى الذقن ثم تلتوى حيث يتجه طرفها الى أعلى ، ووجدت تصفيقات أخرى للشعر من أبرزها أن تفرق فيها المرأة شعرها الى اليمين وجزءا الى اليسار وهذا الشعر المتدلى يمينا ويسارا كان أحيانا ينحنى الى الداخل فى اتجاه الوجه أو يكون مرفوعا الى أعلى وهذه التسريحة وجدت بكثرة ، فضلا عن ذلك فكانت المرأة أحيانا تترك شعرها مسدولا الى الخلف مع ترك خصلة من الشعر أمام الاذن ، كما عرفت الضفائر التى كانت تتدلى على كتف المرأة وتحيط بها حتى تصل الى الركبتين(١٤٨) .

ولما كنا بصدد الحديث عن أدوات الزينة ، فلا بد من معرفة السمات العامة لجمال المرأة فى تلك الفترة . ولعل الفاطميين كانوا

(١٤٦) انماظ ، ٢ ، ص ٧٦ .

(١٤٧) ديوان الأمير تميم بن المعز ، ص ٧١ ، ٢٩٣ ، ٤٠٣ .

(١٤٨) انظر . محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى مصر

الفاطى ، ص ٢٠٦ .

مثل بقية العرب فى ذلك الوقت يميلون الى المرأة النحيلة من الأعلى والجسيمة من الأسفل(١٤٩) ، ويبدو أن نساء تلك الفترة كن يتميزن بالسمنة والبدانة لما يقتضيه الذوق العام لرجال تلك الفترة(١٥٠) .
أما الوجه فمستدير والحوارب كثيفة والعيون تشبه الحلقات وأن كانت أحياناً على شكل لوزى(١٥١) ، كما كان يميل الفاطميون الى النساء النوبيات ولذلك أقبلوا على شراء الجوارى منهن لما يتميزن به من ميزات كثيرة(١٥٢) .

ونستخلص من ذلك ، أن المرأة ، قد اهتمت بكل ما يبرز جمالها ، مما كان له اثر بالغ فى تقدم بعض الصناعات المتعلقة بمعدات التجميل المختلفة .

(١٤٩) نهاية الارب ، ٢ ، ص ١٠٠ ، انظر . ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٣ .

(١٥٠) ديوان الأمير تميم بن المعز ، صفحات ٤٦ ، ٤٦٠ ، ٢٧٩ .

(١٥١) انظر . المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(١٥٢) الادريسي ، ص ١٣ ، انظر . ماجد ، المستنصر ، ص ١٦ .

الباب الثاني

الأحوال الدينية للمرأة في العصر الفاطمي

١ - المرأة المسلمة

- (أ) الميراث في المذهب السني والشيعة -
- (ب) تجديد قانون الوراثة الشيعة •
- (ج) الدعوة الفاطمية وتطورها •
- (د) مجالس الدعوة •

٢ - المرأة الزمنية •

لما كانت الدولة الفاطمية قد قامت أساساً على العقيدة الشيعية، لذا عمل الفاطميون على نشر مذهبهم منذ الأيام الأولى لفتح مصر التي أصبحت مقراً للخلافة الشيعية . ولقد تمثل ذلك في العمل بالتشريع الشيعي وفي الاحتفال بالأعياد التي تتعلق بهم (١) وكذلك بالدعوة الفاطمية في مصر وخارجها في الأقاليم التابعة للخلافة .

ومع ذلك فلقد عرف التشيع في مصر قبل العصر الفاطمي ، منذ خلافة عثمان بن عفان على يد أحد المتشيعين لعلى بن أبي طالب (٢) ، كما كان لتولى على الخلافة أثر كبير في اعتناق كثير من أهل مصر للتشيع . ولقد ظلوا كذلك خلال حكم الأمويين . ولكن ما لبث أن ضعف التشيع خلال حكم العباسيين الذين عملوا على القضاء على الشيعة وتعقبوا كل علوي (٣) .

(١) الخطط ، ص ٢٨٨ . ٤٣٠ - ٤٣٢ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٨ . ومنها الاحتفال بعيد الغدير وهو يتصل بذكرى وصية النبي لعلى في امامة المسلمين من بعده في مكان بين مكة والمدينة يعرف باسم غدیرخم وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة أثناء حجة الوداع . وكذلك الاحتفال بذكرى مقتل الحسين بن على كما أسلفنا فيما يتصل بيوم عاشوراء .

(٢) وكان ذلك على يد رجل اسمه عبد الله بن سبأ ويثلقب بابن السوداء منه . انظر . Ency of Isl (art'Abd Allāh B. Saba) 1, P. ٥1.

ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) نفسه . ص ٧٣ .

ومع انتشار المذاهب السنية بين المصريين ، لم ينته التشيع ، ولكنه ظل في وجدان المصريين ، وتمثل في تقديرهم لآل على والتبرك بهم وكان مجيء كثير من آل البيت الى مصر واقامتهم بها وحب المصريين لهم دليلا على ذلك . وكان من بينهم هؤلاء العلويات أو الشريفات(٤) أمثال السيدة زينب بنت على بن أبى طالب التى أتت الى مصر عام ٦٨٠/٦١ بعد مقتل الحسين فى كربلاء . ولقد رحب بها أهل مصر واقامت بينهم ما يقرب من عام حتى وفاتها ، وكذلك السيدة سكينة بنت الحسين(٥) والسيدة نفيسة(٦) التى أقامت بمصر سبع سنوات وتوفيت بها عام ٨٢٣/٢٠٨ . وغيرهن من الشريفات اللاتى أقمن بمصر وكن على المذهب الشيعى(٧) .

ولم يقتصر حب المصريين لآل البيت على الترحيب بهم بل حرصوا أيضا على دفنهم فى مصر واقامة مشاهد واضرحة لهم . . ولذا نجد كثيرا من المشاهد الخاصة بالشريفات على وجه الخصوص قد اقيمت سواء قبل العصر الفاطمى أو خلاله . كما أن الفاطميين عملوا على نشر مذهبهم بين المصريين أثناء الحملات ، التى كانت تأتى من المغرب لفتح مصر ولقد تأثر كثير من المصريين بالدعوة الفاطمية آنذاك(٨) ، ولذا لم يكن المذهب الشيعى غريبا عن المصريين عند مجيء الفاطميين .

(٤) وقد تناولنا هذا اللقب بالشرح فيما يخص الألقاب .

(٥) ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ٣٠ ، انظر . سعاد ماهر ،

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ١ ، ص ٩٨ .

(٦) نفسه ، ص ٣١ ، الخطط ، ٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤٢ .

(٧) انظر . Répertoire, II, n. 446, 692; III, n. 922.

(٨) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين وسقوطها فى مصر ، ص ٣٢٢ .

ولا بد لنا ونحن بصدد الحديث عن مذهب الفاطميين أن نتعرف على أوجه الخلاف بينه وبين المذهب السني ، وإن كان هذا الاختلاف ليس جوهريا ، فكلاهما يعتمد على القرآن والسنة (٩) ، ولذا فإن الاختلاف يأتي في تفسير الأحكام (١٠) ويتضح ذلك في صيغة الأذان ، فالشيعة قد زادوا في الأذان عبارة « حى على خير العمل » بعد « حى على الفلاح » ، وكانوا يجهرون بالصلاة على بن أبى طالب ، أما بالنسبة للصوم ، فالفاطميون يصومون الشهر كاملا ، ولم يلتزموا برؤية الهلال ، أما الصلاة فلم يعترفوا بصلاة التراويح (١١) .

ولكن أهم أوجه الخلاف بين المذهبين ، وهو ما يهمنا في الكلام عنه بالنسبة للمرأة بما يتعلق بالمواريث ، فمذهب الفاطميين يبرز المرأة ، إذ أنها إذا انفردت ترث جميع مال أبيها (١٢) ، وبذلك تحصل مثل الرجل على حقها في الميراث ، مما يجعلها تستطيع أن تكون ثروة أو على الأقل تعتمد على نفسها من الناحية المالية . حتى ولو كانت امرأة متزوجة . ولذا نجد الاختلاف بين المذهبين على النحو التالي ، فالمذهب السني يجعل الميراث الى ثلاثة أقسام (١٣) :

(١) ميراث بالفرض ويتبعه الرد .

(ب) ميراث بالتعصيب بما يبقى من أصحاب الفروض .

(٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ٣ ، ص ١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٣٧ .
(١٠) انظر . نفس المرجع ، ١ ، ص ١٢٨ ، عبد الخالق حسين محمد ، القضاء في مصر في عهد الفاطميين والأيوبيين ، رسالة ماجستير ، ١٩٧٥ ، ص ٢٦ .

(١١) الخطط ، ٢ ، ص ٣٤١ .

(١٢) نفسه ، ١ ، ص ١١١ .

(١٣) سورة النساء آية ١١ ، ١٢ ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(ح) ميراث بالرحم .

أما المذهب الشيعي فيقسم التوريث الى قسمين (١٤) :

(١) ميراث بالسبب وهو التوريث بالمزوجية .

(ب) ميراث بالنسب (القرابة) وله ثلاث درجات :

١ - الأبوان المباشران .

٢ - الأجداد والجندات وفروع الأبوين من اخوة وأخوات .

٣ - الأعمام والأخوال ثم أولادهم .

كما ترى الشيعة انه لا يرث الأبعد مع وجود الأقرب بمعنى أن ابن الابن لا يرث مع وجود البنت لأنها أقرب منه كما انه لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم (١٥) .
والمقاضي الشيعي أن يعطيها نصف المال فرضا والنصف الثاني ردا أي أن تأخذ إذا انفردت النصف بالميراث المسمى والباقي يرد عليها بالرحم ، وبذلك لا تعترف الشيعة بالتعصيب ويقدرسون القرابة (١٦) .

وكذلك لا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى الا الزوج والزوجة والأبوان والجدة ، وإذا تزاحمت الفرائض ، فإن القاضي الشيعي يحكم للزوجة بالثلثين ولكل من الأم والأب بالسدس . أما إذا ترك المتوفى بنتين ، فكل واحدة تحصل على الثلث بالميراث والثلث الباقي يرد عليهما بالرحم (١٧) ، هذا فضلا عن أن الشيعة يعتبرون أن أبناء

(١٤) دعائم الاسلام ، ٢ ، ص ٣٦٣ .

(١٥) نفسه ، ٢ ، ص ٣٦٣ ، المصدر السابق ، ١ ، ص ١١١ .

(١٦) نفسه ، ٢ ، ص ٣٧٨ .

(١٧) نفسه ، ص ٣٦٤ .

البنات كأبناء الأبناء في الانتماء إلى البيت واستحقاق الميراث (١٨) .

والسر في أن الشيعة يورثون البنت كل المال ويجعلونها حاضرة للأعمام أمراً : أحدهما أن أبا بكر أخذ فدك (قرية بخير) من يد فاطمة ، وكان رسول الله أعطاهما تلك الضيعة للأرتفاق بها ، فادعت أنها ترث ذلك فاحتج أبو بكر بأن الأنبياء لا يورثون ، ثانيهما : أن بنى العباس يدعون إيلولة ميراث رسول الله من عامة المسلمين ، لأنه عم رسول الله والوارث له يوم وفاته ، لأن ابنته فاطمة لا تحرز كل المال وعلى أنزل من بنى العباس ، فقالوا هم أنها تحرز كل الميراث ليمنعوا بنى العباس من دعواهم .

ولذا عندما دخل جوهر مصر أقر القاضي السني ، ولكنه الزمه بأن يحكم في المواريث بحكم أهل البيت ، أي وفق مذهبهم الشيعي (١٩) . ولذا كانت قضايا الميراث من أبرز القضايا التي رفعت للقضاء للفصل فيها ، في أوائل حكم الفاطميين ، لأنه قد حدث تغيير في المفاهيم المعمول بها بشأن المواريث ، ومنها عدة قضايا من أهمها ما تقدم به رجل ، يدعى فيه ملكية حمام كان لجده لأمه وكان ينبغي أن ينتقل إلى أمه حسب قانون الوراثة لدى الفاطميين وكان القاضي الشيعي دائماً يحاول أن يوطد التشريع الشيعي ، وأن يكون هو السائد على أحكامه (٢٠) . وظل يعمل بذلك لعامة المسلمين سواء سنة أو شيعة ، وكان أحياناً ترفع رقاع للخليفة بهذا الشأن ليبدلي فيها برأيه (٢١) .

(١٨) نفسه ، ص ٣٦٧ .

(١٩) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٤ .

(٢٠) نفسه ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ ، انظر ، حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة

الفاطمية ، ص ٣١٥ .

(٢١) اتعاظ ، ٢ ، ص ١١٩ .

ولكن قد حدث تجديد فى أواخر الخلافة الفاطمية ابان خلافة الأمر ووزارة المأمون البطائحي على يد الشيخ أبو بكر الطرطوشي المالكي (٢٢) ، الذى جاء من الأندلس ، وأقام بالاسكندرية حتى توفي فى عام ٥٢٠ أو ٥٢٥ ، ١١٢٦/١١٣٠ ، ولقربه من الوزير حاول أن يغير من قانون الوراثة القائم . وكان يرى انفراد البنت بالميراث ، اذا كانت وحيدة وحرمان ذوى العصبية من المشاركة فيه شيئا مخالفا للشرع ، بما يقتضيه مذهبه السنى ، الذى يرى أن البنت لا ترث أكثر من نصف التركة (٢٣) .

وعلى الرغم من أن الوزير المأمون البطائحي كان سنيا هو الآخر، لكنه لم يوافق على هذا ، وعلل ذلك بأن هذا هو مذهب الخليفة ومذهب الشيعة باختلاف فرقهم ، ولكن توصل الوزير فى النهاية الى أنه من كان سنيا اتبع المذهب السنى ومن كان شيعيا اتبع مذهبه أيضا بشأن التوريث ، وصدر سجل بذلك وافق عليه الخليفة الأمر فى عام ١١٢٢/٥١٦ (٢٤) تضمن عدة نقاط أخرى ، ولكن ما يهمنا منه :

- ١ - يخلص لحرم ذوى التشيع الوارثات جميع موروثهم .
- ٢ - أن كل دارج من الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واعتقاداتهم ، يحمل ما يترك من موجوده على حكم مذهبه فى حياته والمشهورة من اعتقاده الى حين وفاته .

وهذا يبين ليس فقط أنه كان يؤخذ بمذهب الشيعة بالنسبة

(٢٢) انظر . السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، ص ٦٢ .

(٢٣) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢٤) نفسه ، انظر . المرجع السابق ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .

لمسلمي مصر من سنة وشيعة ، كما أسلفنا باعتباره مذهب الخلافة الحاكمة ، بل يدل على احترام الوزير السنن المذهب الخليفة وكذلك أنه أصبح من الأمور المألوفة لدى المصريين اتباع هذا المذهب . . ولكننا نرى أن هذا التجديد لم يمس جوهر قانون الوراثة ، وإنما اقتصر فقط على الشكل بأن ضاقت المساحة ، التي يشملها ، وأصبح يخص فقط مسلمي مصر الذين يعتنقون المذهب الشيعي .

كما عملت الدولة الفاطمية على نشر المذهب الشيعي بين المصريين وذلك بما عرف بالدعوة الفاطمية ، وأن عرفت في الأوراق الرسمية بالدعوة العلوية (٢٥) أو الدعوة الهادية (٢٦) . ولقد قام كبار رجال الدولة في أوائل حكم الفاطميين بهذا الدور ، وذلك تمثل بما قام به وزير الخليفة العزيز ، يعقوب بن كلس الذي أقام حلقات لنشر المذهب الشيعي في الجامع الأزهر ، ثم قام بعده على بن النعمان بقراءة علوم أهل البيت (٢٧) .

ثم ظهر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وظيفة داعي الدعوة (٢٨) ، الذي كان يتبعه اثنا عشر نقيباً ثم ثلاثون داعية ليس في أقاليم مصر بل خارجها في المناطق التابعة للخلافة الفاطمية ولقد اتسمت الدعوة في أوائل حكم الفاطميين بأنها كانت دعوة علنية، كانت تقوم بشرح المعنى الظاهر للعقيدة الشيعية بطريقة بسيطة (٢٩) .

-
- (٢٥) السجلات المستنصرية ، أرقام ٥٠ ، ص ١٦٨ ، ٥٤ ، ص ١٧٦ .
 (٢٦) نفسه ، رقم ٤٦ ، ص ١٥٨ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ١٧٨ .
 (٢٧) الخطط ، ١ ، ص ٦ ، انظر . ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٨ .
 (٢٨) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٥٨٧ ، انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٨٢ .
 (٢٩) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٤١ ، انظر . نفسه ، ١ ، ص ١٨٠ .

ثم تطورت الدعوة وظهر ما يعرف بالدعوة السرية (٣٠) ، وكان ذلك نتيجة للتعلم في دراسة المذهب الشيعي ، والتأثر بآراء فلاسفة اليونان ولقد جاء هذا التطور في الدعوة في أيام الخليفة الحاكم بأمر الله .

وكانت الدعوة السرية تشتمل على سبع أو تسع درجات تبدأ باثارة الداعي مجموعة من التساؤلات أمام المريد حتى يوقعه في الشك ، ويجعله مضطرا أن يطلب طريق الهداية ، ثم في الدرجة الثانية يقرر الداعي أن الشرع لا يؤخذ إلا من الأئمة ، وتتبعها الدرجة الثالثة التي تحدد عدد الأئمة ولكن بطريقة تبعد المريد عن دائرة الأئمة الاثنا عشرية ، وتنتهي هذه الدرجات بالدرجة التاسعة (٣١) ، وكان لابد للانتقال من درجة الى أخرى أن يكون المريد قد أحاط بالدرجة التي تسبقها (٣٢) . كما ظهر في عصر الحاكم أيضا مذهب جديد على يد حمزة بن علي (٣٣) ، وكان هذا المذهب يدعو الى اظهار الايمان المطلق أو ما عرف بالتوحيد (٣٤) .

أما عن أحوال المرأة الدينية ، التي تعتبر جزءا من الحياة الدينية في مصر بصفة عامة خلال الحكم الفاطميين ، فكانت النساء تحضر تلك المجالس التي كانت تعقد في كل المساجد ، ولاسيما في الجامع الأزهر حيث خصص لهن مجلس به . وكانت هذه المجالس يلقيها الداعي على الناس بصفة عامة على اختلاف طبقاتهم وكانت تقم

-
- (٣٠) انظر . نفس المرجع ، ص ٨٢ - ٨٣ ، القضاء في عهد الفاطميين والأيوبيين ، ص ٢٨ .
(٣١) الحطط ، ١ ، ص ٣٩١ - ٣٩٥ .
(٣٢) نفسه ، انظر . المرجع السابق ، ص ٨٥ .
(٣٣) يحيى بن سعيد ، ص ٢٢٣ .
(٣٤) رسائل الحاكم بأمر الله ، عقائد نحل ، رقم ١٣٨ ، انظر . المرجع السابق ، ص ١١٨ .

تحت اشراف الخليفة وكانت هذه المجالس تسمى « مجالس الدعوة » أو « مجالس الحكمة » (٣٥) كما كان لحرم القصر رواق خاص بالقصر اسمه المحول (٣٦) وكان مخصصا للنساء يوم ، ثم أصبح لهن يومان فى الأسبوع يعقد منهما يوم لعامة النساء ويوم لحريم القصر .

ومن الملاحظ أن هذه المجالس ، كانت تدعو النساء أيضا الى التحلى بالقيم والأخلاق الفاضلة ، وهذا يتضح من خلال رسائل الحاكم بأمر الله والتي تشتمل على عدة رسائل أقيمت فى مجالس النساء (٣٧) . وكذلك من خلال المجالس المستنصرية (٣٨) فى عهد الخليفة المستنصر والتي كانت تدعو أيضا الى تكريم الأم وإبراز دورها فى المجتمع ومعاملة الزوجين ، والبر بالوالدين ، كما كانت تحت النساء على العفة والطهارة هذا الى جانب المجالس المؤيدية بصفة عامة .

ولعل المرأة قد اقبلت أيضا على الدعوة السرية فكانت المقبلات على مذهب الحاكم الجديد من النساء يطلق عليهن الموحديات (٣٩) ، اللاتي كن يكتبن وثائق على أنفسهن باتباع المذهب الجديد ، الذى انتشر وقتذاك وكان هناك شروط لابد منها حتى يقرأ على هؤلاء النساء تلك الرسائل التى تضمنتها رسائل الحاكم ، وكانت خاصة بالنساء ومنها أن تكشف المرأة عن اعتقادها بعد أن يكتب الميثاق عليها ، وتكون من وراء حجاب ، وأن يحضر مع المرأة وليها وأن يكون

(٣٥) المصدر السابق ، ١ ، ص ٣٩١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

١ ، ص ١٨١ .

(٣٦) نفسه ، ١ ، ص ٣٩٠ .

(٣٧) مخطوط رقم ١٣٣ ، ورقة ٦٨ ، ٥٤ ، ورقة ٢ ، ٧ .

(٣٨) مجلس رقم ١٣ ، ص ٧١ ، ١٧ ، ص ٨٣ ، ١٨ ، ص ٨٦ - ٨٧ ،

٢١ ، ص ٩٨ .

(٣٩) رسالة النساء الكبيرة ، رقم ٥٤ ورقة ٣٩ ، انظر . ماجد ،

الحاكم بأمر الله ، ص ١١٩ .

موحدا مثلها(٤٠) ، كما يجب على المرأة أثناء قراءة هذه الرسائل
١ لا تضحك من الفرح ولا تبكى من الهيبة ، وأن تصغى الى ما يقال
بأذنها وتتدبره بعقلها وقلبها . وفي حالة عدم فهمها فعليها أن تسأل
الداعى الذى ان عرف أفادها .

كما كانت المرأة تدفع كما يدفع جميع المؤمنين جزءا من المال ،
وكان يطلق عليه « النجوى » أو « النجاوى »(٤١) وهى كانت بمثابة
دليل مادى بقبول عقائد الشيعة ، وضريبة اجبارية يدفعها المؤمنون
بالمذهب الشيعى رجالا ونساء ، وكانت تبلغ ثلاثة دراهم وثلاث ،
ولكن اغنياء الشيعة كانوا يدفعون ثلاثة وثلاثين درهما(٤٢) . وكان
من يدفعها تخرج له ورقة بخط الخليفة خلال المجلس مكتوب عليها
« بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك »(٤٣) .

وعلى الرغم من اقبال المرأة على الدعوة الفاطمية ، فلا نكاد
نسمع عن اسماء قد برزت فى هذا المجال ، وان ذكر البعض ان المرأة
الشيعية قد تصبح داعية(٤٤) ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بشئ
من هذا ، لأنه كان الوصول الى مرتبة الداعى يتطلب الوصول فى
مراتب الدعوة السرية الى المرتبة السادسة(٤٥) . حقيقة قد ظهرت

(٤٠) ميثاق النساء ، رقم ١٣٣ ، ورقة ٦٩ - ٧٠ .

(٤١) السجلات المستنصرية . أرقام ٢٣ ، ٣٦ ، ٥٧ .

(٤٢) الخطط ، ١ ، ص ٣٩١ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

ج ١ ص ١٨٨ .

(٤٣) نفس ، ١ ، ص ٣٩١ .

(٤٤) انظر . Ivanow, The Rise of the Fatimids, P. 21.

ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ص ٧٩ .

(٤٥) انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ١٨١ .

بعض الشخصيات الذسائية فى تلك الفترة عرف عنهن التقوى والورع،
سواء اللاتى أقمن فى مصر أو وفدن عليها من خارج البلاد(٤٦) .

ومن أمثال هؤلاء النساء العابدات أم الخير الحجازية(٤٧) ،
التي كان لها مكانة عالية بين شيوخ عصرها فلقد ذاع صيتها خلال
حكم الخليفة الظاهر ، فكانت تقوم بالقاء بعض المحاضرات والدروس
الدينية فى الجامع العتيق ، الذى كان يقام فيه أيضا مجالس الدعوة
الشيوعية ، ومع ذلك فلا نكاد نعرف المذهب الذى كانت تدين به أم
الخير الحجازية ، فلعلها من الواقفات على مصر وخاصة من الحجاز
وتعتنق المذهب السنى لاسيما وأن الدولة الفاطمية مع حرصها على
نشر مذهبها الشيعى ، قد تركت الفرصة لبعض المذاهب السنية أن
تنتشر فى البلاد .

أما عن الأحوال الدينية للمرأة الذمية ، فكما نعرف أن الدولة
الفاطمية قد تميزت بصفة عامة بالتسامح الدينى نحو أهل الذمة
وخاصة النصارى ، وذلك تمثل فى ممارستهم لأعيادهم ومشاركة
المسلمين لهم فى الاحتفال بهذه الأعياد فى المناسبات المختلفة(٤٨) .

(٤٦) ابن الزيات ، الكواكب السيرة ، ص ١٧٥ ، الذهبى تاريخ ،
٥ ، ص ١٤١ .

(٤٧) الخطط ، ٢ ، ص ٤٥٠ ، انظر . حسن عبد الوهّاب ، تاريخ
المساجد الانرية ، ١ ، ص ٣٠ .

(٤٨) نفسه ، ١ ، ص ٤٦٢ - ٤٦٥ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،
٢٠ ، ص ١٣١ - ١٣٦ . ومن هذه الأعياد النيروز ، وهو عيد رأس السنة
الميلادية القبطية ، وعيد الصليب ، وهو اليوم الذى عثر فيه على الصليب
الذى صلب به المسيح فى القدس ، وعيد الفطاس وهو ذكرى تعميد المسيح
بفلسطين وكذلك خميس العهد الذى كان يصدر فيه عمله خاصة بهذه المناسبة
تسمى خرونة .

وكذلك توزيع الملابس وغيرها على موظفى الدولة من أهل الذمة
والمسلمين .

وفيما يخص المرأة النصرانية فكانت تذهب الى الكنيسة بصفة
منتظمة وتحمل اليها بعض الصدقات بغرض التقرب والعبادة (٤٩) ،
كما كانت الكنيسة تصدر بعض الأوامر لتنظيم العبادة بالنسبة
للنساء ، تحثهن على العفاف وذلك بالآل ينطقن أثناء الصلوات
ولا يختلطن بالرجال ولا يجلسن فى طريقهم وكذلك أن يكن طائعات
لأزواجهن متعبدات فى بيوتهن (٥٠) هذا بالنسبة للمرأة المصرية
النصرانية ، أما بالنسبة للنصرانيات اللاتى يعشن داخل الأديرة ،
فلعل عددهن كان كثيرا إذ أن هناك عددا كبيرا من الأديرة
للراهبات (٥١) . وكان هؤلاء الراهبات بجانب العبادة يقمن بتطريز
الملابس الكهنوتية وكذلك أفخر الملابس لدفن الموتى . وكانت الراهبات
سواء من البنات أو السيدات يقمن فى هذه الأديرة .

وكذلك كانت المرأة اليهودية تذهب الى المعبد بانتظام ، وكان
للنساء رواق خاص بهن متصل بالمعبد اليهودى يطلق عليه « جاليرى »
وكان يقع عند الشاطئ الغربى للنيل قرب الجيزة ، وكان يطلق
عليه أيضا « بيت النساء » وكان متصلا بالمعبد من خلال باب يسمى
« باب الست » أو « باب النساء » وهو يواجه الشارع من الخارج
حيث البوابة الرئيسية للمعبد .

(٤٩) سير الآباء ، ٣ ورقة ٦٥ .

(٥٠) نفسه ، ٣ ، ورقة ٧١ .

(٥١) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٥٠٩ ومن هذه الأديرة دير بحارة زويلة
بالقاهرة ، ودير البنات بحارة الروم ، ودير المعلقة بمدينة مصر ، ودير بربرة
بمصر بجوار كنيسة بربرة .

Gottlin, Med. Soc, II, P. 144.

(٥٢) انظر .

وكانت المرأة اليهودية تترك قبل وفاتها وصية وخاصة اذا كانت ثرية وتكون هذه الوصايا مسجلة وتترك للأقارب وغيرهم (٥٢) .
وقد تكون التركة المتروكة عبارة عن قطع ذهبية وأثاث وحلى وملابس أو حتى منازل . كما كانت المرأة اليهودية توقف أحيانا جزءا من ممتلكاتها لغرض ديني سواء للمؤسسات الدينية أو الخيرية ، وكذلك بعض الهبات (٥٣) التي تذكر في الوصية (٥٤) لتشمل الفقراء ، هذا فضلا عن أن الوصية كانت تشتمل على قطع الكفن ، الذي تريده بعد وفاتها ، والذي كان بلاشك يختلف حسب ثراء المرأة أو فقرها (٥٥) .
الى جانب ذلك كانت المرأة اليهودية في حياتها تستطيع أن تدير تكية مخصصة للمرضى والمسنين وكان هذا تقوم به بعض النساء الخيرات اللاتي يملكن ثروة كبيرة (٥٦) .

ومن خلال ذلك نجد أن المرأة المصرية بصفة عامة كانت تحرص على أداء واجباتها الدينية وذلك لأن روح العصر كانت يغلب عليها الصفة الدينية ، ولذا ذهبت المرأة المصرية الى المسجد والكنيسة والمعبد في تلك الفترة .

Ibid, III, P. 348 — 349.

(٥٣) انظر .

Ashtar, Histoire des prlx, P. 174.

(٥٤) انظر .

(٥٥) ومن هذه الوصايا ، وصية لامرأة تدعى ست الامل ابنة ابي على العطار ، وزوجة ابو نصر الحلبي وذكرت في وصيتها التي حررت ١١٤٣/٥٣٨ ،
ان يكون الكفن عبارة عن ملءة ومعجر وملاية ، انظر . Ibid.

Op. Cit. P. 251.

(٥٦) انظر .

الباب الثالث

دور المرأة في سياسة الدولة

- **الفصل الأول : ست الملك**
- **الفصل الثاني : الملكة أم المستنصر**
- **الفصل الثالث : نساء العصر الفاطمي الثاني**

· الفصل الأول

ست الملك

- (أ) تقديم المشورة للحاكم
- (ب) مقتل الحاكم واتهام المؤرخين
- (ج) تولية الخليفة الظاهر
- (د) تدبير شؤون البلاد في الداخل والخارج

يحتفل التاريخ الاسلامى بوجود بعض الشخصيات النسائية الهامة التى أسهمت فى شتى المجالات ، لا سيما فى المجال السياسى . ولقد برز دور المرأة منذ بداية الدعوة الاسلامية ، اذ كانت من أوائل الذين دخلوا الاسلام أمثال السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك السيدة فاطمة الزهراء ، التى قدر لها أن تحفظ سلالة النبى فى ذريتها . كما تعتبر السيدة زينب بذات الامام على من أوائل السيدات اللاتى لعبن دورا سياسيا هاما خلال مأساة كربلاء (١) . ووجد أيضا بعد ذلك فى القصور الاسلامية نساء حكمن من وراء ستار ، وكان لهن أثر كبير فى مجريات الأحداث السياسية .

أما فى مصر فى العصر الفاطمى ، فلقد قامت المرأة بدور كبير فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية . ولدينا بعض النساء اللاتى شاركن فى هذا المجال أمثال السيدة ست الملك ، التى تعتبر من أهم الشخصيات النسائية فى تلك الفترة على الاطلاق ، وهذا يرجع الى الدور السياسى الهام الذى قامت به فى شئون الدولة .

وست الملك ، هى ابنة الخليفة العزيز بالله ، وأخت الخليفة الحاكم من أبيه ، وتعرف أيضا باسم سيدة الملك أو ست النصر (٢) ،

(١) انظر ، سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ١ ،

ص ٩٢ .

(٢) بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ .

ولدت بالمغرب عام ٢٥٩/٩٧٠ (٣) . ولعلها أكبر أبناء الخليفة العزيز ، لذا حظت بمكانة عالية لديه ، وأحييت بكل أسباب الترف ، ويبدو ذلك فى بناء الخليفة العزيز القصر الغسرى لها ، لتعيش فيه بمفردها (٤) ، كما كان لها طائفة خاصة بالقصر تسمى العطونية (٥) ، وطائفة أخرى تسمى القيصرية ، ولعلها خاصة باصطحابها خارج القصر (٦) . ولها بالقصر أربعة آلاف جارية يقمن بخدمتها (٧) ، هذا فضلا عن الدواوين الخاصة بها ، ولها كاتب وعدة موظفين ، واقطاعات تدر لها كل عام مبلغا كبيرا (٨) . كما تلقب بعدة الألقاب تدل على مكانتها مثل السيدة الشريفة (٩) ، كما تخاطب بمولاتنا (١٠) .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن ست الملك كانت ذات شخصية متميزة ، لما كانت تتمتع به من العقل والحزم (١١) . ولعل عدم زواجها قد أعطاها الفرصة فى أن تكرر حياتها لمصلحة الدولة ، التى نشأت فيها وهى قوية ، لذلك حرصت دائما على تقديم النصيح لأخيها الحاكم الذى تولى الخلافة صغيرا . فهى لم تكن بعيدة عن الأحداث السياسية ، ولكنها على ما يبدو كان لها كيان مستقل . وكان الخليفة

(٣) يحيى بن سعيد ، ص ٢٤٤ .

(٤) الخطط ، ١ ، ص ٤٥٧ .

(٥) نفسه ، ٢ ، ص ١٣ . وتنسب الى عطوف أحد خدام القصر وأصله من خدام أبيها .

(٦) ابن ميسر ، ص ٥٠ ، اعلاظ ، ١ ، ص ٢٩١ .

(٧) المصدر السابق ، ١ ، ص ٤٥٨ .

(٨) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٣ .

(٩) التحف والدخائر ، ص ٦٨ .

(١٠) الكامل ، ٩ ، ص ١١٩ .

(١١) النجوم ، ٤ ، ص ١٨٥ ، مرآة الزمان ، ١ ، ورقة ٤٠٥ .

الحاكم يتقبل مشورتها ويعرض عليها بعض الأمور ، الخاصة
بالسياسة الخارجية ليأخذ برأيها (١٢) . كما أن شخصيتها المتميزة
جعلت بعض المحيطين بها يلجأون إليها فيشكون الخليفة الحاكم لها
في بعض الأحيان مما يجعلها تقوم بدور الوسيط لصالح البلاد كما
كان لها أعوان خارج البلاد في الأقاليم التابعة للخلافة الفاطمية
يكاتبونها بأحوال الولاية (١٣) .

وعندما أراد الخليفة الحاكم أن يستخلص حكمه من أيدي
الطامعين أمثال برجوان وغيره ، ظلت ست الملك تسدي إليه النصيح ،
ولعلها كانت على علم من الخليفة برغبته في التخلص من
برجوان (١٤) .

ومع ذلك ، فلقد اتهمت من قبل معظم المؤرخين بقتل الحاكم ،
وذكروا في ذلك أسبابا تؤيد هذا الادعاء ، منها أسباب سياسية
تتعلق ، برغبة ست الملك في تعيين ابن عمها قبل تولية الحاكم ، ولم
يمنعها من تنفيذ ذلك سوى برجوان الذي استطاع أن يبعدها (١٥) ،
كما أن الخليفة الحاكم نفسه كان يحقد عليها لقدخلها في الحكم (١٦) ،
هذا الى جانب أسباب شخصية نتيجة لسوء العلاقة بينهما ، وما كان
الخليفة يتهم به أخته ويشك في سلوكها ، ويبعث إليها بالقوابل ليتحروا
شأنها (١٧) وكذلك الاشاعات التي قيلت حولها من قبل عامة الشعب
ووصلت الى الخليفة (١٨) .

(١٢) ذبل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ .

(١٣) نفسه ، ص ٧٩ .

(١٤) الكامل ، ٧ ، ص ١٠٥ .

(١٥) نفسه ، ٧ ، ص ١٧٧ .

(١٦) النجوم ، ٢ ، ص ١٨٥ .

(١٧) الأردى ، ص ٥٧ - ٥٨ ، حسن المحاضرة ، ٢ ، ص ١٥ .

(١٨) نفسه .

ولقد ساق بعض المؤرخين فى كيفية قتل الخليفة الحاكم قصة مؤداها أن ست الملك هى المدبرة الأولى لهذه الجريمة ، بالاتفاق مع أحد كبار رجال الدولة ، وهو سيف الدولة بن دواس ، أحد شيوخ كتامة ، الذى كانت علاقته بالخليفة الحاكم أيضا سيئة مما جعلها تقدم على الاتفاق معه ، وانها فعلت ذلك رغبة منها فى صيانة نفسها وكذلك دولة آبائها ، خاصة بعدما ادعى الخليفة الألوهية . ولقد وعدت ابن دواس بأنه سوف يكون قائد الجيش ومدبر شئون الدولة بعد الخليفة ، كما أعطته الأموال والخلع واقطعته اقطاعات كثيرة ، واتفقت معه أن يتم ذلك على يد عبيدين يثق بهما ، قدمت اليهما بعض الهبات والاقطاعات ، هذا فضلا عن أنها رسمت الخطة لم كيفية قتله . عندما يخرج ويصعد الجبل ويكون منفردا وأن العبيدين استطاعا تحقيق ذلك ، وحملا الحاكم الى ست الملك ، التى دفنته فى مجلسها وكافأت العبيدين وابن دواس على ذلك (١٩) .

وعلى الرغم من ذلك ، فمن المعتقد أن ست الملك لم تشترك فى تدبير هذه الجريمة ، بدليل العلاقة الحسنة بين الأخوين ، التى تمثلت فى تبادل الهدايا الثمينة والاقطاعات بين الخليفة الحاكم وست الملك (٢٠) والعمل بمشورتها فى شئون البلاد كما أن الأسباب

(١٩) النجوم ، ٤ ، ص ١٨٥ - ١٨٧ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٥٨ .

(٢٠) التحف والذخائر ، ص ٦٨ ، العاظم ، ٢ ص ١٥ ، ص ٣٣ .

فلقد اهدت ست الملك لآخيها الحاكم فى ٩٩٧/٣٨٧ ثلاثين فرسا مسرجا ، احدهما مرصع وآخر بلور ، وعشرين بغلة مسرجة بلجمة ، وخمسين خادما منها عشرة صقالبة ، ومائة تخت نيا ب وتاجا مرصعا وشاشية مرصعة واسقاطا كثيرة من طيب وبستانا من الفضة كما اقطعت ست الملك اقطاما مبلغه مائة ألف دينار منها ضياع فى الصعيد وأسفل الأرض ، ثمانية وستون ألفا وأربعمائة وخمسون دينارا ؛ منها بوتيح سنة ألف وسبعمائة وخمسون دينارا ، وصهرشت =

التي أوردها المؤرخون في قتلها للحاكم ، هي أسباب قد افترضوها ، ومنها ادعاء الحاكم الألوهية ، والتشنيع بسلوك ست الملك ، هذا فضلا عن أن ست الملك قد اتسمت بصفات تجعلها توقن خطر الاقدام على قتل الحاكم ، كما أن تخلصها من كل الرجال الذين أحاطت بهم الشبهات عن قتل الخليفة ما يؤيد أيضا عدم قيامها بهذا الأمر .

كما اختلفت الروايات حول قتل الحاكم ، وإن كانت في معظمها تتهم ست الملك ، ولعل هذا الاختلاف راجع الى الغموض الذي أحاط بمقتل الحاكم ، وإن كانت في مجموعها تبرئ ست الملك ، ومنها ما ذكره المقرئزي (٢١) ، الذي ينفي عن ست الملك الاتهام ، ويرى أن هذا جاء من اختراع مؤرخي المشاركة ، وهو يعتمد في ذلك على رواية أخرى ، نقلا عن المؤرخ المسيحي الذي عاصر خلافة الحاكم ، وأنه تم القبض على رجل من بنى الحسين بالمصيعة الأعلى ، اعترف بقتله للخليفة الحاكم وكذلك الطريقة التي قتله بها .

وإذا كنا نتفق مع المقرئزي في تبرئة ست الملك من قتل الحاكم ، فإن هناك ما يوجب الحيرة لديه ، لأنه يذكر أيضا في كتاب آخر (٢٢) ما يشير الى اتهام ست الملك ، ولعل هذا الاختلاف ، نتيجة للروايات التي اعتمد عليها في كلا الكتابين ، وأن هناك كتابا سابقا على آخر ، وكان المؤلف لم يقف بعد على رواية المسيحي ، التي تنفي الجريمة عن ست الملك .

= سبعة عشر ألف دينار ، ودمنهو خمسة آلاف دينار ، بما في ذلك ، وهو وثلاثون ألف دينار وخمسمائة دينار من دور وبسائين ورسوم وأما كان هذا الاقطاع قد منح لست الملك عام ٩٩٩/٣٨٩ فهذا يدل على أنه قد منح لها من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله .

(٢١) الخطط ، ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

كما نتفق مع ما ذكره الدكتور عبد المنعم ماجد في كتابه **أمر الله (٢٣)** ، بشأن تبرئة ست الملك ، والروايات التي اعتمد ليؤكد ذلك ومنها رواية ترجع سبب قتل الحاكم الى ابن دواس لأسباب سياسية تتعلق بسياسة الخليفة الحاكم تجاه المغاربة ، والتي يدعيها ابن دواس خاصة بعد ثورة أبي ركونة (٢٤) .

ثم رواية أخرى ، تنسب الى بعض الاعراب ، الذين اتهموا الخليفة وهو في طريقه الى جبل المقطم وطلبوا منه المال ، وادّعى أن ثلثه ليس لديه ما يعطيهم تركوا بعضهم معه وذهبوا مع الرواحيين الى المال ، وعندما عادوا ، لم يجدوا الخليفة الحاكم وجدوا حماله وجباته السبع وعليها آثار الدماء (٢٥) .

ولعل تصرف ست الملك بعد فقد الخليفة الحاكم في ١١/٤ فبراير ١٠٢٠ (٢٦) ، يعد مثالا رائعا في كيفية حفر على دولة آباءها بطريقة ايجابية ، لأنها استطاعت أن تضيء بشئون الحكم في الداخل والخارج حتى وفاتها ، ولقد بدأ دور الخليفة مباشرة ، وذلك في تكتيها لخبر موته وتطويع الشعب على سلامة الخليفة ، حتى تنافذ على أمن البلاد (٢٧)

بعد ذلك ، بعثت ست الملك الى عامل مدينة تنيس باسم الحاكم أن يحمل ما عنده من أموال استحققت عليه ، وكانت عن سنوات مضت ، وكان الخليفة قد أمره بتركها عنده ، فحصلت بعد وفاته (٢٨) .

(٢٣) انظر . صفحات ١٧١ - ١٧٣ .

(٢٤) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٨ .

(٢٥) نفسه ، ص ٢٣٣ .

(٢٦) نفسه ، المص ٢ ، ص ١١٥ .

(٢٧) الكامل ، ٧ ، ص ٣٦ ، نفسه .

(٢٨) الخطط ، ص ١٨١ ، مرآة الزمان ، ١١ ، ورقة ٤٠٨ .

ولما كان لابد من تعيين خليفة جديد ، اذ أن ست الملك لا تستطيع ان تحكم البلاد بصفة مباشرة ، لذا أعلنت تولية ابن الخليفة الحاكم وهو ابو الحسن على ، الذى لقب بالظاهر لاعزاز دين الله ، وقامت بكل المراسيم الخاصة بتعيين خليفة البلاد (٢٩) وأعلنت توليته فى القصر فى حضور كبار رجال الدولة وكان ذلك فى العاشر من ذى الحجة ، بعد سبعة أيام (٣٠) ، وان ذكر البعض أن هذه المدة أحد وأربعون يوما (٣١) ، وهذا معناه أن ست الملك ظلت تحكم البلاد وتدير شئونها فترة ليست بالقصيرة قبل اعلان وفاة الحاكم وتولية الظاهر ، حقيقة كانت ست الملك هى الحاكمة الفعلية للبلاد حتى بعد تولية الظاهر الذى تولى الخلافة صغيرا ، لذا أخذت تدبر أحوال البلاد فى الداخل والخارج .

وبالنسبة للأحوال الداخلية ، فلقد جمعت أهل مصر وخطبت فيهم ووعدتهم بحسن السيرة والعدل بينهما ، ثم أطلقت للنساء الخروج من منازلهن والتصرف فى أمورهن (٣٢) ، كما استرجعت بعض الأموال والجواهر والاقطاعات ، كان الخليفة الحاكم قد قررها ، وكذلك قطعت بعض الرواتب والأرزاق ، التى لم تكن هناك ضرورة لاستمرارها حفاظا على مالية البلاد (٣٣) .

كما عملت ست الملك على التخلص من كل العناصر التى حامت حولها الشبهات بشأن قتل الخليفة الحاكم أمثال ابن دواس ، الذى استدعته للقصر وأمرت بقتله ، وكذلك الوزير خطير الملك الذى خشيت

(٢٩) انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣٠) المصدر السابق ، ٧ ، ص ٣٦ .

(٣١) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٥ .

(٣٢) المعاذ ، ٢ ، ص ١٢٦ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

نفوذه على الخليفة الظاهر (٣٤) ، ولعل هذا الأمر كان ضروريا ، لاستخلاص الحكم للخليفة الصغير .

أما عن ولي العهد ، عبد الرحيم بن الياس ، الذى كان قد ولى العهد من قبل الخليفة الحاكم عام ١٠١٣/٤٠٤ ، ودعى له على المنابر فى سائر الاقاليم التابعة للخلافة ، ونقش اسمه على السكة والطران والبزود ، وأخذت له البيعة (٣٥) فان ست الملك بعد تولية الخليفة الظاهر ، بعثت لامراء الشام للقبض عليه ، ولكنه لم يهتم بذلك واستولى على دمشق التى كان واليا عليها ، ورخص للناس شرب الخمر والملاهى ، ولكن الجند استطاعوا أن يقبضوا عليه ويرسلوه الى مصر ، حيث حبس فى القصر حتى مات مسموما (٣٦) وليس معنى هذا أن ست الملك قد تدخلت فى نص الخليفة الحاكم ، لأن الحاكم قبل وفاته كان قد غضب على ولي عهده ، لأنه كان يعارض مذهب الخليفة الجديد ، كما أنه كان مكروها ، ولم تكن له صفات الخليفة الحاكم فى البساطة والتقشف ، ولعله عينه خارج البلاد واليا على دمشق عام ١٠١٨/٤٠٩ للتخلص منه (٣٧) .

أما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للبلاد ، فان جميع المكاتبات كانت تصدر عن ست الملك باسم الخليفة الظاهر . لذا أرسلت الى ولاية بلاد الشام تعلمهم بوفاة الخليفة الحاكم وتولية الخليفة الظاهر ، لأخذ البيعة له فى هذه الأقاليم (٣٨) .

(٣٤) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٠ - ٦١ .

(٣٥) يحيى بن سعيد ، ص ٢٠٧ ، انظر . ماجد ، الحاكم ، ص ١٧٨ .

(٣٦) نفسه ، ص ٢٣٤ .

(٣٧) انظر . المرجع السابق .

(٣٨) اساط ، ٢ ، ص ١٢٦ ، الكامل ، ٧ ، ص ٣٦ .

كما استطاعت ست الملك أن تسوس أمور الحكم بالنسبة لولاية
الاقاليم التابعين للخلافة ، واستعملت فى ذلك أساليب الحكام الدهاة
فى استخدام الحيلة وتأليب رجل على آخر للتخلص ممن يريد أن
يشق عصا الطاعة على الخلافة الفاطمية . ولقد حدث ذلك لوالى
حلب الذى يدعى فاتك الوحيدى ، عندما أراد العصيان ، فاستخدمت
غلامه بدر وبذلت له العطاء ليقضى عليه ، واستطاع أن يفعل
ذلك باستخدام غلام همدى . لفاتك ، ثم كتب لست الملك يعلمها بما
جرى ، فبعثت له بالخلع وهبته جميع ما خلفه الوالى وقلدته ولاية
حلب (٣٩) .

أما بالنسبة للعلاقة الخارجية على المستوى الدولى ، وخاصة
بدولة الروم البيزنطية التى كانت تحاول دائما استرداد بلاد الشام
ولقد حدث على أثر ذلك مواجهة بين الجيشين ، وكان لانتصار جيش
ال خليفة العزيز بعد وفاته ، أن عقد برجوان وصى الخليفة الحاكم
الصلح مع الروم عام ٣٨٩ / ١٠٠٠ (٤٠) لمدة عشرة سنوات، ولكن عند
فقد الخليفة الحاكم خشيت ست الملك من باسيل الثانى Basilio 11
أن ينقض الصلح خاصة أنه هدد بقطع العلاقة بينهما وهدد بمهاجمة
الفاطميين ، فسارعت ست الملك حتى تعمل على عقد أوامر الصداقة
بين الدولتين ، وحتى تخبره بما أقدمت عليه من اجراءات لتحرير
النصارى ، وحماية أموالهم وأرواحهم وتجديد الكنائس ، وخاصة
كنيسة القيامة بعثت نيقفور بطريرك بيت المقدس على رأس السفارة

(٣٩) النجوم ، ٤ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، المصدر السابق ، ٢ ،
ص ١٢٩ - ١٣٠ .
(٤٠) يحيى بن سعيد ، ص ١٨٤ ، انظر . ماجد ، الحاكم ،
ص ١٣٢ - ١٣٣ .

من غير مكاتبة مما جعل باسيل الثانى ينقض هذا الاتفاق بعد وفاة ست الملك اثناء وجود البطريرك فى القسطنطينية(٤١) .

واذا انتقلنا الى سياسة ست الملك نحو اهل الذمة ، نجد أنها كانت تتسم بالتسامح الدينى ، لاسيما تجاه النصارى لأن أمها كانت سيدة مسيحية ، ولقد بدأ دور ست الملك مبكرا منذ أيام الخليفة العزيز، عندما شكوا اليها المسلمون مدى سطوة اليهود والنصارى فى البلاد . فامر بالقبض على منشأ اليهودى والمتصرفين من اليهود بالشام وكذلك القبض على عيسى بن نسطورس وزملائه الكتاب النصارى ، ورد الأعمال بالدواوين الى الكتاب المسلمين ، فلجأ عيسى بن نسطورس الى ست الملك لتشفع له عند الخليفة ليصفح عنه ويعود الى وظيفته(٤٢) . وكذلك أيام الخليفة الحاكم عندما شكوا اليها أحد النصارى العاملين بخدمتها من ظلم ابن النحوى متولى ديوان الشام، فأخبرت الحاكم بذلك وتم التخلص من ابن النحوى لترفع الظلم عن النصارى(٤٣) .

وبعد اختفاء الخليفة الحاكم ، وقيامها بتدبير شئون البلاد ، لم تتعرض لرجال الدين من اهل الذمة ، كما لم تتدخل فى الاجراءات الخاصة بانتخاب البطارقة ، وترك الأمر للقساوسة والأساقفة فى الكنيسة ، وكان دورها يقتصر فقط على مباركة تعيين البطريرك الجديد وتستقبله فى القصر وتقدم له الهدايا والتحف التى كانت لديها من خالها البطريرك الأسبق أرسانى (ارسانيوس) ، كما سمحت للنصارى ببناء الكنائس ، وعلى الرغم من ذلك كانت تحصل على

(٤١) نفسه ، ص ٢٤٣ .

(٤٢) 'الازدى' ، ص ٤١ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٤٩ .

(٤٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٦٠ .

الرسوم والخراج المقرر على الكنائس ، والتي أمر الخليفة الحاكم من قبل بالمسامحة فيه(٤٤) . وهذا يدل على تدبيرها لأمر الدولة بحنكة وقدرة فائقة ، إذ أنها وضعت مصلحة الخلافة فوق كل اعتبار .

وتوفيت ست الملك بعد أن ظلت تحكم البلاد طيلة أربع سنوات في أواخر عام ٤١٤/ ١٠٢٣ - ١٠٢٤ (٤٥) عن خمسة وخمسين عاما ، كما يذكر البعض أنها توفيت في عام ٤١٥/ ١٠٢٤ (٤٦) وإن كانت قد عاشت بعد فقد الحاكم أربع سنوات كما يذكر البعض(٤٧) .

-
- (٤٤) يحيى بن سعيد ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٤٥) العيني ، تاريخ . ورقة ٧٢٢ ، انظر . حنان الحاكم بأمر الله ، ص ١٣٦ .
(٤٦) العاقل ، ٢ ، ص ١٧٤ ، بدائع الزهور ، ١ ، ص ٥٨ .
(٤٧) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٦١ ، ابن العبري ، ص ٣١٣ .

الفصل الثاني

الملكة أم المستنصر

- (أ) أسباب سيطرة أم المستنصر على الحكم
- (ب) تدخلها في الشؤون الداخلية للبلاد
- (ج) مساندة العبيد وتدهور أحوال البلاد

تعتبر أم الخليفة المستنصر تانى الشخصيات النسائية التى لعبت دورا سياسيا كبيرا فى شئون البلاد اثر الى حد كبير فى اضطراب احوال الخلافة من مجاعات وثورات فى الداخل وتقويض لممتلكات الفاطميين فى الخارج على أيدي الفرنجة ، حتى سقطت الخلافة فى النهاية عام ١١٧١/٥٦٧ .

وأم المستنصر وتدعى السيدة رصد (١) ، كانت جارية سوداء تحظاها الخليفة الظاهر فولدت له المستنصر الذى تولى الخلافة صغيرا (٢) ، مما مهد لها الطريق للسيطرة عليه وأحاطت نفسها بعدة مظاهر تؤكد ذلك فأتخذت العلامة للتوقيع على الأوراق الرسمية ، وكانت علامتها « الحمد لله ولى كل نعمة » (٣) . ولعلها أول علامة ذكرت المصاير لامرأة فى تلك الفترة ، وليس معنى هذا أن أم المستنصر أول من اتخذت العلامة من النساء ثم اعتبر تقليدا بعد ذلك بدليل وجودها لبعض النساء (٤) . حقيقة ان ست الملك قامت بدور سياسى هام ومع ذلك لم تذكر المصادر أنها اتخذت العلامة وذلك

-
- (١) العاظم ، ٢ ، ص ١٨٤ . ولو أن المقرئ ذكر أيضا ان أم الظاهر تدعى رصد ، الخطوط ، ٢ ، ص ٤٦٠ .
(٢) ابن ميسر ، ص ١ ، نفسه ، ١ ، ص ٣٢٥ .
(٣) سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ .
(٤) نفسه سجل رقم ٢٨ ، ص ١٦ ، ٣٥ ، ص ١٠٩ .

ربما راجع الى قصور المصادر التاريخية الى جانب أن المصدر الوحيد الذي ذكر تلك العلامات اقتصر على الفترة التي حكم فيها المستنصر والمستعلي .

كما كانت أم المستنصر تتلقب بعدة القاب تدل على أهميتها مثل السيدة ، الملكة (٥) وكانت تخاطب من قبل الخليفة المستنصر وكبار رجال الدولة بمولاتنا (٦) ويشار اليها بالجهة الجليلة والسيتر الرفيع (٧) ، فضلا عن ذلك كان لها ديوان خاص بها لإدارة شئونها وهي ربما ممتلكات كثيرة أو لعلها كانت تمارس نشاطا تجاريا أتاح لها ثروة هائلة ، فكان لها خزائن خاصة بها ، ولكن سرعان ما تحول هذا الديوان الى مقر للحكم لها من دون الخليفة (٨) وكان بهذا الديوان موظفون كثيرون منهم من يوكل لأعمالها وإن كانت أهم شخصية في هؤلاء الموظفين هو رئيس الديوان بالإضافة الى ذلك كونت فرقة من العبيد خاصة بها عدتها خمسون ألفا (٩) .

ولعل الذي سمح لها بذلك السيطرة ليس فقط صغر سن الخليفة الذي تولى الخلافة وهو دون الثماني سنوات ، فغالبية الخلفاء قد تولوا الخلافة في سن صغيرة ولاسيما في العصر الفاطمي (١٠) الثاني ، ومع ذلك لم تظهر شخصيات نسائية طغت مثل أم المستنصر وذلك لأن هناك عدة عوامل قد تضافرت لتهيئ لأم المستنصر السيطرة

-
- (٥) نفسه ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ .
 - (٦) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٠٦ ، سير الأبناء ، ٣ ورقة ٨٨ .
 - (٧) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ ، ٨٩ .
 - (٨) انظر ، ماجد ، المستنصر ، ص ٢٣ .
 - (٩) الخطط ، ١ ، ص ٣٣٥ .
 - (١٠) النجوم ، ٥ ، ص ١ ، تولى الخليفة الأمر الخلافة وعمره خمس سنوات وكذلك الفائز وعمره لا يتجاوز ثلاث سنوات . نفسه ، ١ ، ص ٣٥٧ .

على الحكم ، ولعل منها ضعف شخصية المستنصر مما أتاح لها الفرصة أن تحكم دونه ، ولكن هذا أيضا كان السمة الغالبة لبعض الخلفاء مما أدى الى سيطرة الوزراء عليهم ، ولكن الأهم من ذلك هو خلو تلك الفترة ، التي سيطرت فيها أم المستنصر والتي امتدت من عام ٤٣٦/١٠٤٥ الى عام ٤٦٢/١٠٧٠ من وجود شخصيات قوية وهي التي تتمثل في الوزارة وكان من الممكن أن تحد من تدخلها فهذه الفترة محصورة بين وفاة الجرجرائي (١١) ، ذلك الوزير الذي كان له من النفوذ الواسع بحيث لم يعطها الفرصة هي وغيرها للسيطرة ، وظهور ناصر الدولة بن حمدان قائد الجيش وزعيم الأتراك الذي أوقف تدخلها في شئون الحكم (١٢) .

ومع ذلك فلقد وجدت شخصيات أثرت الى حد كبير في تصرفات أم المستنصر ، ومن أهمها أبو سعد إبراهيم بن سهل التستري (١٣) ، وهو من أسرة يهودية أسلمت منذ أيام الحاكم ومارست أعمال التجارة والصيرفة ولقد استخدم الظاهر أبا سعد هذا في شراء ما يحتاجه وكان من بين ما باعه له هذه الجارية التي أصبحت زوجة خليفة وأم خليفة ، ولذلك رفعت التستري الى خدمتها ، ربما رغبة منها لرد الجميل فعينته رئيسا لديوانها ، ولعل التستري هو السبب في توجيه أنظار أم المستنصر للسيطرة على الخليفة وما يؤكد ذلك

(١١) هو أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي أصله من العراق . اسفل عند ست الملك ثم في ديوان الانشاء ومزل من منصبه لفك أحد الشكاوى ثم عاد مرة أخرى وتولى الوزارة للظاهر ٢٨/٤١٨ . وظل فيها بعد ما تولى المستنصر الخلافة حتى توفي ١٠٤٥/٤٣٦ .

(١٢) العيني ، تاريخ ، ورقة ٢٤٣ ، انظر . ماجد ، المستنصر

ص ١٧٨ .

(١٣) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٤ .

أن كلا من أم المستنصر والتستري لم تظهر أطماعهما إلا بعد وفاة الجرجرائي .

أما الشخصية الثانية التي سيطرت على أم المستنصر فتمثلت في أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن والذي اشتهر باليازوري (١٤) ، وهو أصلا من أهل يازور من أعمال الرملة بفلسطين تولى القضاء فيها بعد أبوه ولكنه مالبث أن عزل ، فجاء إلى مصر محاولا إعادته مرة أخرى للقضاء ، ولكن الظروف ساعدته في الوصول إلى خدمة أم المستنصر ولقد كان كلا من التستري واليازوري لهما تطلعات استطاعا أن يحققاها من خلال أم المستنصر ولذلك لم يحاولا الحد من تدخلها في شئون الحكم ، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للوصول كل منهما إلى غايته ولكنهما سيطرا عليها بطريق غير مباشر .

إلى جانب ذلك كان لاعوانها من الرجال والنساء دخل كبير في سياستها (١٥) ، فضلا عن ذلك التصارع من أجل السلطة جعل كل وزير يأتي للوزارة يحاول أن يتقرب إليها وذلك عن طريق الاساءة لمن سبقه ولمن حوله وإذا أضفنا إلى ذلك قوة شخصيتها ورغبتها الأكيدة في السيطرة ، نستطيع أن نؤكد أن كل هذه العوامل في مجموعها قد يسرت لأم المستنصر التدخل في شئون الحكم ، ولما كانت لا تتسم بصفات تؤهلها للحكم لمصلحة البلاد كما فعلت ست الملك من قبل ، لذا جاء تدخل أم المستنصر عشوائيا ، إذ كانت تتحرك بأهواء من حولها وهذا يتضح من خلال تدخلها في شئون الوزارة

(١٤) ابن ميسر ، ص ٨ ، رفع الامر ، ١ ، ص ١٩١ .

(١٥) السيرة المؤيدية ، ص ٦٤ .

والقضاء والدعوة ، ثم تفضيل بنى جلدتها من العبيد على بقية فرق الجيش مما أدى الى فتنة أدت الى اضطراب احوال البلاد .

وأول من تعرض لسياسة أم المستنصر الخرقاء فى الوزارة أبو على بن الانبارى ، الذى تولى الوزارة بعد الجرجرائى ولقد عزنته عن الوزارة قبل أن يتم العام (١٦) وذلك بتحريض من التستري لسوء العلاقة بين ابن الانبارى وأبى نصر أخى التستري ، فطلبت من ابنها أن يعزله ، ولم تكف أم المستنصر بعزل ابن الانبارى بل قبضت عليه واتهمته بسرقة الأموال ثم أودعته السجن فى خزانة البنود ، ولعل السبب الآخر فى عزله راجع لرغبتها فى التخلص من كل الذين كان لهم علاقة بالوزير السابق .

ثم تولى الوزارة بعد ذلك أبو منصور صدقة الفلاحى بايعاز من التستري ، وهذا أمر طبيعى فهو يهودى مثله قد أسلم (١٧) ، الى جانب ذلك استطاع أن يعين أخاه رئيسا لديوان الخليفة وابنه امرة الدواوين (١٨) ، وبذلك أصبح التستري مسيطرا على الخليفة والخلافة ، حتى كان الناس يحلفون وحق النعمة على بنى اسرائيل (١٩) مما يدل على ما وصل اليه التستري وأسرته ولما كان

(١٦) الخطط ، ١ ، ص ٤٢٤ .

(١٧) ابن ميسر ، ص ، سير الاء ، ٣ ، ورقة ٧٤ .

(١٨) انارة ، ص ٣٨ ، نفسه ، ص ١ .

(١٩) نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٤ ولقد عبر الشامر المصرى ابن الجواب

مما وصل اليه اليهود بقوله :

يهود هذا الزمان قد بافوا	فاية آمالهم ، وقد ملكوا
العز فيهم ، والمال عندهم	ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر : قد نصحت لكم	تهودا ، فقد تهود الفلك

حسن الحاضرة ، ٢ ، ص ١١٦ ، انظر .

Mann, The Jews in Egypt, I. P. 6.

هدف التستري من تعيين وزير من قبله ، هو محاولة الحكم من دونه وهذا ما تم له ، فلم يترك للفلاحى من الوزارة سوى الاسم فقط ، لذا عمل الفلاحى على التخلص من التستري بأن حرض الأتراك على قتله فى عام ٤٣٩/١٠٤٧ (٢٠) . وكان يبغي من وراء ذلك التقرب من أم المستنصر ، التى سرعان ما صرفته عن الوزارة وتم قتله (٢١) .

ثم تولى الوزارة بعد الفلاحى ، أبو البركات الحسين بن عماد الدولة الجرجرائى بمشورة اليازورى (٢٣) ، وعلى الرغم من ذلك حدثت معاداة بينهما ، اذ يبدو أنه كان لابد من وجود عداة بين الوزير القائم ورئيس ديوان الملكة ، كما حدث من قبل بين الفلاحى والتستري ، وهذا يرجع الى أهمية وظيفة رئيس الديوان ، اذ ان الخدمة فيه وصفت بأنها باب الملك (٢٣) وأجل الخدم (٢٤) وكان الوصول لهذه الوظيفة يأتى عن طريق تقديم الرشوة والهدايا للمحيطين بالسيدة الملكة وكذلك عن طريق الاتصال ببعض النساء والمقربات اليها من حظايا القصر (٢٥) ، وعلى الرغم من ذلك كان الكتاب المصريون يعزفون عن الخدمة فى هذا الديوان (٢٦) ، ولما كان اليازورى قد سعى الى الخدمة فى ديوان الملكة بشتى الطرق بعد رفض الكثيرين له فكان لذلك نتائج مؤثرة بالنسبة لليازورى ، فلقد ازداد نفوذه بشكل ملحوظ فكان لا يقوم لأحد بأمر من الملكة الا رفق

-
- (٢٠) اعاظ ، ٢ ، ص ١٩٥ .
(٢١) المصدر السابق ، ٢٦ ورقة ٦٥ .
(٢٢) رفع الامر ، ١ ، ص ١٩٢ .
(٢٣) نفسه ، ١ ، ص ١٩٣ .
(٢٤) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٢٠٦ .
(٢٥) المصدر السابق ، ١ ، ص ١٩١ .
(٢٦) السيرة المؤيدية ، ص ٨٧ .

المستنصرى وكيل أم المستنصر الذى كان سببا فى وصوله (٢٧) ، كما أن اليازورى كان يشير على الخليفة فى أموره ، لذلك كان الخليفة لا يخاطب الوزير الا على لسانه مما أدى الى قلق الوزير الذى عمل على ابعاد اليازورى عن خدمة أم المستنصر وذلك بأن سعى له فى أن يتولى القضاء واستعمل فى ذلك الحيلة ، فأخذ يعرض بأحكام القاضى قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ويصف اليازورى بالعقل والمعرفة والانصاف (٢٨) .

وعلى الرغم من علم أم المستنصر بحيلة الوزير الا أنها دبرت الأمر لليازورى وذلك رغبة منها فى أن يحتفظ اليازورى بوظيفة رئيس ديوانها الى جانب القضاء حتى تمهد له الطريق للوزارة ، فسعت فى عزل الوزير أبى البركات من الوزارة وقبضت عليه ونفخته الى الشام (٢٩) ، وبذلك تهيأت الظروف ، لأن يتولى اليازورى الوزارة ، ولكن بطريق غير مباشر ، فعينت أم المستنصر أبا الفضل مسعود واسطة وهى رتبة أقل من الوزير وذلك فى عام ٤٤١ - ١٠٤٩ (٣٠) ، ثم سرعان ما عزلته وبذلك أصبح من السهل أن يتولى اليازورى الوزارة ، وعلى الرغم من رغبته فى الوزارة الا أنه ، أظهر فى أول الأمر عدم موافقته ، ولم يوافق على قبولها الا بعد تشجيع قائد الجيش ناصر الدولة بن حمدان له (٣١) .

ولم يقتصر تعيين اليازورى على الوزارة ، بل أضيف اليها القضاء والتقدمة على الدعاة ، هذا فضلا عن احتفاظه بوظيفة رئيس

(٢٧) رفع الامر ، ١ ، ص ١٩٢ .

(٢٨) المناظ ، ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٢٩) نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٥ .

(٣٠) الاشارة ، ص ٣٦ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٥٦ .

(٣١) انظر . ماجد ، المستنصر ، ص ٢٩ .

ديوان أم المستنصر ولكن بعد أن مكث في الوزارة ثماني سنوات ظهر له منافس هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، الذي اتهم اليازوري أمام الخليفة بعدة تهم من أهمها اتصاله بأعداء الخلافة الفاطمية في العراق ، ثم جمعه للثروات الهائلة من خلال وظائفه ، في حين أن اليازوري كان سببا في تعيين البابلي هذا في دواوين الخليفة ، كان البابلي سببا في صرف اليازوري عن الوزارة ونفيه خارج القاهرة (٣٢) ، ثم قتله ، وهذا يبين مدى التصارع الدائر من أجل منصب الوزارة في ذلك الوقت . ولم تعمل أم المستنصر على إيقاف ذلك ، ولعلها هي أيضا قد خشيت من نفوذ اليازوري الذي اتسع واقتصر تدخلها فقط على الأمر بتكفينه ودفنه بعد أن ترك جسده في الطريق (٣٣) . ولقد حدث لليازوري مثلما حدث للتستري من قبل وكان من تعلق بخدمة أم المستنصر كان لزاما عليه أن يلقي نفس المصير البشع ، ولعل ذلك راجع لأن من يعمل بخدمتها يدرك أنه من السهل أن يقدم على أشياء ضد مصالح البلاد ويثرى على حسابها وهو مطمئن إلى أنه يستند إلى خدمة امرأة قد سلبت ابنها كل مظاهر الحكم ، وأخذت تحرك الأحداث بدون وعي كما أنها تحرك الوظائف ومعها الرجال .

وكان لموت اليازوري أثر كبير بالنسبة لأم المستنصر التي لم تجد من يدير شئونها ، ولذا بعد أن تولى البابلي الوزارة ، مكث فيها عدة أشهر ثم صرف وتبعه سلسلة من الوزراء طوال المدة من قتل اليازوري حتى إبعادها عن شئون الحكم ٤٦٢ / ١٠٧٠ عددا كبيرا من الوزراء ، وكان الوزير يمكث في الوزارة شهرا أو أياما كما كان

(٣٢) رفع الأمر ، ١ ، ص ١٩٧ .

(٣٣) ابن ميسر ، ص ٨ .

الوزير يعزل من منصبه ثم يعود إليه عدة مرات (٣٤) وهذا يدل على مدى سوء تدخلها في شئون الحكم .

أما القضاء فلم يسلم هو الآخر من تدخل أم المستنصر وسارت على نفس سياستها تجاه الوزارة ، في أن يتولى القاضي القضاء عدة مرات (٣٥) وكانت تولية القضاء وعزلهم أمرا مألوفا ، وكان القاضي أحيانا يعود إلى وظيفته مرة أخرى بعد أن يتوسط نساؤه لدى أم المستنصر أو بتدخل بعض وجوه نساء القصر ، اللاتي يتشفعن له عندها أيضا (٣٦) . وأصبح القاضي لا يهتم بمنصبه فكان يحضر نائبا عنه والنائب هو الآخر يأتي عنه نائب (٣٧) وهذا دليل على مدى الاستهتار واللامبالاة .

وكذلك الدعوة لم تكن أحسن حالا من الوزارة والقضاء فكان أعوان أم المستنصر يمنعون الدعاة من مقابلة الخليفة (٣٨) ، وكانت وظيفة داعي الدعاة تعطى لمن لا يستحق ، وأحيانا كانت تجمع الوزارة والقضاء ، والدعوة في يد رجل واحد وهذا أقل دليل على مدى الاستهتار بتلك الوظائف العليا . كما كان أحيانا يتم عزل الداعي أو القاضي عن منصبه ثم يعود نائبا وهذا ما حدث للقاضي القاسم بن عبد العزيز بن النعمان ، الذي عزل عن القضاء والدعوة ثم عاد نائبا لليازوري عام ٤٤٢/١٠٥٠ في حين أنه هو الذي كان قد عزل

(٣٤) انظر . ماجد ، المستنصر بالله ، ص ٣٢ .

(٣٥) السيرة المؤيدية ، ص ٩١ .

(٣٦) رفع الاصر ، ٣ ، ورقة ٣٤ ، انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ،

١ ، ص ١٤٦ .

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣٨) نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٦٦ .

اليازورى من قبل عن قضاء يازور وكان رجوع ابن النعمان بعد تدخل بعض عجائز القصر من عزيزيات وحاكميات وكذلك نسائه .

كما أدى تغير الولاة فى الاقاليم التابعة للدولة نتيجة تدخل أم المستنصر واعوانها الى تفكك امبراطورية الفاطميين وتقوقعها فى مصر ، ومع ذلك فلقد شاركت أم المستنصر فى عقد حلف مع ميخائيل الرابع عام ١٠٣٨/٤٢٩ ، الذى كان يسعى هو الآخر الى عقد مصالحة فى مصر لاعادة بناء كنيسة القيامة (٣٩) ، كما تشير السجلات المستنصرية (٤٠) الى ان أم المستنصر راسلت السيدة أروى ملكة اليمن ، ومما يسترعى الانتباه ان مشاركة أم المستنصر فى السياسة الخارجية قد جاءت قبل وبعد تلك الفترة التى سيطرت فيها على شؤون الحكم بصورة فعلية ، وهذا يجعلنا نظن ان نشاطها قد استمر بعد عام ١٠٧٠/٤٦٢ اذ ان هذا السجل يرجع الى عام ١٠٧٨/٤٧١ ، وان كان هذا النشاط السياسى بسيطا .

واذا انتقلنا الى الفتنة التى وقعت بين طوائف الجيش وخاصة الأتراك والعبيد ، نجد أنها كانت نتيجة لتدخل أم المستنصر وتقضيل بنى جلدتها من العبيد على بقية طوائف الجيش المختلفة (٤١) . ولقد وقعت هذه الفتنة فى البلاد عام ١٠٦٣/٤٥٤ بعد حادث شخصى وقع بين

(٣٩) اعاضد ، ٢ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤٠) سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤١) كان الفاطميون يعتمدون على شدة طوائف فى الجيش منها طائفة المغاربة وطائفة الحجرية من أهل البلاد أو من المماليك وطائفة الديلم والأتراك وطائفة السود ومنهم نوعان الزوج وعبيد المشراء أو الشرى وطائفة البدو ، وأخيرا استخدوا المصريين ، الذين عرفوا باسم السرائيين . انظر ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ، صفحات ٣٦٩ - ٣٧٤ ، نظم الفاطميين ، ١ صفحات ١٩٥ - ٢٠١ .

أحد الأتراك الذى جرد سيفاً على أحد العبيد وهو سكران ، فاجتمع العبيد على التركى وقتلوه ، هذا النزاع الذى تفاقم بشكل خطير فيما بعد لم يكن وليد ساعته، إنما كانت له أسباب ترجع الى استكثار أم المستنصر من العبيد ورفع مكانتهم وبسط الأرزاق لهم حتى سار العبد يحكم حكم الولاة (٤١) ، وفى الجانب الآخر كانت تظهر كراهيتها للأتراك ، ولقد اتبعت فى ذلك تحريض الوزراء على فعل ذلك ، وكان أحياناً يصرف الوزير عن الوزارة عندما يرفض تنفيذ ما ترضاه (٤٢) وهى التفرقة بين طائفتى العبيد والأتراك ، ولقد ساهم أحد الوزراء وهو الفلاحى فى اتساع هذه الفجوة بين الطائفتين بأن أنقص عطاء الأتراك وزاد فى رواتب كل من العبيد والمغاربة حتى يحرض الأتراك بطريق غير مباشر على قتل التسترى (٤٣) .

بينما عمل اليازورى على أن يسوس الأمور بين الطائفتين (٤٤) ، إلا أنه عندما تولى البابلى الوزارة شرع فى إيجاد الخصومة بين الطائفتين عندما أمرته الملكة بذلك رغبة منه فى التقرب منها (٤٥) ، ولأسيما أنه تولى الوزارة بعد اليازورى أكبر معين لها . ولذلك كان هذا الحادث الشخصى البسيط بمثابة تفجير للموقف ومع ذلك أنكر الخليفة المستنصر موقف العبيد فقامت الحرب بين الطائفتين وقتل الأتراك جماعة من العبيد ناحية كوم شريك القرية من الاسكندرية (٤٦) .

(٤١) ابن ميسر ، ص ١٤ .

(٤٢) نفسه .

(٤٣) المعاذ ، ٢ ، ص ٢٦٦ ، النجوم ، ٥ ، ص ١٩ .

(٤٤) نفسه .

(٤٥) نفسه ، نهاية الارب ، ٢٦ ورقة ٦٧ .

(٤٦) ابن ميسر ، ص ١٦ - ١٧ ، الكامل ، ٨ ، ص ١١٥ ، المعبر ، ٤ ،

ص ٦٣ .

ومما ساعد على اشتعال هذه الفتنة ، هو مساعدة أم المستنصر للعبيد بالمال والسلاح (٤٧) ، وعلى الرغم من محاولة الصلح بين الطائفتين من قبل الوزير أبو الفرج المغربي الذي تولى الوزارة عام ٤٥٢/١٠٦٠ (٤٨) ، إلا أن العبيد عادوا للاجتماع مرة أخرى لحرب الأتراك وخرجوا الى دمنهور ، ثم قويت شوكة الأتراك وطلبوا الزيادات فى واجباتهم ، فى حين ساءت أحوال العبيد لأن الأتراك منعوا أرزاقهم (٤٩) ، ومع ذلك لم تتراجع أم المستنصر عن موقفها من مساندة للعبيدة ، الذين ما لبثوا ان اجتمعوا بالجيزة ثم انهزموا الى الصعيد ، فسار وراءهم الأتراك وتغلبوا عليهم (٥٠) .

وعلى الرغم من وقوع البلاد فى تلك الاضطرابات نتيجة سياسة أم المستنصر ، إلا أنها لم تحاول بعد اشتعال الموقف بهذه الصورة أن تعمل على تهدئة لصالح الخلافة بل استمرت فى معاندة الأتراك عندما جاءوا للخليفة فأخرجت من عندها من العبيد لتفتك بالأتراك مما أدى الى وقوع الحرب ثانية بين الطائفتين (٥١) ، حتى تم لناصر الدولة بن حمدان زعيم الأتراك التغلب على العبيد ، وكان لابد أن يوقف نشاط أم المستنصر الذى أدى الى وقوع تلك الفتنة ، فقبض عليها وعاقبها وأخذ أموالها (٥٢) ، وقيل انها فرت الى بغداد وذلك مستبعد نتيجة للخلاف المذهبى بين الفاطميين والعباسيين .

وبذلك يتضح أن أم المستنصر تدخلت فى كل شىء وكان الخليفة

(٤٧) العيني ، تاريخ ، ورقة ٢٠٥ ، الخطط ، ١ ، ص ٣٣٥ .

(٤٨) المصدر السابق ، ٢٦ ، ورقة ٦٧ .

(٤٩) ابن ميسر ، ص ١٦ ، اتعاظ ، ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٥٠) الكامل ، ٨ ، ص ١١٦ .

(٥١) المصدر السابق ،

(٥٢) المصدر السابق ، ٢ ، ص ٣٠٧ ، العيني ، تاريخ ، ورقة ٢٨١ .

المستنصر ربما له الجاذب الشكلي فقط من الخلافة في أن تأمره بعزل أو تولية من تريد في الدولة ، فضلاً عن ذلك لم تترك له المظاهر البسيطة للخلافة ، فكان المستنصر إذا تولى بطريك جديد من بطارقة النصاري ، فكان لابد أن يستقبله في القصر ، فكانت أم المستنصر تحضر ذلك الاستقبال ، ربما تبركا (٥٣) وإن كان في الحقيقة رغبة منها في السيطرة على كل المظاهر المحيطة بالخليفة ، فكان المستنصر ليس له حول ولا قوة مع أمه وعندما حاول ذات مرة أن يباشر سلطته في الحكم بمحاولة أن يحاسب رجال الدولة عن تصرفاتهم حتى أدى به أن يعرض بأحد الوزراء والقضاة وهو ابن كدينة الذي تولى الوزارة حوالى سبع مرات (٥٤) ، فتدخلت أم المستنصر وأمرت ابنها بتركه ، بل وأكثر من ذلك أهانته على ما فعل باعتبار أنه أقدم على شيء بدون أن يستشيرها ، وكان ذلك سبباً في اعتكافه (٥٥) ، الذي لم يستمر ، لأن أمه بعثت من يخوفه من هذا التصرف ، ولذلك عاد المستنصر إلى سيطرة أمه لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً أمامها هي وأعوانها .

ومن ذلك يتضح ، أن تدخل أم المستنصر في شؤون الحكم وقد مهد لفترة جديدة تميزت بالضعف ، نتيجة لما حدث من مجاعات وثورات داخلية كان لأم المستنصر اليد الطولى فيها .

(٥٣) سير الأباء ، ٣ ، ورفات ٨٨ - ٨٩ .

(٥٤) انظر . ماجد ، المستنصر ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥٥) مرآة الزمان ، ١٢ ، القسم الأول ورقة ١٠٢ .

الفصل الثالث

نساء العصر الفاطمي الثاني

(أ) اثبات أحقية المستعلي في الخلافة

(ب) تدبير المؤامرات ضد الوزراء

تميز العصر الفاطمي الثاني بظهور بعض الشخصيات النسائية،
التي شاركت بشكل محدود في الأحوال السياسية للبلاد ، ولقد جاء
دورهن مختلفا عن الدور الذي قامت به كل من ست الملك وأم المستنصر
حيث الخلافة قوية فبرزت شخصية المرأة القوية ، التي تستطيع أن
تشارك في سياسة البلاد ، وإن كان دور كل من ست الملك وأم
المستنصر مختلفا عن الآخر كما أسلفنا .

أما العصر الثاني فكانت السمة الغالبة على نسائه من
الفاطميات هو تدبير المؤامرات للتخلص من الوزراء ولاسيما في
الفترة الأخيرة قبل سقوط الخلافة الفاطمية ، وهذا راجع الى الظروف
المحيطة بالبلاد من اضطرابات سياسية في الداخل ووجود الفرنجة
وخطرهم الذي يهدد البلاد والأزمات الاقتصادية المتلاحقة (١) ، فضلا
عن ضعف شخصية الخلفاء واستبداد الوزراء بهم ، كل هذه الظروف
أعطت فرصة لنساء ذلك العصر أن يتدخلن ولكن بصورة تتسم
بالضعف وذلك عن طريق الاعتماد على رجل قوى ضد آخر للابقاع
بالوزراء ، وهن في ذلك كن يحاولن الحفاظ على الخلافة التي قد
أوشكت على الانهيار ولكن بقدر ما اتاحت لهن الظروف ذلك .

(١) فلقد وقع الغلاء في أيام الخليفة الأمر وفي أيام الخليفة الحافظ
وكذلك الخليفة الفائز ، انظر ، أغانة ص ٢٧ - ٢٨ .

ومع ذلك وجدت بعض الشخصيات النسائية التي اقتصر دورها على المشاركة في الدفاع عن أحقية المستعلى للخلافة ، وكان ذلك نتيجة لتدخل الوزير الأفضل في نص المستنصر (٢) لمن يخلفه مما أدى الى وقوع خلافات بين أولاد المستنصر ، ولاسيما نزار الأكبر ، الذي فر الى الاسكندرية ، وانضم اليه بعض المعارضين للأفضل وتكونت على اثر ذلك فرقة عرفت بالنزارية مما أدى الى انشقاق في المذهب الفاطمي فيما بعد .

ومن هذه الشخصيات التي لعبت دورا في ذلك المجال السيدة أخت المستنصر ، وإن كانت في السجلات المستنصرية (٣) مرة السيدة أخت الامام وأخرى السيدة ابنة الامام الظاهر مما جعلنا نعتقد أنهما أختان للخليفة المستنصر ، ومما يؤيد ذلك أنها ترد مرة بدون القاب فيما عدا لقب السيدة ، ومرة ترد بعدة القاب ، ولكن من المؤكد أن كلا من أخت المستنصر وابنة الظاهر شخصية واحدة ، إذ أن العلامة الموجودة في كلا السجلين واحدة وهي « الحمد لله ولي كل نعمة ، كما أن السجلين أحدهما يرجع الى عام ٤٧٨ / ١٠٨٥ والثاني الى عام ٤٨٠ / ١٠٨٧ أي أن الفترة متقاربة بينهما ، كما أن كلام السجلين يبدأ بعبارة « عرض بحضرتنا » (٤) وهذه العبارة لا توجد بالنسبة للسجلين الخاصين بكل من أم المستنصر وأم المستعلى (٥) . ولكنها

(٢) والنص دلالة الامام على من يخلفه ، وقد يكون النص بوصية مكتوبة أو شفويا أو حتى بالتلميح . منه انظر . ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ، صفحات ٥٦ - ٦١ .

(٣) سجل رقم ٢٨ ، ص ٩٦ ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .

(٤) نفسه .

(٥) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ - ١١٨ ، سجل رقم ٥١ ، ص ١٦٩ -

١٧٠ .

موجودة ببعض السجلات الخاصة بالخليفة المستنصر (٦) فاشتراكها مع الخليفة في تلك العبارة مع العلم بأن كلمة «الحضرة» (٧) كانت تعتبر من القاب الخليفة تدل على مكانتها وكذلك على اشتراكها في سياسة الدولة الخارجية وأنه كان يعرض عليها بعض الأوراق الرسمية الخاصة بسياسة الدولة، وأيضا تتولى بنفسها الرد عليها وربما البت فيها ، ويبدو ذلك من خلال مراسلاتها مع الملكة الحرة ملكة اليمن وزوجها الملك أحمد المكرم (٨) ، كما يبدو أن أخت المستنصر على علم بمجريات الأمور وسياسة البلاد الداخلية والخارجية .

ولم تذكر المصادر عن أخت المستنصر كثيرا ، ولكنها ربما كانت تصغر الخليفة المستنصر الذي قد عمر طويلا وتوفى وهو في العقد السابع (٩) وعاشت بعده مدة ولكننا لا نعرف وقت وفاتها . كما لم تذكر المصادر إذا كانت أخت المستنصر هذه هي شقيقته من أمه السودانية وإن كان طموحها واتخاذ نفس علامة أم المستنصر ، وكذلك ملازمتها لأم المستنصر (١٠) ، وأكثر من ذلك ما كانت تتمتع به لدى الخليفة المستنصر من منزلة كبيرة حتى ترك لها حق اعلان الخلافة من بعده للمستعلى (١١) ، تدل على أنها شقيقته من أمه السودانية .

وكان ترك المستنصر لأخته حق اعلان الخلافة من بعده ، ربما راجعا للاختلاف القائم بين زوجاته ، وأن كل منهن تريد الخلافة

(٦) نفسه ، رقم ٥ ، ص ٤٣ ، ٥٧ ، ص ١٨٩ ، ٥٨ ، ص ١٩١ .

(٧) انظر . المرجع السابق ، ١ ، ص ٧٧ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) الازدي ، ص ٧٧ ، الخطط ، ص ٣٥٦ ، انظر . ماجد ،

المستنصر ، ص ١٩٤ .

(١٠) سير الأبناء ، ٣ ، ورقة ٨٩ .

(١١) نفسه ، ورقة ١٠٢ .

لولدها(١٢) ، فلعله رغب أن يحل النزاع بعد وفاته ، فوكل هذا الأمر لأخته لما اتصفت به من شخصية قوية وتستطيع أن تحل هذا الموقف ، كما يبدو أن الأفضل وهو الوزير القائم وقتئذ قد اتفق معها على أن تكون لها كفالة الخليفة والدولة(١٣) وهنا تجدر الإشارة الى أن جعل امرأة من أقرباء الخليفة كفيلة له يرجع الى صغر سن الخليفة ، حقيقة لقد توصت ست الملك على الخليفة الحاكم من قبل وكذلك أم المستنصر على ابنها وكان ذلك راجعا لنفس السبب ، ولكن عبارة « كفالة الخليفة » لم تظهر الا في العصر الفاطمي الثاني مع ظهور الوزراء العظام ، فكان ذلك لمحاولة ارضاء أخت المستنصر حتى يتسنى للأفضل بعد ذلك أن يفعل ما يشاء ، ومن الملاحظ أن هذه الكفالة اقتصررت على عمه الخليفة حتى سقوط الخلافة ولم تكن أمه أو أخته ، حتى اذا ماتت العمه الكبرى انتقلت الكفالة للصغرى(١٤) .

ومما يؤيد أيضا أن أخت المستنصر كانت تتمتع بشخصية متميزة ومكانة عالية تلك الألقاب المتعددة ومنها السيدة ، الطاهرة ، الشريفة ، الملكة ، الرؤوف ، الرحيمة(١٥) ، فضلا عن ذلك كانت تخاطب بكلمة « مولاتنا »(١٦) من قبل رجال الدولة ، ولاسيما الأفضل ولقد تقدمت أخت المستنصر باعلان أولاد أخيها لخلافة أحمد الأصغر(١٧) .

وعلى الرغم من أن بيعة الخليفة الجديد قد تمت ولقب بالمستعلى

(١٢) اتعاظ ، ٣ ، ص ٨٦ .

(١٣) العبر ، ٤ ، ص ٦٦ .

(١٤) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٣٩ .

(١٥) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٢ ، ص ١٧١ .

(١٦) اتعاظ ، ٣ ، ص ٨١ .

(١٧) نفسه .

بالله ، الا انه كان هناك تشكك فى أحقيته للخلافة من قبل الفرقة
النزارية ، مما جعل الخلافة تحرص على تأكيد أحقية المستعلى للبلاد
التابعة لها ومن أهمها اليمن وكان السجل مرسلا من السيدة أم
الخليفة المستعلى تشرح فيه كيفية اختيار المستعلى دون اخوته ثم
الاضطرابات التى ترتبت على ذلك من خروج نزار والحرب التى
دارت فى الاسكندرية، وكان هذا السجل بعد قتل نزار عام ٤٨٨/ ١٠٩٦
بعد أن هدأت الأحوال نسبيا فى البلاد فهو يرجع الى عام ٤٨٩/
١٠٩٧ (١٨) .

علاوة على أن هذا السجل يبين لنا مشاركة أم المستعلى فى
السياسة الخارجية والدفاع عن حق ولدها فى الخلافة ، الا انه
يتضمن أيضا علامة أم المستعلى التى اختلفت عن علامة أم المستنصر
وأخته ، وكانت علامة أم المستعلى « الحمد لله على نعمه » (١٩) وكذلك
تضمن القابها الكثيرة مثل السيدة ، الملكة الكريمة ، الرؤوف ،
الرحيمة (٢٠) وهذه الألقاب هى تقريبا نفس القاب أخت المستنصر
والملاحظ أن ذلك السجل يعتبر أطول السجلات التى أرسلت الى ملكة
اليمن ليس فقط من قبل النساء وإنما أيضا من قبل الخليفة
المستنصر (٢١) .

ولقد ظلت النزارية تشكك فى أحقية الخليفة المستعلى فى
الخلافة حتى بعد وفاته ، مما جعل الخليفة الأمر الذى أتى بعده
يؤكد بشتى الطرق أحقية أبيه فى الخلافة وذلك من خلال الرسائل

(١٨) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ - ١١٨ .

(١٩) سجل رقم ٣٥ ، ص ١٠٩ .

(٢٠) نفسه .

(٢١) انظر . السجلات المستنصرية .

والسجلات (٢٢) والذي يهمننا من ذلك هو ظهور شخصية أخت نزار ،
التي اعتمد عليها الخليفة الأمر في تسجيل ما تعرفه عن نص الخليفة
المستنصر ، إذ أنها قد عاصرت تلك الأحداث ، وعلى الرغم أن
المصادر لم تذكر عنها سوى اشتراكها في ذلك الاجتماع الذي أدلت
فيه باعترافاتها قبل كتابة السجل بأيام ، ولكن من خلال تلك
الاعترافات التي ذكرتها يتضح أنها كانت قريبة من الخليفة المستنصر
بحيث طالما صرح لها في اختيار ابنه أحمد ليتولى الخلافة من
بعده . وكذلك أن الأمور الخاصة بالخلافة ومنها تولية خليفة جديد
كانت تشغل من حول الخليفة من النساء .

ولما كانت الفترة الفاطمية الثانية تشهد تصارع الوزراء خاصة
بعد موت الأفضل شاهنشاه وسوء الأحوال منذ عهد الخليفة الظاهر
الذي تولى الخلافة عام ٥٤٤ / ١١٤٩ . حتى نهاية الدولة الفاطمية ،
فاستبداد الوزراء ألزم المرأة الفاطمية أن تلعب دورا آخر في سياسة
الدولة وهو التخلص من الوزير القائم عن طريق الاستنجااد بآخر
قوى لتخليص البلاد من ظلمه ، ثم إذا ما بدأ استبداد ذلك الوزير
الجديد سرعان ما ينقلب عليه الأمر وتحاك ضده المؤامرات للتخلص
منه وقتله ، هذه كانت لعبة المرأة السياسية في تلك الفترة التي ذكرت
آنفا . ومن الشخصيات النسائية التي قامت بهذا الدور أخت
الظاهر ، عمة الفائز الصغرى ، عمة العاضد .

وللتخلص من الوزير ابن حصال ساعد أهل القصر ابن
السلار (٢٣) المنافس له في الوزارة على ذلك ، ولكن ابن السلار

(٢٢) انظر . الشيبان ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، ١ ،

ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢٣) منه انظر . Ency of Isl (art Al-'Adil. B. Salār, I, P. 198.

مالبت أن اتسع نفوذه بعد توليه الوزارة وقتل كل من اعترض عليه من المصريين وقواد الجيش ، مما أدى الى ظهور منافس له وهو عباس ولد زوجته بلارة المغربية ، الذى كان قد عين قائدا لحامية عسقلان ، ولكن طمعه فى الوزارة ، جعله يدبر مؤامرة لقتل ابن السلار ، وتم له ذلك عام ١١٥٣/٥٤٨ ، كما أنه عمل على قتل الخليفة الظافر خوفا على ابنه نصر ، الذى كان يخالطه وعلى الرغم أنه ادعى أن أخويه يوسف وجبريل هما ، اللذان تسببا فى قتله ، لكن سرعان ما كشف أمره أحد الخدم الى نساء القصر . فبعثت أخت الظافر - عممة الفائز الى فارس المسلمين أبو الغارات طلائع بن رزيك وكان واليا على الاشمونين والبهنسا بالكتب وفى طيها شعور النساء تستصرخ به على عباس(٢٤) ، الذى ما لبث أن هرب الى الشام .

ولم تقتصر استعانة أخت الظافر بأمراء المسلمين بل استعانت أيضا بالفرنج بعسقلان ليخرجوا على عباس ، وأكثر من ذلك بذلت لهم الأموال وإباحتهم جميع ما معه على أن يبعثوا به الى القاهرة ، واستطاع الفرنج أن يدركوا عباس حتى أسر هو وابنه نصر وبعث الى القاهرة فى قفص من حديد فى عام ١١٥٤/٥٥٠ ، وكان مصير نصر بن عباس القتل بقباقيب نساء الظافر وقطعن لحمه واطعمته اياه الى أن مات ثم صلب(٣٥) .

وبعد أن تولى طلائع بن رزيك الوزارة اتسع نفوذه حتى على أهل القصر ، فعملت أخت الظافر أيضا على التخلص منه وفرقت فى ذلك الأموال ولكن ابن رزيك مالبت أن قتلها عندما علم بحيلتها ،

(٢٤) انباط ، ٣ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢٥) نفسه ، ٣ ، ص ١٢ ، النجوم ، ٥ ، ص ٢١٠ - ٢١١

ثم نقل كفالة الخليفة الى عمته الصغرى (٢٦) واستمر طلائع بن رزيك فى الوزارة وتم على يديه تولية الخليفة العاضد ، الذى كان صغيرا ، ولذلك استمر ابن رزيك فى التحكم فى الدولة ، واستبد بكل شىء ، كما أخرج كثيرا من الأمراء وفرقهم فى البلاد ليأمن على نفسه ، وحتى يورث الملك لبني رزيك أقدم على تزويج ابنته من الخليفة العاضد (٢٧) .

وكان لذلك أثر كبير على نساء القصر ، فأرسلت عمة العاضد وهى بلا شك عمة الفائز الصغرى اذ ان الفائز والعاضد أولاد عمومة ، فبعثت بالأموال الى الأمراء المصريين مثل الأمير ناصر الدولة ياقوت والى قوص للقيام على ابن رزيك وأخذ الوزارة منه ، فلما علم ابن رزيك بذلك قبض على الأمير (٢٨) ، ولكن عمة العاضد عاودت المحاولة فبعثت لابن الراعى أشد الأمراء المصريين والأمير المعظم بن قوام الدولة صاحب الباب ، واتفقت معه أن يخلى الدهاليز من الناس حتى يتم التخلص من ابن رزيك ، ولكنه أصيب فقط بجراحات مهلكة ، ومما يدل على ضعف الخليفة العاضد ان ابن رزيك طلب منه عمته فأرسلها اليه لينفى علاقته بهذه المؤامرة ، فما كان من ابن رزيك الا أن خنقها (٢٩) ، فى حين يذكر بعض المؤرخين (٣٠) غير ذلك ، أنه

(٢٦) نفسه ، ٣ ، ص ٢٣٩ .

(٢٧) الكامل ، ٩ ، ص ٧٥ .

(٢٨) المصدر السابق ، ٣ ، ص ٢٣١ ، نهاية الارب ، ٢٦ ، ورقة ٩٥ .

(٢٩) المصدر السابق .

(٣٠) نفسه ، ٣ ، ص ٢٥٣ ، النجوم ، ٥ ، ص ٣١٤ .

بعد موت ابن رزيك ، طلبت عمّة العاضد ، التى تدعى ست القصور
رزيك بن الصالح وأحضرت له من قتلته ، كما أنها أحضرت سيف
الدين حسين ابن أخى الصالح وبلغته أنها لم تدر بما جرى على ابن
الصالح وان الذى فعل ذلك أصسحاب أختها المقتولة والتى قتلها
الصالح من قبل ، كما يذكر أيضا أن رزيك بن الصالح هو الذى
قتل عمّة العاضد بناء على اذن من الصالح قبل موته .

والذى يهمنى من ذلك الدور ، الذى قامت به المرأة الفاطمية ،
هو محاولة الدفاع عن عرش أجدادها ، حتى لو كلفها ذلك حياتها .

الخاتمة

على الرغم من أن مجتمع العصور الوسطى الإسلامية ، يعتبر في المقام الأول مجتمع الرجل ، إلا أن المرأة في مصر الفاطمية قد استطاعت أن تؤكد وجودها بقدر ما اتاحت لها الظروف ذلك ، فشاركت في الحياة العامة وحاولت الدفاع عن حقوقها وحريتها ، ولم تكن تلك المرأة مستسلمة للأوضاع القائمة كما يعرف عن هذه العصور .

وكانت المرأة وقتئذ تتألق في كل شيء خاصة ملابسها وحليها ، كما كانت تحرص على اقتناء كل ما هو فاخر وثمين في منزلها ، وذلك بما يتفق وروح العصر ، الذي كانت تعيش فيه ، من بذخ وترف شمل جميع مناحي الحياة .

هذا فضلا عن تأثير المرأة بروح العصر ، الذي غلبت عليه الصفة الدينية ، لذلك كانت المرأة المصرية تحرص على العبادة

والتحلى بالقيم الدينية وكان لمذهب الخلافة الفاطمية أثر هام على
أحوال المرأة •

علاوة على ذلك • كان للمرأة دور فعال فى سياسة الدولة ،
ولكن بما يتفق والظروف التى أحاطت بالبلاد ، لذا جاء دورها أحيانا
مضطربا وبصفة عامة كان هدف جميع النساء الفاطميات ، هو
محاولة الحفاظ على كيان الخلافة الفاطمية فى الداخل والخارج •

ثبت المصادر والمراجع

١ - مصادر عربية مخطوطة

ابن الجوزى (أبو المظفر ، ٦٥٤ / ١٢٥٧) ، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط بدار الكتب الجزءان الحادى عشر والثانى عشر ، رقم ٥٥١ تاريخ .

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين ، ت ٨٥٣ / ١٤٤٩) ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ١٠٥ تاريخ .
الجزء الثالث .

الذهبى (شمس الدين ، ت ٧٤٨ / ١٣٤٨) ، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مخطوط بدار الكتب برقم ٤٢ .

رسائل الحاكم بأمر الله ، كتبها دعاة الفاطميين ، وهى مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم : ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ١٣٣ .

ابن زولاى (أبو محمد ، ت ٣٨٧ / ٩٩٧) ، كتاب فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، مخطوط بدار الكتب برقم ٣٥٩١ تاريخ .

العينى (بدر الدين ، ت ٨٥٥ / ١٤٥١) ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة ، برقم ١٥٨٤ .

- القضاعى (أبو عبد الله ، ت ٤٥٤ / ١٠٦٣) ، عيون المعارف وفنون
 أخبار الخلايف ، مخطوط بدار الكتب برقم ١٧٧٩ .
- ميفائيل الانبا ، ذيل سير الآباء البطارقة ، الجزء الثالث ، مخطوط
 بدار الكتب برقم ٦٤٣٤ ح .
- المسبحى (الأمير المختار عز الملك محمد، ت ٤٢٠ / ١٠٢٩) مخطوط
 بدار الكتب تحت رقم ٣٥٩١ .
- النويرى (شهاب الدين ، ت ٧٣٢ / ١٣٢٢) ، نهاية الأرب فى فنون
 الأدب ، مخطوط بدار الكتب برقم ٥٤٩ معارف عامة .

٢ - مصادر عربية منشورة

القرآن الكريم

- ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، مصر ، ١٩٥٣ .
- ابن الاخوة . معالم القرية فى أحكام الحسبة ، لندن ١٩٣٨ .
- الادريسى . المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من
 كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، تحقيق ، Dozy
 Leyde decoeje ١٨٦٤ .
- الأزدى . (على بن ظافر) أخبار الدول المنقطعة ، من مطبوعات
 المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة مع مقدمة وتعقيب ،
 أندريه فريه ١٩٧٢ .
- ابن الزبير . الذخائر والتحف ، تحقيق محمد عبد الله ، قدمه وراجعه
 صلاح الدين المنجد ، طبعة الكويت ١٩٥٩ .
- أسامة بن منقذ . كتاب الاعتبار أو حياة أسامة ، تحقيق Derenbourg
 طبعة باريس ١٨٨٩ .

- ابن اياس • تاريخ مصر المعروف ببدايئ الزهور فى وقائع الدهور ،
الجزء الأول ، القاهرة ١٨٩٣ - ١٨٩٥ •
- ابن حجر العسقلانى • رفع الاصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٧ •
- ابن خلدون • المقدمة • القاهرة ١٣٢٢ هـ •
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ١٢٧٤ هـ •
- ابن خلكان • وفيات الأعيان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ •
- ابن دقماق • الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، القاهرة ١٨٩٣ •
- الروزارى • (أبو شجاع) ذيل كتاب تجارب الأمم ، تحقيق ،
Amedroz مصر ١٩١٦/١٣٣٤ •
- ابن الزيات • الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة - بولاق ١٩٠٧ •
- ساويرس بن المقفع • تاريخ بطارقة الاسكندرية ، طبعة مصر
١٩٤٣ - ١٩٤٨ •
- ابن الساعى • نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر
والاماء ، تحقيق وتعليق مصطفى جواد ، القاهرة ١٩٦٠ •
- السجلات المستنصرية ، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام
المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه الى دعاة اليمن
وغيرهم قدس الله ارواح المؤمنين ، تقديم وتحقيق عبد المنعم
ماجد القاهرة ١٩٥٤ •
- السيوطى • حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ، القاهرة
١٩٠٩/١٣٢٧ •
- ابن سعيد • النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين
نصار ، دار الكتب ١٩٧٠ •

- المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الأول الخاص بمصر ، تحقيق
زكى حسن / سيدة كاشف ١٩٥٣ .
- أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين ، نشرة عبد الله بن
السعود ، فى جزءين القاهرة ١٢٨٧/١٢٨٨ هـ .
- الشيورى . نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، القاهرة ١٩٤٦ .
- أبو صالح الأرمنى . كنائس وأديرة مصر ، تحقيق وترجمة Elvetts
طبعة اكسفورد ١٨٩٤ .
- ابن الصيرفى . الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله
مخلص ، القاهرة ١٩٢٤ .
- ابن العبرى . (جريجوريوس) تاريخ مختصر الدول ، تحقيق
صالحانى ، بيروت ١٨٩٠ .
- علم الاسلام ، الداعى ، المجالس المستنصرية نشرة محمد كامل
حسين ، القاهرة ١٩٤٧ .
- ابن العماد ، (عبد الحى) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ،
القاهرة ١٣٥٠/١٣٥٣ هـ .
- عمارة اليمنى ، النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، تحقيق
Derenbourg باريس ، ١٨٩٧ .
- ابن العميد ، تاريخ المسلمين ، تحقيق . Erpenius ١٦٢٥ .
- أبوا الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥ .
- ابن القلانسى ، تاريخ ابن الفلانس ، المسمى بذيلى تاريخ دمشق ،
تحقيق Amedroz ، بيروت ١٩٠٨ .
- القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ .

- آل كاشف الغطاء • أصل الشيعة وأصولها ، القاهرة ١٩٥٨ .
- الكندى ، الولاة والقضاة ، تحقيق Guest ، بيروت ١٩١٢ .
- ابن كثير ، (عماد الدين) البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥٨/١٩٥٧ .
- أبو المحاسن (ابن تغرى بردى) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر
والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٣ .
- المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق decoeje
طبعة Leyde ، ١٨٧٧ .
- المقرئى ، (تقي الدين أحمد بن على) ، المواعظ والاعتبار بذكر
الخطط والآثار ، بولاق ١٨٥٣ .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق الشيال
١٩٤٨ .
- اغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق زيادة والشيال ، القاهرة
١٩٥٧ .
- ابن منظور • لسان العرب ، بولاق ١٣٠١ هـ .
- المؤيد فى الدين ، السيرة المؤيدية ، ترجمة حياته بقلمه ، تقديم
وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ .
- ابن ميسر ، أخبار مصر ، تحقيق Massé ، القاهرة ١٩١٩ .
- ناصر خسرو ، سفرنامه ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ١٩٥٤ .
- النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف بن على القاهرة ١٩٥١ -
١٩٦٠ .
- أبى واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق الشيال ،
القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٨ .

يحيى بن سعيد الانطاكي ، تاريخ ، أو صلة كتاب أوتيا Euty chius
المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، تحقيق
شيخو في جزئين ، بيروت ١٩٠٩ .

٣ - المراجع الحديثة

أحمد طه محمد ، المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ، القاهرة
١٩٧٩ .

أحمد عبد الرازق ، المرأة في مصر المملوكية ، القاهرة ١٩٧٥ .

أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول ١٩٦٥ .

أحمد ممدوح حمدى ، معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ،
القاهرة ١٩٥٩ .

بنت الشاطيء ، نساء النبى ، دار الهلال ١٩٦٧ .

ترتون ، اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق ، حسن حبشى ،
القاهرة ١٩٦٧ .

جروهمان ، أوراق البردى العربية ، نقله الى العربية حسن ابراهيم
وعبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤ .

جميل بهيم ، المرأة فى حضارة العرب ، مصر ١٩٦٢ .

حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية فى الوثائق والتاريخ ١٩٦٠ .

الفنون والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ -
١٩٦٧ .

حسن الباشا وآخرون ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ،
القاهرة ١٩٧٠ .

- حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، جزءان القاهرة ١٩٤٦ .
- زكى حسن ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٦ .
- زينب فواز ، الدر المنثور فى ربّات الخدور ، بولاق ١٣١٢ هـ .
- سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الجزء الأول ١٩٧١ .
- مدينة أسوان وآثارها فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ .
- سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، سياستها الخارجية ومظاهر الحضارة فى عهدها ، القاهرة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
- سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٧٣ .
- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ١٩٦١ .
- سيدة كاشف ، مصر فى عهد الاخشيديين ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠ .
- الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، جمعها وحققها وأعدّها مع دراسات تحليلية ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٥٨ .
- عبد الرحمن زكى ، الحلى فى التاريخ والفن ، من سلسلة المكتبة الثقافية عدد رقم ١٢٦ ، القاهرة ١٩٦٥ .
- على ابراهيم ، نساء لهن فى التاريخ الاسلامى نصيب ، القاهرة ١٩٥٠ .

- على بهجت ، حفريات القسطنطينية ، دار الكتب ، ١٩٢٨ .
- على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، بولاق ١٣٠٦ هـ .
- الأعظمي ، ديوان الأمير تميم بن المعز ، القاهرة ١٩٥٧ .
- عبقرية الفاطميين ، بيروت ١٩٦٠ .
- العمروسي ، الجوارى والمغنيات ، القاهرة ١٩٤٥ .
- عنان ، مصر الاسلامية ، وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٣١ .
- الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩ .
- عطية مشرفة ، نظام الحكم في مصر في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ .
- قدرية حسين ، شهيرات النساء ، تعريب عبد العزيز ، أمين الخانجي ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
- القوصي ، تجارة البحر الأحمر منذ فجر التاريخ حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ .
- كامل حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠ .
- كحالة ، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، دمشق ١٩٥٩ .
- كمال سامح ، العمارة الاسلامية في مصر ، القاهرة ١٩٧٠ .
- لينبول ، (ستانلي) سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم وعلي ابراهيم وادوارد حليم ، ١٩٥٠ .
- ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، القاهرة ١٩٥٩ .
- الامام المستنصر بالله الفاطمي ، القاهرة ١٩٦١ .

- مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، التاريخ السياسى ، القاهرة ١٩٦٨ .
- تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٨ .
- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ١٩٧٣ - ١٩٧٨ جزءان .
- ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية ، محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤٧ .
- محمد ضياء الدين الرئيس ، الخراج فى الدولة الاسلامية او التاريخ المالى للدول الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ .
- محمد مرزوق ، الزخرفة المنسوجة على الأقمشة الفاطمية ، القاهرة ١٩٤٢ .
- معرض الفن الاسلامى فى مصر ١٥١٧/٩٦٩ ، اعداد أحمد حمدى ، وفية عزى ، مايكل روجرز ، عبد الرؤوف على يوسف ، وزارة الثقافة ١٩٦٩ .
- مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، بغداد - العراق ١٩٧٠ .
- م . س ديمانند ، الفنون الاسلامية ، مصر ١٩٥٨ .
- يوسف ميخائيل أسعد ، المرأة والحرية ، القاهرة ١٩٧٧ .

٤ - الدويات العربية

أحمد الشامي ، التطور التاريخي لعقود الزواج فى الاسلام ، فصله
من ندوة البرديات ١٩٨٣ .

جمال محرز ، الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ، مجلة كلية
الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد السابع ، يوليو ١٩٤٤ .

حسن عبد الوهاب ، اثر المرأة فى الفن الاسلامى ، مجلة الهندسة ،
مجلد ١٤ ، ١٩٣٤ ، نوفمبر ١٩٣٦ .

ماجد ، امرأة مصرية تتزعم مظاهرة ، مجلة الجمعية المصرية
للمدراسات التاريخية ١٩٧٧ .

٥ - الرسائل

حورية عبد الحميد سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة
الفسطاط حتى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير ١٩٧١ .

عبد الخالق حسين محمد ، القضاء فى عهد الفاطميين والأيوبيين ،
رسالة ماجستير ١٩٧٥ .

محمود ابراهيم حسين ، التصوير الاسلامى فى العصر الفاطمى ،
رسالة ماجستير فى الفنون الاسلامية ، ١٩٧٥ .

محمود محمد على الحريرى ، أسوان فى العصور الوسطى ، رسالة
ماجستير ١٩٧٢ .

٦ - الكتب الأوربية

Ahmed Abd Ar-Raziq, La Femme du Temps des Mam-
louks En Egypte, Le Caire 1973.

Ashtor, Histoire des prix et des salaires dans L'orient médiévale, Paris, 1969.

Berchem, Matérioux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, 1, 1903.

Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des Vêtements chez les Arabes, Amsterdam, 1842.

Supplément aux dictionnaires arabes, 1 — 11, Paris, 1966.

Encyclopedia of Islam, 2ed.

Goitein, A Mediterranean Society, Barkely, Los Anglos, 1967.

Gottheil-Worrell, fragments from the Cairo genizah in the freer Collection, New-York, 1927.

Ivanow, Ismaile-traditions concerning the Rise of the Fitimids Bombay 1942.

Islamic jewelry in the Metropolitan Museum of Art, New York, 1982.

Kahle, The Cairo Geniza, 2ed, 1959.

Mann, Jews in Egypt and palestine. Under the fatimid caliphs. Oxford, 1920 - 1922.

Pauty, Les Hammams du Caire, Le Caire, 1933.

Répertoire chronologique d'epigraphie arabe Le Caire, 1931.

Wiet, Matériaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum, Egypte. 11, 1930.

Catalogue général du Musée Arab du Caire. Stèle funéraires. Vol. VIII, 1939.

٧ - الدوريات الأجنبية

Ashtor, L'Evolution des prix dans le proche orient à la basse-époque, JESHO, IV, 1961.

Le Coût de la vie dans l'Egypt médiévale, JESHO, III, 1960.

Matériaux pour l'histoire des prix dans l'Egypt médiévale, JESHO, VI, 1963.

Goitein, The Cairo geniza as a source for the history of Muslim civilization, in stude islamica, III, 1955.

New light on the begining of the Karim merchants, JESHO, 1, 1958.

The documents of the Cairo geniza as a source for the Mediterranean social history, JAOS, IXXX, 1960.

The main industrries of the Mediterranean area as reflected in the records of the Cairo geniza, JESHO, IV, 1961.

Slave and slavegirls in the Cairo genzia records, Arabica, IX, 1962.

Evidance on the Muslim palntax from, non-muslim Source, a geniza sutdy, JESHO, VI, 1963.

The Exchange rate of gold and Silver money in fatmid and Ayyulid times JESHO, VIII, 1965.

Nicknames as a family names, JAOS, 90, 4, 1970.

Yousf Râgib, Un Contrat de mariage sur soie d'Egypte fatimide, Annal Islomologique, XVI, 1980.

الملاحق

ملحق رقم (١)

خطاب من امرأة لأختها

(Goitein, The Mediterranean Society,
III, P. 353 — 354)

أخبرك ياسيديتى ، يا أختى العزيزة ربما قد اختارنى الله كفدية
لك - أنا أصبحت مريضة بدرجة خطيرة وأملئ ضعیف فى الشفاء ،
ولقد حلمت بأن نهايتى قد أوشكت .

سیدیتى ان طلبى العاجل منك ، لو قدر الله لى أن أموت ، ان
تعتنى بابنتى الصغيرة وأن تبذلئ أقصى جهدك فى تعليمها ، بالرغم
اننى أعرف جيداً ، اننى أطلب منك شيئاً غير معقول ، لأن ليس هناك

مال كاف عند والدى - للمعاونة ، اطرحى جانبا التعليم الرسمى ،
على اية حال فهى نموذج من والدتنا المتدينة لا تدعيها تظهر فى
الطريق العام ، ولا تهملى مربيتها السودانية « سعادة » وابنها ،
ولا تفصيليهما عنها ، لأنها تحبهما ، ولقد أوصيت بالمربية السودانية
لها ، على اية حال ، الجارية الصغيرة « عفاف » سوف تعطى ليست
السرور - لكن لا شيئا آخر - وهذا فقط بعد ديوننا لأبو سعد وآخرون
يجب أن تدفع ، يلعن من يعمل ضد رغبتى •

(أنا أقول هذا) لأننى قد لاحظت أكثر من مرة أنك تحبين
الأبنة الكبرى أكثر من الصغرى ، مهما يكن أنت تعرفين جيدا أننى
اقسمت أكثر من مرة - وفى المرة الأخيرة فى حضورها - أننى سوف
لا أصى بشيء لست السرور ، لأسباب لا أستطيع أن أذكرها ، لكن
أنتى تعرفيها •

سيدتى ، دعى أبو البركات يأتى ويعالجنى ، لأننى فى حالة
خطيرة جدا • من فضلك (كم) لا تفعلوا أى شيء ضد ما ذكرته
(لكم) •

ملعون من يفرق بين الخادمة العجوز وابنتى الصغيرة ، بالبيع
خلافا لذلك •

سيدتى ، الله وحده يعرف كيف اكتب هذه السطور •

ملحق رقم (٢)

اتفاقية زواج ترجع الى ١١٤٢/٥٣٧

Gottheil and worrell, Fraginents of
geniza in the freer collection XI V — P 219 — 223)

السورقة (١) :

- ١ - ممتلكات الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الذهبي .
- ٢ - سوف ينقل ملكيته (التي تستثمر) بين اليهود بعد ثلاث شهور .
- ٣ - آب وآبيل ١٤٥٣ وتبشري ١٤٥٤ .
- ٤ - لابنته ، مع فائدتها وربحها (المحصل من استثماره) .

- ٥ - وهو سوف يعطى البنت ما يملكه لها (زيادة) .
- ٦ - على الشوار الذى يجب عليه أن يشتريه لها .
- ٧ - والفائدة والربح لمدة سنة من اتفاقية الزواج ، العريس .
- ٨ - الشيخ أبو الفضل ابراهيم بن عبيدة ، سوف يدفع .
- ٩ - ثلاثة دنانير (مقدم) و (ستة دنانير ، مؤخر) الباقى من ~~الثلاثة دنانير~~ .
- ١٠ - ~~الشيء يكون لها~~ ، الشرط (الذى فرض) عليها (يكون) لو ~~أبوها~~ .
- ١١ - لم يفعل ذلك ، سوف تذهب رأسا (من منزل أبيها) بدون شراء أى قيمة (من العريس) .
- ١٢ - والشرط المبرم على أبو الفضل (يكون أن) هو سوف لا .
- ١٣ - يضربها ، لايهينها ، لا يطلب .
- ١٤ - منها أرباح من ملكيتها (المستثمرة) ، لأنه وعدهم أنها .
- ١٥ - من خلال (استثمارها فى) الملابس ، ولو طلب منها أرباح (استثمارها) .
- ١٦ - هو سوف يكون مطالب بثلاثة دنانير لـ
- ١٧ - على شرط أنه له (؟) منها ، بينما يعدهم (لها) فى الاتفاقية .
- ١٨ - (عن) الملابس ، ولها منهم يعفى زملائه (من كل المسئولية)
- ١٩ - الأب ، والابنة والزوج وعقد الزواج .
- ٢٠ - يبقى كما هو كل الشروط .

- ٢١ - الخاصة بالمهر والمديونية ، والشروط الباقية .
- ٢٢ - و (فيما يخص) ادارة المنزل ، أبو الفضل هذا ليس لديه
- ٢٣ - مسئولية لأى جزء منه . يوسف له (المسئولية) .
- ٢٤ - بدون ثمن ، وسوف يبقى (أبو الفضل) فيه وليس لديه
(حق أن يعمل أى) .
- ٢٥ - طلب من أبو الفضل ، ولا
- ٢٦ - من زوجته لأى جزء منه ، كتب فى شهر تموز ١٤٥٣ .

السورقة (ب) :

- ١ - اكليل من الذهب .
- ٢ - وخواتم من الذهب ، وخاتم فضة وخاتمين من الفضة .
- ٣ - مقعدين باللؤلؤ ووسادة مقعد .
- ٤ - مرآة . . تساوى حوالى دينارين .
- ٥ - سوار كبير (يساوى) ثلاثة دنانير ، بفص ذهب (٩) .
- ٦ - ملعقة واناء عميق ومرودين للكحل ومروحة .
- ٧ - وعلبة من الفضة . . - ثلاثة دنانير .
- ٨ - بللور . . بثلاثة (دنانير) .
- ٩ - وسادة مقعد وصندوق للحلى - (دينار) .
- ١٠ - المجموع (يساوى) مائة وسبعة دنانير .
- ١١ - الملابس .

- ١٢ - خلعة بيضاء من الحرير بمعجر مذهب أربعون دينار *
- ١٣ - خلعة من الحرير بمعجر حرير خمسون دينار *
- ١٤ - ثوب آخر بمعجر أربعون دينار *
- ١٥ - قميص من قماش بطلبكي ومنديل غنيقي ثلاثون دينار *
- ١٦ - غطاء من الحرير ونقاب من خمسة وثلاثون دينار *
- ١٧ - ثوب ذهبي *
- ١٨ - منديل أزرق - ثلاثون *
- ١٩ - قميص أزرق من قماش دبيقى وثوب من الكتان - عشرون دينار *

طهر الورقة :

- ١ - قميص من الحرير الدبيقى *
- ٢ - ونقاب من العتابي عشرون *
- ٣ - طاقية من الحرير الأحمر ، وحزام *
- ٤ - ونصف غطاء - ثلاثون *
- ٥ - عصابة ومنديل يعنى - عشرون *
- ٦ - غطاء أبيض وغطاء أزرق - عشر دنانير
- ٧ - رداء ونقاب - عشر دنانير *
- ٨ - منديل من سبط ومنديل من *
- ٩ - وأربعة مناديل - ثمانية عشر *

- ١٠ - عرضة ديبقى خمسة دنانير .
- ١١ - طاقيه حرير حمراء - ثلاثة وعشرون دينار .
- ١٢ - ٠٠٠٠ وحزامين ٠٠٠٠٠
- ١٣ - المجموع اربعمائه دينار .
- ١٤ - مرتبة ديباج خمسون ديناراً .
- ١٥ - مرتبة من القماش الديبقى اربعون ديناراً .
- ١٦ - غطاء ابيض من الديبقى عشر دنانير .
- ١٧ - زوج من الوسائد - ثلاثون ديناراً .
- ١٨ - زوج من الوسائد رمانى - احمر وزوج من الوسائد .
- ١٩ - بمساند زرقاء ، المجموع (البضائع) الدبيقية خمسة وعشرون ديناراً .

ملحق رقم (٣)

المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين القاهرة ١٩٤٧ ،
ص ٦٩ - ٧١

المجلس الثالث عشر

(١٤٨) بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله القدير الذى علا
جلاله فارتفع ، النصير الذى اتسع نواله فأمرع ، الخبير باتقان
ما صور وأبدع البصير بالتدبير فيما أعطى ومنع ، لا اله الا هو
الذى يمسك السماء على الأرض أن تقع ، وصلى على البشير بما
يعقب الا من يوم الفزع ، النذير المحذر من هول المطلع ، محمد
رسوله المنير مستهم المشكلات بضياء برهانه الذى سطع ، وعلى الوزير
المسارع فيما ضر ونفع ، الظهير الدامغ لأهل الشرك والبدع ، على

ابن أبي طالب أول من آمن بالله ورسوله اتبع ، وعلى الأئمة من ذريتهما المجير ولاؤهم من نار على الأفئدة تطلع ، وسلم عليهم أجمعين ما أقل نجم وطلع وسجد ساجد وركع ، أيها المؤمنات سلك الله بكن سبيل أهل الدين والورع ، ونفعكن بولاية أئمتكن الذين بمحبتهم تلتفع ، ان أنواء ديم العلم بين ذوى البصائر والفهم هاطلة الرباب ، دائمة الانسكاب قد (٤٨ ب) أنبتت الروض الناضر ، وهذيت الخواطر والبصائر فاستدامها الشاكر وآنس بها النافر ، وجل موضعها عند العارفين وسما موقعها من المستبصرين إذ هي نعمة بلا من يكدرها ، وعارفة بلا شوب يغيرها ، ولما ذكرنا في المجلس الذى قبل هذا الزكاة التى تجب على ذوى الأموال اتبعنا ذلك بذكر الزكاة التى تجب على كل مال ، وعلى من يتصدقها من ذوى الاقلال وهى زكاة الفطر وفيها سبعة فروض واثننا عشرة سنة ، فالفروض هى أن يخرجها الرجل عن نفسه وعن كبير عياله وصغيرهم وحرهم وعبيدهم وذكرهم وانثاهم ، والسنن هى أن يخرجها الرجل من اوسط ما يأكل منه وهى صاع من بر أو صاع شعير أو صاع تمر أو صاع من زبيب ويجزيه نصف صاع من البر ولا يجزيه من غيره الا صاع ، والصاع أربعة أمداد وأن يدفعها للامام ع م (١٤٩) أو من أقامه الامام ، ويكون اخراجها قبل الافطار ، ويقضيها من آخر اخراجها ، ومن عدم الطعام أخرج قيمته ورقا أو ذهباً ، والمرأة اذا لم يكن لها زوج أخرجتها عن نفسها وعن من تعول ، وقد اقتضى ما قرأناه ايراد ذكر الفطرة قبل حينها فاذا أبلغنا الله بقدرته الى زمانها أوردنا بتوقيفه شرح بيانها ، وقد سمعنا ما قرئ عليكم من أن الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فاستمعن الآن صفة المتقين الذين جعل الله تعالى هذا الكتاب هدى لهم قال الله الأعز الأكرم نسقا على ما تقدم « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم

يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (٤٠) قوله تعالى يؤمنون بالغيب الغيب هنا غيب علم الشريعة الذي حجب به الله تعالى إلا عن أهله ، وهو علم الباطن المحجوب الذي ذكره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع ٠ م لما وصف (٤٩ ب) القرآن فقال : « ظاهره عمل موجب وباطنه علم محجوب وهو عندنا معلوم مكتوب » فالذين يؤمنون بالغيب هم الذين يقيمون الصلاة بحقيقتها لأنه من أقام ظاهر الصلاة الموجوب ولم يؤمن بباطنها المحجوب لم يكن من الذين وصفهم الله تعالى في هذه الآية بقوله يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة ، وكذلك من أقام ظاهر الصلاة وآمن بالباطن ولم ينفق مما رزقه الله ما أوجبه عليه من زكاة ماله وخمس مكسبه وشروى نفسه وفكاك رهنه كان ناقص الفضل عن من نعته الله في هذه الآية بقوله « مما رزقناهم ينفقون » وعلى قدر ما تسخر به نفسه من هذا الانفاق يتميز بالذنو من أهل الفضل واللاحاق وقوله تعالى « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » يعنى بما أنزل إليك من شريعة الاسلام التى هى باطن لما تقدمها وظاهر لما يأتى من تأويلها (١٥٠) فائنى تعالى على من يؤمن بالظاهر الذى هى باطنه ، كما مدح من يؤمن بالباطن الذى هى ظاهره ثم قال : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » فجمع لهم الهدى والفلاح المؤدين الى الفوز والنجاح ، فاجتهدن معشر المؤمنين فى فعل الخيرات ، ونافسسن فى أعمال الطاعات ، واستكثرن البساتينات الصالحات ، تفزن بعلو الدرجات ، وتصرن الى جنات عاليات فيها سرر موضوعات ونمارق مصفوفات ووزابى مبثوثات وانهار جاريات واشجار مورقات وأغصان مونيقات وأثمار دانيات مجاورات للعترة الطاهرين الأبرار ، تلك عقبى الذين اتقوا ٠ وعقبى الكافرين النار ٠ ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال قال

رسول الله (ص) اذا أحب الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح صدره فتسخر نفسه بالزكاة « وللعباد ثلاث علامات الزكاة والصوم والضلالة » وعنه (ص) (٥٠ ب) ان رسول الله (ص) نهى أن يخفى المرء زكاة ماله عن امامه وقيام : « ان إخفاء ذلك من النفاق » جعلكن الله ممن اجتهد في طاعة ربه وألقى فوق القرى المال على حبه : ، والحمد لله ذي النعم الجسم السوابغ ، والحكم والقوام البوالغ . صلى الله على رسوله محمد المبعوث لهداية من هو عن الحق زايع ، والمخصوص بدين بالمعجزات ثابت وفي العقل سابغ وعلى وصية على بن أبى طالب لم يزل على الايمان وهو طفل وبالع ، وفي نصرة الدين مجتهد مبالغ ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين هم للمؤمنين رحمة واسعة وعلى الكافرين نقم دوامغ ، وسلم تسليما .

صدر فى هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جانب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات اوربا على الشواطىء المصرية فى العصور
الوسطى
عطية عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمى الطيعى
- ٧ - صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتى لازمة الحياة الفكرية
د. على بركات

- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزي
- ١١ - مائة خطبة مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د. نبيل راغب
- ١٣ - أكلوبة الاستعمار المصري للسودان
د. عبد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي
د. علي حسن الخربوطلي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر
د. حلمي احمد شلبي
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني
د. محمد نصر فرحات
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية
د. علي السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صابون

- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمي .
د. محمد انيس
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ١
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر
جمال بدوي
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامي والغرب
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد ابو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد ابو حديد
- ٢٩ - مصر في عهد الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون في مصر
د. حلمي احمد شلبي

- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضي
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمى المطيعى
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد
- ٤٠ - الاسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقي الجمى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد

- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال
- ٤٣ - رحلة في عقول مصر
أبراهيم عبد العزيز
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر
العثماني
د. محمد عفيفي
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج ١
ترجمة : أ.د. حسن حبشي
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث
تأليف : أ.د. لطيفة محمد سالم
- ٤٨ - الفلاح المصري
تأليف : د. زبيدة عطا
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية
تأليف : أ.د. عبد العظيم رمضان
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د. سهر اسكندر
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية
إعداد : د. عبد العظيم رمضان

٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسين فى
القرن الثامن عشر

تاليف : د. الهام محمد على ذهنى

٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د. محمد كمال الدين عز الدين على

٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تاليف : الدكتور محمد عفيفى

٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق : د. حسن حبشى

٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د. حلمى أحمد شلبى

٥٧ - مصر الاسلامية واهل الدمة
د. سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ - احمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د. ابراهيم عبد الله المسلمى

٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر
د. عبد السلام عبد الحليم عامر

٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكى

٦١ - تاريخ الاسكندرية
أ.د. عبد العظيم رمضان

٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣
لمعى المطيعى

٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور
اعداد : د * عيد العظيم رمضان

٦٤ - مصر وحقوق الانسان
د * محمد نعمان جلال

٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
د * سهام نصار

فهرس

الصفحة

تقديم د* عبد العظيم رمضان	٥
مقدمة	٧
الباب الأول	٢٩
المفصل الأول : أحوال المرأة الفاطمية	٣١
المفصل الثاني : أحوال المرأة المصرية	٧١
المفصل الثالث : الجوارى	١٠٣
المفصل الرابع : الزواج	١١٩
المفصل الخامس : أدوات الزينة	١٤٣
الباب الثاني : الأحوال الدينية للمرأة فى العصر الفاطمى	١٧٥
الباب الثالث : دور المرأة فى سياسة الدولة	١٩١
المفصل الأول : ست الملك	١٩٣
المفصل الثاني : الملكة أم المنتصر	٢٠٧

٢٧٣

(م ١٨ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى)

الصفحة

٢٢٣	• •	الفصل الثالث : نساء العصر القاطمي الثاني
٢٣٥	• • • • •	الخاتمة
٢٣٧	• • • • •	ثبت المصادر والمراجع
٢٥١	• • • • •	الملاحق
٢٦٥	• • • • •	صدر في هذه السلسلة

رقم الايداع ١٩٩٣/٨٩٦٨

IS.B.N. 977 — 01 — 3522 — 4 الترقيم الدولي

مطامح للهيئة المصرية العامة للكتاب

الكتاب في الأصل هو رسالة علمية حصلت بها صاحبتها على درجة الماجستير في الآداب من جامعة عين شمس ، وبالتالي فتطبق عليه مقاييس الدراسة التاريخية العلمية الراسخة ، من ناحية المنهج ، والمصادر ، والتمحيص العلمى الدقيق ، والمتطور الجديد ، والمادة العلمية الجديدة . وهو على هذا النحو جدير بأن يقرأ ، وأن يجد مكانه في المكتبة العربية بصفة عامة ، وفي سلسلة « تاريخ المصريين » الراسخة القم بصفة خاصة .

وقد رجعت الباحثة إلى لوثق المصادر التاريخية ، من مكاتبات ومراسلات وخطب وتوقيعات ووثائق البيع والشراء ، وأهمها رسائل الحاكم بأمر الله ، والسجلات المستنصرية ، وأوراق البردى العربية .